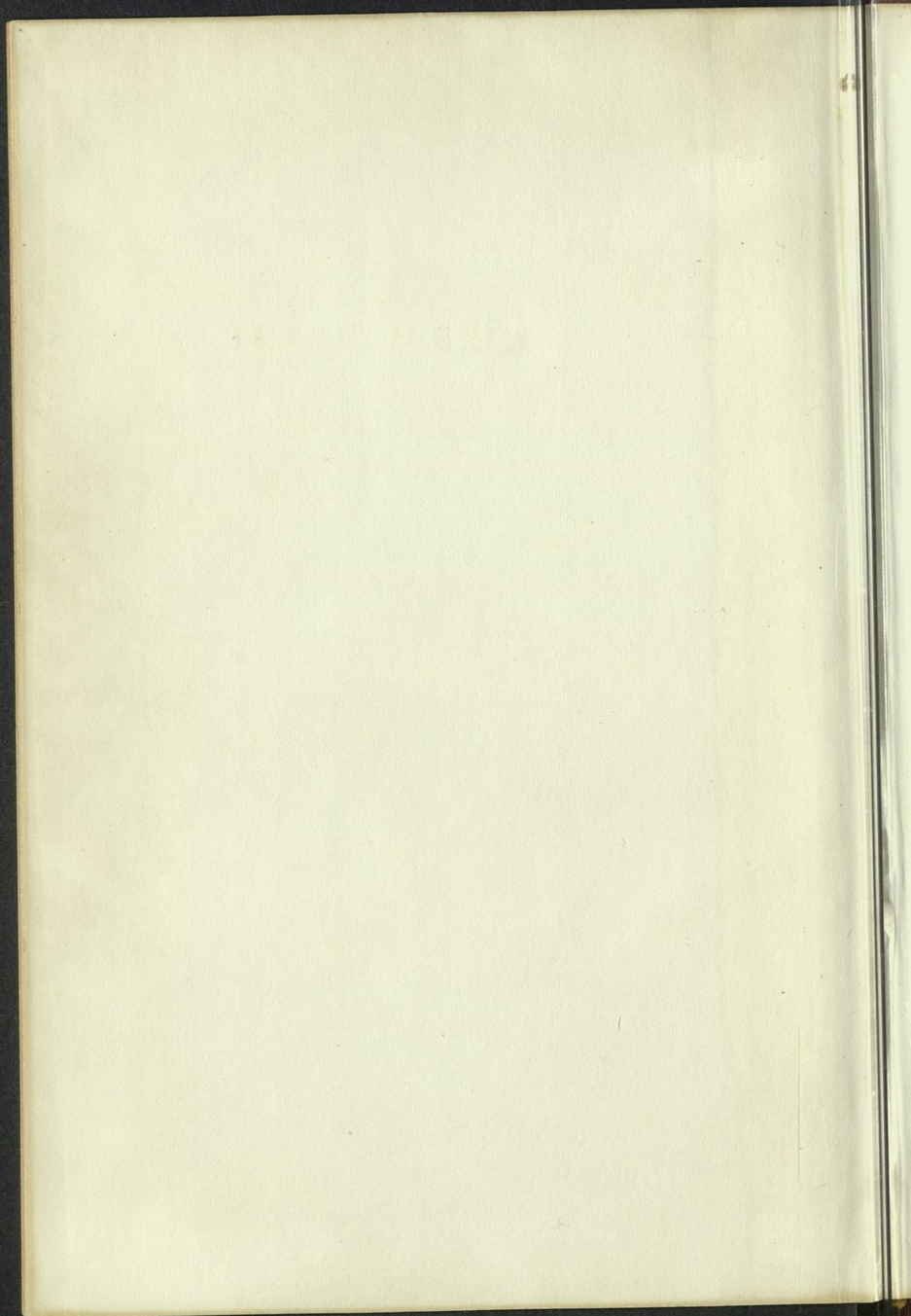


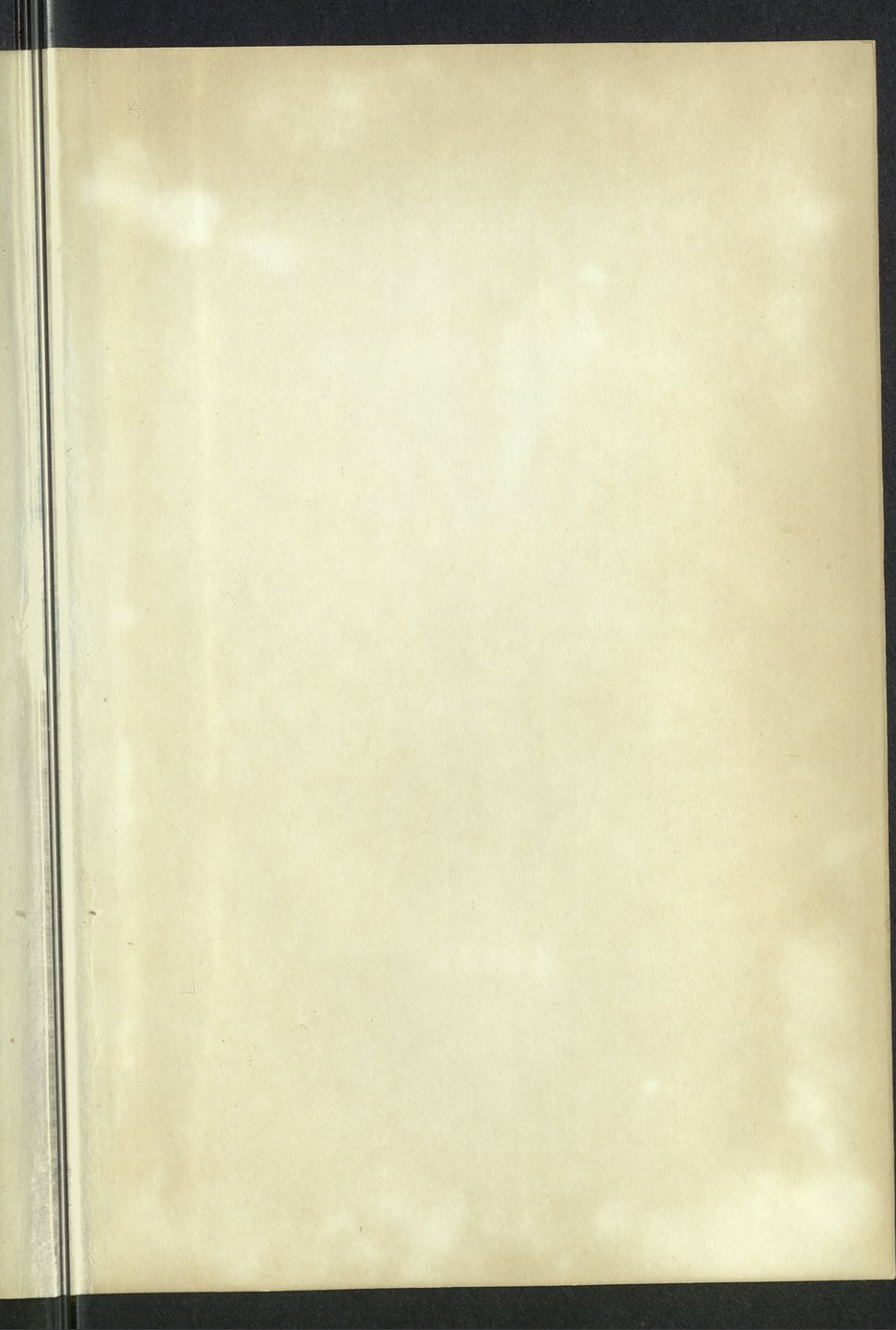
نور

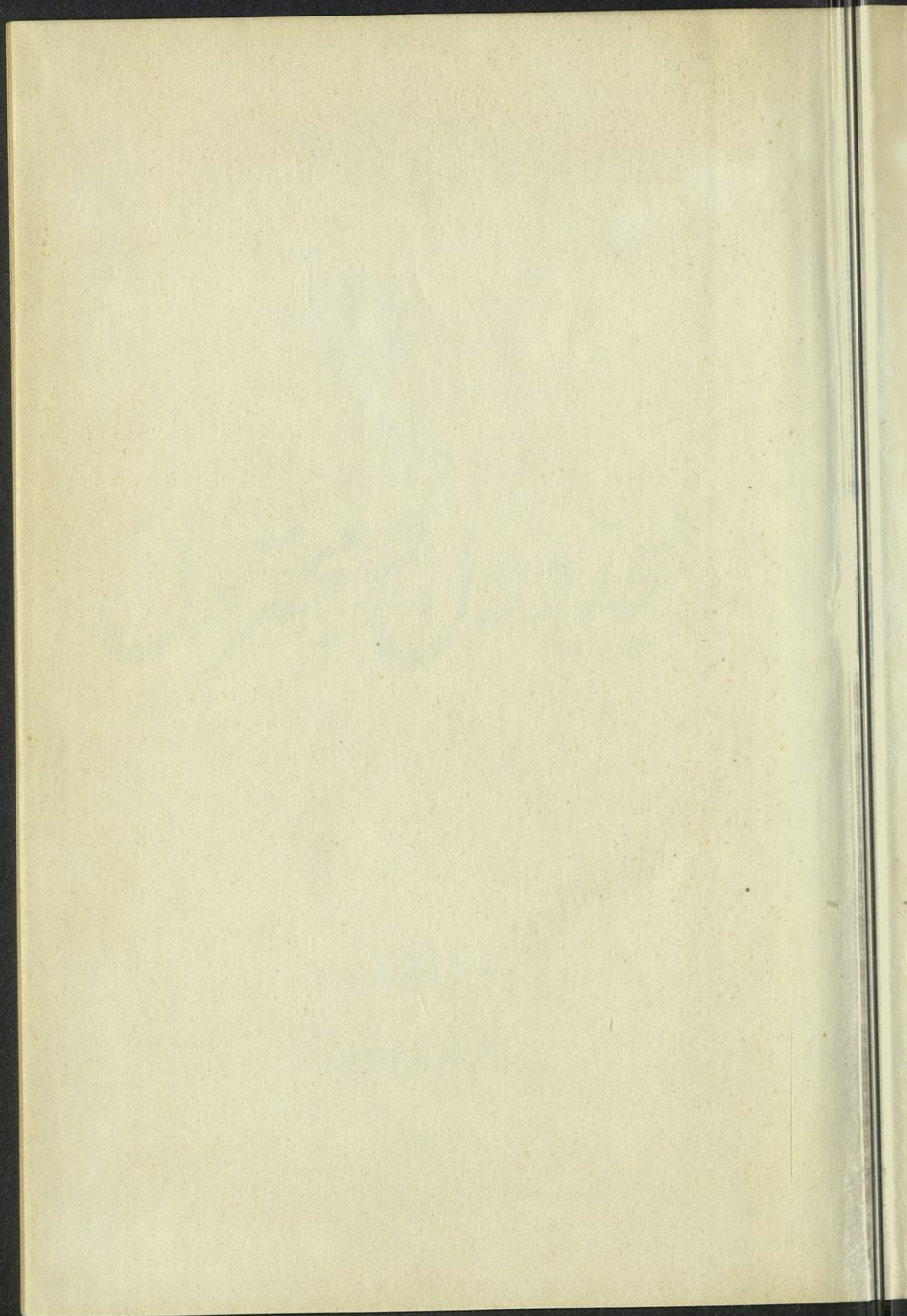
نور

892
A13
C

A. U. B. LIBRARY







C. 1. 1049

دار الفکر

892.709

A13m A

C.1

مجددون محترون

68536

دارالعلم لللائين

بيروت

نوار ١٩٤٨

Cat. July 1949

للمؤلف

•

وجوه وحكايات

زوبعة الدهور

الرؤوس

زوابع (شعر)

على المحاك

•

أقزام جبابرة (تحت الطبع)

دمقس وأرجوان (تحت الطبع)

كمقدمة

القديم والجديد نضال الابد بل صراع الحياة . في عش العصفور الدوري كما في عرين الاسد ، بين الآباء والابناء ، والاخوة والاخوات ، والكنة وحماها ، وهنا التنور المسجور والقرن الحامي ...

تكون الحماة ارجح عقلاً واوفر علماً وتراها الكنة اختاً للغوريلا وانثى الكهوف . أما الحماة فتقف بالمرصاد كعداد التلكسي .. إن مشت الكنة رأت خطواتها أوسع من المعتاد ، وأشارت بتعديلها لتكون على التام ، كما رسمها السلف الصالح .. وإذا تبسّمت صفقت على فيخذيها وصاحت بابنها : قل لبنت عمك لا تفتح بوزها على مصراعيه ثاني مرة ، هذا عيب ! وإذا حكمت فهي ثرثرة ، لسانها أطول من اذنيها ، وإن سكنت فالمسكينة حمارة ، الدجاجة تأكل عشاءها ، وإن رفعت صوتها كانت وحشة مقطوعة من الحرج ، وإن خفت صوتها فهي حية رقطاء تحكي في عبا . وإن قصّرت ثوبها فهي من سلالة حاتم في الفتنة والاغراء ، وما هكذا تعمل بنت الأوامر ، وإن عملت بوصايا الله والكنيسة فكل قماش

يعوت لا يكفيننا ، والله يساعذك يا ابني !! وإن كبرت لقمتها
فهي غولة ، لعنة الله على من ربّوها ، وإن يئنت سنّها فالبنت
عينها شاردة ..

وتروز الكنة حماها فتواها أقل من خرقة بالية أولى لها ان
تلقى في المطبخ ، لا ان تتقدم عليها في المحضر ، وتسود وجه البيت .
فلتتقبّر ! ابن عزرائيل كئّاس البيوت ؟ ألا يرى هذا الوجه
المتكرش كأنه آخر البندورة ؟ ...

والحماة تخاف على ولدها من هذا الطاعون . البيت يخرب إذا
تخلت هي عنه لهذه البنت الطائشة ، وإذا زارتها جارتها تسرّ النجوى
قائلة : غضب من ربنا يا جارة ، حلّ علينا . يا قلة الحظّ !! ثم
تقرصها في جنبها قرصات لاذعة لها الف معنى ومعنى ، بينا الكنة
المسكينة تقرأ أو تطرز ، أو تترنم كذاب عنترة .. وتختّم الحماة
رسالتها هذه بصريف الاسنان مقروناً بأحرّ العواطف : يخرب
بيتها ، لا يهمها شيء سواء عندها خرب البيت أم عمر ، فتجيب
الجارة الحكيمة : السكوت أحسن يا جارة ، ما في اليد حيلة !

أجل ما في اليد حيلة ، وهذه مصيبتنا بعينها في الادب ، الادب
يريد ان يمشي ، والحماة قروم عنيد واقف بالدرب ، لا تفتح الطريق
إلا إذا مشينا على جثتها . فلنمش !

كان من الازياء الادبية ، منذ نصف قرن خلا ، ان يقدم
للكتاب لاسمه بسبعة فيقول : الفه الفقير الى عفو ربه الزواق
فارس بن يوسف الشدياق ، او صنفه العبد الفقير الجاني ، سعيد
الحوري الشرطوني اللبناني . وقد ادركت ، تلميذاً ، آخر هذه

السوق ، فكتبت على دفتر لي مدرسي سيبقي بعدي وقف ذرية :
المحتاج إلى عفو ربه المعبود ، مارون حنا الحوري عبود . وكان هنالك
زي آخر اعظم خطراً وهو ان يصدر المؤلف كتابه ببيتين من
الشعر ، كما فعل المعلم بطرس البستاني ، فكتب على قاموسه الشهير :
قل لمن لا يرى الأواخر شيئاً ويرى للاولائل التقديم
ان ذاك القديم كان حديثاً وسيمسي هذا الحديث قديماً
فتعظيم القديم من طبيعة الناس ولذلك عبدوا جدودهم ...
فكل رجل ، ولو خاملاً ، يستحيل يوم يموت شيئاً عظيماً ، تنهال
عليه الرحمت ويرون انه كان من المفارد ، لا تعصى عليه مشكلة ،
مع ان المرحوم كان لا يش ولا ينش ، ولكنه دخل الابواب
الدهرية فصار ملك المجد ...

وقبالة جيل القديم يرتفع توأم آخر يساميه ويطاوله ، هو جيل
الجديد ، والتوأمين لا يلتقيان . فزعيم الشعر العربي واحد لا غير
هو الذي ضيع ملك أبيه ، ولكن عرش ذلك الوالد المحترم لا
يساوي بيتاً من قصائد ابنه . طاح تاج ابن حبر فداء رأس دارة
جلجل ... ونودي بامريء القيس ملكاً على الادب العربي ، وثبت
عرشه مدة ستة عشر قرناً ، لا يشور عليه إلا عصابات تذوب جهودها
في احتادق التي تحيط بالقديم .

وقرأ شبابنا آداب الامم فأغرثهم بالخلق فتجهّم لهم المحاربون
القدماء . يريدون أن تظل الجبهة في البيداء فقالوا : ليس هذا من
كلام العرب .

ان الشعر معمل تصنع فيه التعابير ، ولهذا يحق لنا أن نقول

للشاعر: كن كيف شئت، إلا اثنتين فلا تقربهما أبداً: النحو واللغة .
فتنت العرب التعابير الراقصة فصرخوا بصاحبها: أنت أشعر
العرب . وأدركوا ان الشعر موسيقى أولاً فقدموا البحث تري
وأخروا ابن الرومي . واهتز ابن الاثير « لوطن النهى » في شعر أبي
تمام ، وأعجب « بقلب يطل على أفكاره » عند أبي عبادة ، كما نعجب
نحن « بضيوف الله » عند شوقي ، لا بقريع الشهباء و كبش النطاح ...
يصلح الشباب أوتارهم فنشوشها لهم ، وبدلاً من أن ننثر الزهر
على الموكب العابر نرجمه بالحجارة . ما قتل الادب العربي الا توسله
إلى الفن بلغة « رسمية » لا يجيد عنها . ولو كان في ذلك الاسلوب
« الرسمي » خيرٌ ، ما نزل القرآن الكريم بلغة الناس الفاتنة الطرية
الناعمة المصقولة .

يحاول الشباب خلق الشعر المصقّى فنغضب تلك الغضبة المضربة
ليظل أكثر شعرنا ثراً . وكما كانوا يحتكمون في البصرة والكوفة
الى وافد من البادية نحتكم نحن اليوم الى الكتب القديمة ، حتى في
الفن ... ان باب القياس اوسع من المأوية ، فدعوا السماع ،
واضربوا في مناكب الارض ولا تكونوا من ذوات المعدتين .
فلندع المجترين يتبلغون بما في بطونهم ، ولنخلق طعاماً جديداً .
ان في الادب ازياء تتجدد . ان البساتين تحتاج ، دائماً ، الى التطعيم ،
والاداب بساتين الشعوب ، فلنطعم ادبنا فقد اصبح برّياً . قدحان
لهذه الوثنية الأدبية ان تتواري ، فالفن لا يعرف الا إلهاً واحداً
هو الجمال . ان افلح الشباب ففلاحهم مجد لنا ولهم ، وان اخفقوا
فالتبعة عليهم . ان اللواء معقود لهم ، وسيظل في يدهم حتى تعقده

العبقرية لجيل آخر ، ان الذرية محبوبة الا في الأدب ، ففلان وفلان لا يريدون ان يتواروا. ان الحماة لا تدع ثروتها حتى يغلق عزرائيل ذلك الفم الذهبي ...

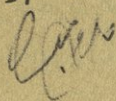
ملّ العرب القديم في كل عصر ففضل الاصمعي ابن بُرد على مروان ابن ابي حفصة ، وابن الاثير نادى : ان باب الجديد مفتوح حتى يوم القيامة .

منذ دهور واعيننا في ظهورنا ، واكثرنا يعارض الذي عيناه في وجهه . فهذا الشعر الذي يقوله شعراء اليوم هو الشعر حقاً ، ولكنه في حاجة الى خلق مستمر ، فقد كاد ان يصير ادب عصائب طير تهدي بعصائب .

كان الاعرابي يؤثر - كالأب بريمون اليوم - شعراً موسيقياً خفّ معناه ، على شعر بلا موسيقى ، وان رجحت كفة معانيه . فلنسر على هذه الطريق 'نفلاج' . اما المتوغلون في الوثنية الأدبية فلمهم اقول : اذا كان استطاع تبديل حياة النبات بتبديل الضوء ، أو لا استطاع الشعر على ضوء مصباح اديسون بدلا من ذبال امرى القيس المقتل ؟ !

نيسان ١٩٤٨

مارون عبود



خَطَبُ الرَّئِيسِ

وقع في يدي منذ ايام ، كتاب « خطب الرئيس » . عفواً ،
انا ارفعته في يدي ، فالاقرب الى الصدق ان أقول هبشت منذ ايام
كتاب خطب الرئيس . وما عليّ ان استعملت لفظة لا يؤدي غيرها
معناي كاملا ، غير منقوص . انها لفظة عربية منسوبة للعم والحال
لا يتنكر لها لسان العرب ولا تاج العروس .

ولما صارت تلك الخطب في حوزتي وقفت عند عنوانها وقفـة
ليست بالطويلة ولا بالقصيرة . قلت في قلبي : لقد أحسن من انتقى
ها هذا العنوان ، وحذف كل ما تواضع عليه الناس من القاب
جرارة تشي في موكب الاسم راقصة خلفه وقدامه ، أثقال لا معنى
ها الا انها أثقال . فقولنا الشيخ الرئيس يذكرنا بذلك الفيلسوف
العظيم ابن سينا طيب الروح والجسد ، والشيخ الرئيس ، اليوم ،
هو طيب كذلك ، طيب ارواح واجساد جمهوريته .

ان من لم يحوط اسم الشيخ الرئيس بالفخامة والرئاسة احسن
الى الادب ، فأجاز لنا درس خطب رجل الساعة والفد كاديب او
خطيب مفوه . وكما يضرع رئيسنا المفدى في اكثر خطبه الى ربه

ليصون لبنان ، فاني انا بدوري أحمد الله ، ولو مرة ، لانه اسمعنا صوتاً غير اعجم طمطم . اسمعنا صوت رئيس لا يلوك لسانه ، بل يقول فيعرب ، فلا نغالي اذا سمينا أديب الرؤساء ورئيس الادباء . الرئيس الشيخ حفيد فقيه زمانه الشيخ بشاره الحوري ، وابن خليل بك الحوري رئيس القلم العربي الذي صححت معه لغة الديوان في عهد المتصرفية . وخطبه التي نتحدث عنها الآن ليست اول أثر عربي للشيخ الرئيس ، فلابسو الروب ، وهم كثر في لبنان ، وابني منهم والحمد لله ، يرجعون الى تأليفه الاشتراعية الناصعة اللغة ، البليغة العبارة . فالشيخ يضرب في كل مقام عربي بسهم ، بل قل بسهم مراش ولا تحف ، ولا يرمي الا صائباً . فاهيك ان بلاغته في لسان القوم لا تقل عنها في لساننا العربي المبين . فاذا رأيت في هذه الخطب يغرف من بحر وينحت من صخر ، فاعلم انه ، أيده الله ، عميق الثقافة ، واسع المعرفة ، حفظ أفصح الشعر ، وابلغ النثر ، فأطاعه الكلام . وهو اختصاصي في تاريخنا ، تلقن تاريخ لبنان في المهدي صبيّاً ، تعلمه في المحادثة حول الموقف شتاء ، وفي الهواء الطلق صبيّاً ، حين كان يصغي الى أبيه وسماره ، وكلهم شيوخ اكابر عركوا السياسة اللبنانية وعجنوها وخبزوها .

ان هذه الخطب تنم عن حنكة ، وصبر ، وحكمة ، ودهاء . وهي مع هذا واضحة صريحة ، لا فخاخ فيها ولا مطامير ، قوامها الايمان ، والرجاء ، والمحبة . فهو المؤمن بحق بلاده ، المترجي فلاحها ونجاحها ، والمحب حتى خصومه فيها . فكل ما يبوح به لسان الشيخ الرئيس منبعه قلبه المشرق الاعماق . ليس في خطبه ذرة من المطاط

السياسي، فما هنالك غير الماس يتلأأ، يفتنك بريقه، ويفريك لمعانه .
ليس شيخنا بشاره الحوري طلسماً سياسياً ولا أبا هول . اسمع هذه
الصراحة وهي من خطبته في طرابلس ، قال أيده الله : منذ عامين
رفعنا هذا الشعب بدافع حزبي أو شخصي ، أو بنزعة استقلالية الى
الارائك النيابية . الى ان يقول ، عطفاً على هذا فيما بعد : واذا
كنت انا وليد الحزبية في الانتخابات ، فقد انتخني المجلس رئيساً
للمهورية باجماع الاصوات . وهب انه بالاكثرية فان رئيس
الجمهورية يترفع عن الحزبية ، ويكون للجميع على السواء . ثم يلجأ
الى ربه قائلاً : فأطلب منه تعالى ان يغفل نفسي وعقلي ويدي عن
النعرات . ويختم هذه الخطبة بقوله : عاش لبنان مستقلاً حراً
ديموقراطياً عربياً .

ان الآداب العربية تأمرنا برد التحية على الاقل ، فلنقل اذن :
عاش بطل الاستقلال الحكيم ، والربان العليم .

ومن خطب الرئيس تشع انوار المحبة الصادقة لمن يوجه اليهم
الكلام ، فتشير أمامه أشد الطرق ظلاماً . انه لمح محاصر لا تغره
اللفخفة . رئيس ديموقراطي ، تشعر إذ تقابله انك حر طليق من
كل ما تخيلته من قيود (رسميات) . فلا تكاد تطل عليه حتى
يحلاك وجهه الطلق من اغلالك وتنبري ابتسامته الرصينة لفك
انشوطة البروتوكولات والتشريفات فتتجل جملةً ويستقيم الحيط
المعقد أمام عينيك .

بهذا الخلق السامي استطاع الربان ان يبلغ بالسفينة الشاطيء
الامين ، وان يدرك لبنان على يده ما لم يدركه من استقلال في

جميع اطواره .

استوحى فخامة الرئيس هذه الخطب الرائعة من وقفاته المشرفة في مراحل الجهاد والاستقلال . وهذا المجلد لا يضم خطب الرئيس جميعها ، ولكنه افتتح بخطبة « عهد الرئيس للامة » ، وختم بخطبة « الجلاء » ، المعركة الفاصلة في تاريخ النضال . قال الرئيس في خطبة العهد : « فأسأل الله ان يعيننا على خدمة هذا الوطن اللبناني المستقل ، المتمتع بسيادته كاملة غير منقوصة ، مهما تكن التضحية في سبيل هذه الخدمة الكبيرة ، هذا الوطن اللبناني الذي نضع حبه فوق كل شيء ، والذي يجب ان يظل للبلدان العربية المحيطة به جاراً أميناً ، واخاً صادقاً ، تربطه بها روابط تعاون يسوده الود والاخلاص » .

التضحية الكبرى هي اول ما تمثل للرئيس منذ انبلاج فجر عهده ، فكان له ما تخيل . راز ، حفظه الله ، أثقال اعباء الرئاسة فأعرب فوراً عن اقتبالها . فما مر خمسون يوماً حتى ظهرت أشباح التضحية وكان الاعتقال ، فضج الشرق والغرب ، وعاد الرئيس جانياً ثمار النصر من شجرة التضحية الكبرى ، وها هو يسمع شعبه صوته ذا كراً حاصيباً التي شهرها اعتقاله كما تشهر الوقائع الكبرى قطعة من الارض ، فيلقي خطبة عنوانها « الاعتقال ثبتت ايماننا في الاستقلال » ، فيقول : اذا عدنا بالذكرى يمكن ان يساورنا بعض الالم ، أما اذا نظرنا الى النتائج ، فلا يمكن إلا أن يفعم نفوسنا الفخر والغبطة لأن هذا الاعتقال ثبت قدمنا في الاستقلال ، وحرر دستور البلاد ، وعزز سيادتها الوطنية . وكما أن حبة الحنطة لا تثمر

إلا اذا دفنت في الارض ، كذلك الاستقلال فهو لم يشمر إلا بعد أن دفن في راسيا .

لقد حارب الرئيس على جبهتين ، وكأني اتصوره يقول اذ كان يجابه مشاكل الجمهورية خارجية وداخلية : ودخلت في ليلين فرعك والدجى ... ولكن الليل لم يتطاول ، وآب راعي النجوم ... فكان مساء وكان صباح ...

فاذا قرأت هذه الخطب ، على تنوع اغراضها ، ترى الشيخ الرئيس لا يفارق عمود اسلوبه الرفيع ، تتمتع افكاره العميقة بصفاء البحر ساعة هدوئه . انك ترى قاعه الجميل ولكنك تخطىء جداً في تقدير المسافة التي تفصلك عن الاعماق . فالشيخ الرئيس يضم إلى أفافة التعبير عمق التفكير فلا تقع في خطبه على فكرة مُعاداة مكرورة ، مع تشابه المواقف . فبينما أنت تسمعه في خطبة العهد يرسم خطوط وجه لبنان الجديد ، اذا به يتحدث في خطبة اخرى عن « الاقتصاد » كأحد علمائه ، والخطبة بارعة كاختها تلك ، ثم يتحدث عن الغرسة الصغيرة في تراب لبنان فيناجئها بأسلوب شعري يفيض حباً وحناناً : « لبنان والشجرة رفيقا صبا وشريكا جهاد . الشجرة جمال خالد ، وثروة فياضة ، ورمز مقدى ، ما برحت الشجرة كذلك في لبنان الذي يحرص على تقاليده ويتمسك بماضيه ، ويثق بحاضره ويؤمن بغده ايمانه بالله ، وبالعدالة والحق والحرية » .

ثم يدع الاسلوب الشعري لينطلق في اسلوبه التقريرى الرائع حتى اذا بلغ ما يروم لجأ الى الاسلوب الخطابي الصارخ : ايها اللبنانيون واللبنانيات الاعزاء . ازرعوا الاشجار واعتنوا بها ،

فالشجرة رفيقة لبنان في صباه ، وشريكته في جهاده . عاشت
اشجارنا ، وعاش لبنان !

وهكذا ينتقل الشيخ الرئيس في ابراج البلاغة ، ينتقل من
جو الحقوق ليتغلغل في اجواء الصلات الدولية ، فينبهي الشيخ
السياسي العارف تاريخ بلاده منذ عصر الصوّان والظّرّان الى عصر
الراديو والذرة .

وكما يتحدث ليلة « الميلاد » تظله روعة الايمان كذلك يتحدث
ليلة « المولد » بيقين عميق ، وهو في المقامين مخلص صادق . فهو ،
وان دان بدينه تديّن بممارس ، يرى ان غاية الاديان كلها تأييد
الحق واخير ، وانها على اختلافها كوى يطل منها الانسان ليروى
وجه ربه .

واذا تعمقت في خطب الرئيس دلتك على ان صاحبها رجل
لا يحمل الحقد ، ويصح فيه قول الشاعر :

قد كنت خفتك ثم آمنني من ان اخافك خوؤك الله
وقبل ان افلت خيط هذه الفكرة يطيب لي القول : انه ليحق
لهذا المفكر الكبير ان يقول مع المتصوف الاعظم : واصبح قلبي
قابلا كل صورة ...

*

والان فلنعد الى عملنا ، الى مجهرنا - ميكروسكوبنا -
فنقول ان العنصر الأدبي يسود هذه الخطب جميعها يرصّها
الشيخ احيانا بالشعر النفيس ، فتدلك على ان قائلها
هو من الادب العالي في صميم قلبه ، وحسبك ان تقرأ خطبته في

بعيدا لتعلم ان الشيخ الرئيس يترك اذا شاء الموسيقى النحاسية
المهيجة ليأخذ الناي الحنون فيشجيك حين يشاء ويهيجك متى شاء .
فحديثه عن ذكريات صباه في بعيدا قطعة ادبية رائعة يتجلى فيها
الشيخ الاديب الاصيل .

اما النوع الذي يد شيخنا في هذه المواقف فهو ما تدخره
ذاكرته من روائع الشعر . اشهد انني اعيت في مصاجلته في بتدين حتى
قلت لفخامته : ما كفاك ما صرت حتى تطمع بالرواستين وتقطع
لقمتنا ؟ فقال : هذا حق الغداء .

وبعد ، فان « خطب الرئيس » تربطها وحدة جهاده الذي
ربط لبنان باخوته الاقطار العربية ، فهي تستحق بحق ان تسمى
كتاب الجهاد اللبناني . وهو كتاب ذو وحدة ، يفتح بعهد الرئاسة ،
ويختم بخطبة الجلاء . وفي كل موقف نشعر ان الشيخ الاب يتحدث
الى ابنائه واخوانه ، يبتعد عن الانانية ويعزو الى لبنان ، حكومة
وشعبا ، كل ما كان وحصل ، تارة يخاطب العقول ، وطورا يناجي
القلوب ، ولم يحرم احدا حتى الاطفال من احاديثه العذبة لعلهم انهم
مشتل الرجال .

وفي خطبة الجلاء وقف الشيخ الرئيس ، فكان اقل منه كلاما
في كل مقام . ولا عجب فذاك موقف تتعطل فيه لغة الكلام ،
ويمتزج الدمع بالابتسام . هناك في المعبر الذي مر به جميع الفاتحين
وقف الشيخ العظيم ، وقف يمر صك الاستقلال في المضيق الذي
كنت اسميه مجل التشرiftات كلما مررت به . وشاء الجهاد ان
يكون ختام هذا السجل الدهري موقعا بلغة الضاد : باسم الشيخ بشاره

خليل الخوري .

كان الله في عونك يا شيخنا الخالد ، وحسب سلسلة النهضة الادبية
اللبنانية منك انك اوجدت حلقة الادب السياسي المفقودة . والادب
السياسي خلق وتكوين ، وتجديد قيم انسانية سامية .

المجترون

لما ظهر كتاب « الالفاظ الكتابية » لعبد الرحمن بن عيسى
الهمداني قال رجل - لا أذكر اسمه ولا كلمته بعينها : لو غدا
حكمه إليّ لقطعت يده .

يا ليته قطع تلك اليد ، واحرق ذلك الكتاب ! فكتاب
(الفاظ) عبد الرحمن و (صبح) القلقشندي ، و (نجدة) الشرتوني ،
و « نجمة » اليازجي ، مراعاة لسواهم التقليد ، وزرائب لشوحيات النقل
ومستودعات لغايات اللغة ، لا مثل لها الا تلك المخازن التي تكثرت
منها الثياب للسهرات والطقوس المحدد لها طراز خاص من أزياء
تواضع عليها الناس . فما قتل أدبنا وأفقده الحس والشعور غير
هذه الروايع (السكيشيات) التي نجتزها ونحشرها بين كلمات
مرصوفة ونشكها شك الحرز في فساطين النوريات ، ثم تنباهي بها
كالقرعاء ...

الادب كغيره من الفنون الرفيعة صورة من صور مشاهد الحياة
التقطتها العين ، ورسمها القلم على الورق صورة حية ، فلا تبست العقول
ووعتها الاذان . كانت رائعة يوم ابتكرت ، فهي لم تنشأ ليلو كما

ضيفن الادب ويتقيأها على القرطاس دهوراً وعصوراً ، ولا تؤدي
لها ضروب العبادة والتقديس وتسمي ترجمان كل من حمل قلماً
يستوحيا دون تفكير بما تحتها ولا نظر الى ما فوقها ، كأنها فرضت
على الانشاء فرضاً فلا يجمل ان يتزيا إلا بها ، ومن لم يحسن التأدية
بها فذاك غير فصيح ، فهب بعض المتمشقين يصمون أدبنا بكثرة
رواسمه ، ومستحاثاته ، ومومياءاته ...

إن هذه العناصر من التعبير تفسد البناية الشخصية الادبية ،
ونحن أفقر أهل الارض في أدبنا إلى كل ما هو شخصي . خذ قطعة
أو قصيدة وضع ديباجتها تحت المكبرة ، كما يفعل الحائكون ،
فتبدو لك فيها هذه التعابير كرقعة نايبة لوناً وديباجة ، وهكذا
يظهر منظومنا ومنشورنا كالمسرح المزين بما ينديه من المكان المقصود ،
وان شئت كلمة أوضح فقل انها كالقديد في مادية طعامها طازج .
لو رصدنا الكون لرأينا حركة رابعة تدهش المتأمل وقلنا مع
القرآن الكريم « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرر السحاب » .
فلا جامد جمدة الموت الا عقول البشر ، فالذين يفكرون بعقولهم هم
اندر من الراديوم . هناك فئة قليلة جداً تفكر اتفاقاً ، والذين
يفكرون بعقول جيوانهم لا تخصيهم الارقام ، أما أكثر الناس فلا
يفكرون . عقول صغار في جث ضخام . مثلاً يأكلون ويشربون
وينامون ، هكذا يقرأون ويتكلمون ويكتبون . ومثلاً يمشون ولا
يعنون أين يضعون أقدامهم هكذا تقذف أفواههم تعابير رأوها
نائمة في بطون الكتب فأيقظوها ليستخدموها في الافصاح عن
خلجات نفوسهم وبدواتها ، والتنفيس عن عواطف مكبوتة ، كأنما

التعبير عليك يُبضع .

مسكين الانسان!! ما أشبهه بحصان العربية يتبع الطريق وسوط العرف ينهره ويلذع قفاه ، فلا يتعوج ولا يتعرج الا ليستريح ريثما يستأنف السير ... ما أكثر الذين يقومون بعملهم الانساني ولا يفكرون انهم ناس ..! وما أبعدنا عن تمحيص ما نقرأ وما نكتب وما نسمع وما نعتقد فكأننا أبواق تنفخ العادة فينا ما شاءت من اصوات قد تكون هي أنكر الاصوات لا غيرها .. فنضم ما ألفناه وتعودناه إلى مجموعة الميراث الاقدس . فكم من الفاظ طنانة وتعاير غامضة حائرة تطربنا وما ندري لماذا ، وتهيمن وتسيطر علينا كأنها نواميلس طبيعية لا بد من تفاعلها ، ثم لا نفكر لماذا .

قد يعتب عليك أحدهم إذا لم تقل - إن شاء الله - كما فعل أبو نصر بالمتنبى ليلة غدوته في طلب منيته . وهذا اللائم يتلفظ بها ولا يدري لماذا ، ان لم يقلها ويجهل انه قالها . ومثل هؤلاء إذا ناقشتهم اخفى الامور والقضايا عن الادراك وجدت عندهم لكل سؤال جوابا بما لقنوه إياه وأملوه عليهم ، كأننا نفسياتهم احسد كتب الرسائل القديمة : المكتوب وجوابه قبائلته ، او كالذي الفناه في التخاطب فنقول : مشتاقون لمن نكره محضره ، وداع لك لمن نتمنى قصف عمره ...

كم من كاتب يحدثك عن الملاءة الاعلى ، وهو ينكت مزابل المادة كالشقبان في ليالي كانون المظلمة ، ليزدرد ديدانها ويلتهم حشراتنا! ان المفكرين الحقيقيين قليل في هذا الوري ، والمشكلين الحقيقيين أقل منهم . أما المطمثون إلى كل شيء فملء الارض ،

أكثر من الذباب والبرغش حول المستنقعات ، وهل من مستنقعات
أنتم من رواكده العقل البشري ؟ ما أشبه هؤلاء بصبيان يحسبون
منتهى الدنيا وراء الجبل القاعدة في حضنه قريتهم ، وكم كانت
دهشتنا عظيمة حين تسلقنا الجبل ورأينا وراءه أشياء أخرى ...

وأفتك أوبئة الانسانية ذلك الاطمئنان الداخلي ، مرض الدهماء
الذين يعومون دائماً في زبد أنفسهم ولا يغوصون في جثتها ، تلبسهم
ثرثرة الساقية عن صمت النهر الهادئ ، حيث الحيتان الضخمة التي
تبتلع حوت يونان ... ان هؤلاء يخافون المعرفة فيتجنبونها ويؤثرون
الجهل عليها ، وهذه الحياة المخدرة التي يلذ بها كل رجل مشتوك العقل
تدفعهم إلى تقديس القديم ، فيرون في الثورة عليه خروجاً على
الاجتماع ومروقاً من عرفه وتقاليده ، فيسمون فاعله في الدين زنديقاً ،
وفي الادب شعوبياً ، وفي العادات والتقاليد معتوهاً أبلاً .

وهذا الذي يسمونه «الرأي العام» يحفظ لنا انماطاً من الحقائق
المائة ، كالسردين في عليه ، فنحترم ونقدس كل ما تواطأ السلف
على احترامه وتقديسه بلا نظر ولا تأمل ، ويتبع بعضنا بعضاً
كقطيع غنم قائلين : قالوا .. فعلوا .. حكموا .. فلنحكم !

الرأي العام غوغاء يتراكمضون خلف عدو أفلت منهم يستطيع
ان يحولهم معنوه واحد عن وجهتهم - وهم مئات - فيمضون حيث
أشار ولا يسألون ولا يفكرون . والعرف الذي يقدهه الناس أشبه
بالكظيمة (الترموس) التي تحفظ لي القهوة فاترة حتى الضحى ، أو
كالحزاة المثلوجة تصون الطعام حيناً فلا يفسد ولا يدوّد ، فنأكله
ولا نبالي بما بقي فيه من غذاء .

لقد عممنا فلنخصص ، فانا لا يعينني الآن الا الادب ، ولكن
ما الحيلة والادب جذر كل عدد من مسألة الكون العظمى ، أو
كالمثارة التي يراها المسافر في عرض البحر فيحل على ضوءها شيئاً
من لغز ظلمته ...

التعبير جسد الفكرة وقليلًا ما يمثل هذا الجسد الكلامي بحاسن
الروح كلها . واحياناً تكون تلك الروح - الفكرة - دمية
والالفاظ حسنة كبهاء جميلة الوجه والجسد . تراها فتوثي لجمال بلا
عقل ، يعجبك ولا يستهويك . اما نحن ففرضنا الفكرة الجيدة او
الصورة الرائعة التي لا يبدل الكلام عليها الا كما تدل الصيغ الرمزية
على الاجسام الكيماوية ، فهذه لا يفهمها الا من مارس الكيمياء
وعرف مصطلحاتها ، وتلك لا يدركها الا من فهم نفس قائلها .
واحيا الزمان الذي قيلت فيه ، وأعد لها المسكات كما هي المخرج
الحاذق ما يقتضي مسرحه من آلة .

أما التعابير التي تستعمل بلا كيل ولا ميزان ، ولا تشكيل
ولا تغيير ، فما هي إلا مقاييس تخمينية لافكارنا لا تقوّمها تماماً .
انها كذلك القوارير الجاهزة Specialité تعالج بها كل الادواء ،
ولا تشفي من داء . فهبات ان تؤدي الجمل كل ما يحسه الشاعر -
لا نغني الوزانين - وهذا سبب الغموض في بيان عباقرة الشعراء ،
عرباً وعجماً ، حتى عدوا اللغات عاجزة لانها لم تلن لاغراضهم .
ولولا هذا الضيق لم يكن التشبيه والاستعارة والكناية .
وكثيراً ما يتعدى كلامنا الطفاف فنقول عن شيء : تافه .
غريب . مدهش ! ولو فكرنا لرأينا اننا اكرم من رو كفلر حين

يهتز للأحسان فيهب الملايين . وهذا الاسراف والتبذير في التعابير
والالفاظ برهان على اننا نفكر بعقول جيواننا ولا نعتقد ما نقول .
فكم من مرة نكرر صلاة تعلمناها ، وفكرنا هائم ، فتموج الالفاظ
على شفاهنا ولا تلج قرارة أنفسنا . فاذا شئنا خلق ادب جديد
فلنخلعن أنفسنا التي البستنا اياها الاجيال ، ونفكر بعقل جديد
وتعبير حديث .

ان في ذاتنا حقائق مخفية عنا ولا نحاول كشف غطاءها ، ولو
فعلنا لكنت هي وحدها الادب المنشود . فمعظم تقاوينا ومقاييسنا
الحاضرة ستنزل عن منصبها وتبدو لنا انها من خداع النظر . ولا
خوف على الامم من الذين يفكرون تفكيراً شخصياً ، بل الخوف كله
من الطرش المتعصبين لكل قديم الذين يتبعهم جمهور من العميان
المجاذيب ، ولا يقولون ولا يفكرون الى اين ...

ان المتمسكين بالقديم على علاقته ، هم كاولئك الشيوخ الذين
يتناسون عيوب زمانهم ورذائل جيلهم ، ويتأسفون على اخلاقه
الفاضلة ذامين الزمن الحاضر . ألم تتأملهم - تأملهم اذا شئت -
كيف ينقرون الارض بعصيهم متأوهين قائلين : دنيا زائلة ...
رويداً رويداً ياعم ، انت الزائل وحدك . لماذا لم تقرر هذا قبلاً
ابتليت بهذا الرعشان !؟

ان الجحود ، والايمان ، والتمرد على القديم النخر من خواص
القلب المخلص والروح النقية . والتجديد في كل شيء لا يرتجى الا
من هذه الفئة النادرة . ولولا « المنفعة » التي تهاجم الفنون تحت
راية الرأي العام لسار الادب وكل فن بخطى واسعة الى القمة ،

ولكن حب الاشتهار بين (الجماهير) - شهرة تبق صاحبها الى
القبر - يحمل الكاتب ، والشاعر ، والمصور ، وكل فنان الى محابة
الناس والتعلق لهم .. وهكذا يظل المجدد مدثراً باكفان المتقدمين ،
وان غسلها وكواها ليخفي ما علق بها من قبيح وصيد .

الناس بلاء الناس ، يقلد بعضهم كالقروء وتعجبهم حركاتهم
« السعدانية » فلا يملون تكرارها . خذ الفكر العربي منذ ترعرع
ونشأ حتى اليوم ، وأرني عناصر التجديد فيه ، ثم قل لي ماذا قال
« العلماء » في كل جديد عند ظهوره ؟ ألم يسموا الشعراء العباسيين
مولدين ومحدثين ، ولم يحتجوا بكلامهم ؟ واخيراً اذكر ك بما فعله
بشار بن عمه سيديويه .. وابن الرومي بالأخفش ..

ياحبذا هؤلاء المولدون ، ياليتهم نوا وكثروا وملاؤا الارض ،
كما قال رب التوراة لخلق اليوم السادس .. حقاً انهم مولدون غير
معقّمين ، ولو فكر كل عربي بعدهم واعمل رأيه مثلم لابتدع
واستنبط تعابير ومعاني ، الا ان اكثرنا لا يعقلون . نرى وكأننا
لا نرى ، يسيطر علينا الباطن ثم لا نتذكر شيئاً لا من
احلام اليقظة ولا من احلام الليل ، فندونه للعالمين .

ماذا يقول ادبؤنا في شعراء الاندلس ؟ ألا يرون فيهم شعراء
طراز خاص ؟ بل ماذا يقولون في موشح لسان الدين بن الخطيب ؟
ألم يقيموه نموذجاً للشعر الاندلسي ؟ هلمّ تناقش ، على عجل ، مطلع هذا
القصيد الرائع الذي يرويه كل من ألم ولو قليلاً بالأدب العربي وشعره :
جارك الغيث اذا الغيث همي يا زمان الوصل بالاندلس
ماذا ترى ؟ افكر لسان الدين بعقل وبحيط اندلسيين ؟ لماذا

يتمنى الغيث ؟ انه لو افتركر لم يقل هكذا ، لقد شغل عقله تصور
شاعر الصحراء المتقدمة احشاؤه ، فانساه توالي المطر وغزارته في
الاندلس ، فنظم كأنه يثيرب او منى ، وقد التصق لسانه بجنكه ،
ولا يقع على نقطة ماء يبيل بها طرف لسانه .

اتبعني يا أخي ولا تقف ، فسأعرض عليك شريطاً ادبياً تراه
كل يوم في سياحتك العقلية ، واعذرني ، اذا قلت لك ، انك قلما
فكرت به تفكيراً عميقاً . انني ادعوك الى التفكير العميق ،
فخفف سيرك ، المفرق خطر ، خطر الموت !

٢

وبعد فلا بد لهذا الانسان العاقل المجنون من أوهام يرتع بها .
ان خلص من وهم تعلق بآخر ، كالحرباء في الشجرة الغضة الاشبة ،
فالانسان يبني دائماً دنيا جديدة يعيش فيها ، وكلما ظن انه أفلت
من وهم ارتقى في حضن آخر ، كمن يضل في مفازة يهماء تكذب
فيها العين والاذن ، فكيفما اتجه يستقبل أفقاً جديداً ، مدّة
العين والبصر .

خذ مثلاً من يسمون انفسهم احرار التفكير Libres penseurs
احقاً ما يدعون ؟ لا ، وحياتك يا أخي ، قد لا يفكرون مرة
واحدة ، بحرية مطلقة ، في حياتهم كلها . انهم يتابعون من استنبط
هذا الاسم بلا تفكير . وكما في الدين كذلك في الادب ، فالذين
يعدون انفسهم مجددين يقلدون ولا يدرون . وتلك مصيبة ...
من يحلُ بنفسه ساعة ليناقد الادب العربي كيف صرف عشرة

أجيال تدهشه دعوى شعرائنا الصارخة وتبجحهم الاجش في كل حقبة حتى الساعة ، ويستفزع تحت العقول وجودها كالجليد . اذا فتح أذنه جيداً سمع قعقة سلاسل التقليد التي يسحبها شعراؤنا وكتابنا على بلاط الكهوف المظلمة كالحصان المقيد ، ولا يستحي ان يقول : هل كان هؤلاء بلا عقول ، ما خلا نفرأ منهم ؟ وهذا نفر ان حاول التجديد ساعة في شبابه وابدع بعض صور وخواطر — لا أقول اوحى اليه ربه الشعر ، فهذا تعبير مضغه العالم عشرات الاجيال وقد حان ان يلفظه بعد بقطة وجدانه — عاد في شيخوخته الى صيرة المتقدمين ، كأنما انحطاط قواه أعد لبذور التقليد تلك التربة الفاترة فطرت والتفت ، واخذت الوراثة تعمل عملها .

فالتقليد داء أدبنا الويل ، هو تصلب شرايين قلب الادب العربي . والعتيق هيئات ان يلين بعد ما يبس . فلنفتش اذن عن القلوب الفتية . اننا هؤلاء نكتب هذه الحمية ، نكتبها للشباب قبل ان تدر كهم السن ، فالحمية رأس كل دواء .

ألا ترى كيف ندعى إلى حفلات الرثاء فنبيكي على الموتى بعد الف عام ؟ ما أرق قلوبنا وأسخى عيوننا ! لقد صار الشعراء في هذه الايام كالنادبين والنادبات ، وكثيراً ما يمزجونهم في ماتم واحد . والغريب العجيب ان تسمع هؤلاء الشعراء يسألون الشمس ألا تطلع حزناً على الفقيه الغالي ...

اتفق ان كسفت الشمس يوم موت ابن محمد الرسول العظيم ، فأراد أحدهم أن يعدها أعجوبة ، فقال النبي الكريم : ما كان للشمس أن تنكشف لموت أحد ! فهلا قرأ هذا شعراؤنا وكفوا عن تشييع

الشمس وتكفينها وتحيطها ... وهي الأم الحبية ، وهلا اثنتوا عن
تشبيه أحبابهم بها ! فمن يستطيع أن ينظر الى محبوبة كالشمس أو
يقربها ، أفلا يحتاج الى نظارتين سوداوين ؟ ثم من يجب وجهها
بضخامة القمر لا يضارعه الا وجه جدنا الفوزدق رحمه الله ؟ هذا
تشبيه حلا طريئاً ، أما اليوم فصرنا نقرأه ولا نحس ،

قلنا في مقالنا السابق ان اكثر الناس يفكرون بعقول جيوانهم ،
والآن نقرر ان معظم شعراء العرب فكروا بعقول نقر قليل ممن
تقدمهم ، وبأذهان من قلدوهم من العرب والعجم . فمن لم يفكر
بعقل عمر والمتنبى والبهاء فكر بعقل موسى وبودلر ومالرمه وببيرون
وغوت وغيرهم .

قال الشاعر العربي : وسقى ضربك صيب القطر .

والله ما أدري لماذا هذه السقيا ؟ أليفرخ وينبت ويصير دمنه
ترعاها الابل والشاء ؟ أم لتتوي كبده الباردة ؟ أما نحن فأعدنا
كلامهم بلا تفكير ، ورددنا ما قالوه أجيالا ، ولم نتساءل لماذا ؟
وقال الناثر : سقى الله قبره ، وبرد ضريحه ، وطيب ثراه .

تلك صورة انتزعها الجاهلي من معتقده ومحيطه ، فهو وليد أرض
ملتبية وريب خرافات ، فأشفق على من يهوى من الحر والعطش
حتى قال طرفة بن العبد :

فدعني أروّي هامتي قبل موتها ستعلم ان متناغداً أبنا الصدي ؟
أما نحن فما يجعلنا نقول مثلهم ؟ أديننا : وعندنا الجنة وفيها كل
بكر نضير ؟ أبلادنا : وهي غزيرة المياه لا يزورها الحر الا لماماً ،
وإذا مرت ربيع الخمسين صرنا بحاجة الى الدفء .

ألسنا نقول هذا لأننا نفكر بعقول غيرنا ؟

وقف امرؤ القيس على الاطلال وبكى واستبكى ، فأعجب العرب بهذه الصورة الجديدة ، وقتنهم تعبوه الطريف «قيد الاوابد» ثم أخرج صوراً جديدة لم يسبق اليها فخلع عليه الادباء من ثنائهم حلاً ومطارف لم يلبس سليمان يوم عرسه أجمل منها ، فافتنى أثره الشعراء ووقفوا جميعاً حيث وقف ، حتى أدرك المتنبي ذلك بعد أجيال فقال :

إذا كان مدح فالنسب المقدم أكل فصيح قال شعراً متم !
أما الناس فلم يقفوا مطيعهم على هؤلاء الواقفين على الطلول بعد
امريء القيس ، ولا جبروا خاطرهم بكلمة . بيد ان ذلك الازدراء لم
يردهم فظلوا يقفون ويبكون ويملأرن الليالي نواحاً وعويل ، ولا
يزالون يلوكون هذه التعابير ويمطونها كما يفعل الصبي بعلكته .
فيا عجباً لمن يفكر بالوقوف على الطلول ، وعنده فنادق
الاصطياف التي يجري فيها ما لم يحلم به امرؤ القيس وعمر ... فأين
أصحابنا يقفون أمامها ، وهي العامرة اليوم بحسن العرب والعجم ،
والخالية بعد شهرين من ذلك الجمال الفاتن العابت بالاحلام التي تزن
الجيال رزاة ...

وكان الاسلام ، فانفرد الاخطل بوصف الحرة وفاق من تقدموه
وعاصروه ومدح الملوك مدحاً يهزم ، لانه نجيتهم وجلسهم وحليفهم ،
فسا بالناس نسمع حتى اليوم من هم كيوحنا لا يشربون خمرأ ولا
مسكراً يحدثننا بلسان الاخطل وأبي نواس وغيرهما ممن لم يصحوا
ساعة في حياتهم حتى قالوا : وما العيش إلا مسكرة اثر مسكرة ... ثم لا

يُحْجَلُونَ أَنْ يَمْدَحُوا أَوْ يَرْثُوا مِنْ لَمْ يَرَوْا لَهُمْ صُورَةً وَجْهَ ...
وفكر عمر ابن أبي ربيعة بذاته فوصفها وصفاً واقعياً دقيقاً
فأعجب الناس بقوله، وشاقهم تعبيرة: حَيَّرَ الدَّمْعَ ، وماء الشباب ،
فقلده من أتوا بعده ولا يزالون. ولودري المقلد إنه دون المقلد منها
سما خياله ، واتسع فكره ، وطاوعه الكلام ، لعدل عن التقليد ،
ولم يصبه ما أصاب بسمرك داهية الألمان بعد خطاب إنكليزي القاه
في لندن ، فاستحق ثناء مفكري الانكليز إلا واحداً منهم فسانه
هزَّ يد المستشار قائلاً له : ضُغِعَ في جرمانيا ، فعرق بسمرك ، وضحك
السامعون متألين ...

وأعجب العجب أن يقول شاعر قصيدة مطلعها : بانث سعاد ،
فيلبس أشرف جبة ، ثم يأتي بعده زهاء مائة شاعر يقولون قصائد
أولها « بانث سعاد » ولا يلبسون قميصاً ، حتى يقوم في آخر الزمان
شاعر طريد - احمد فارس الشدياق - ويقول قصيدة استهلها ببانث
سعاد فيحمل على بارجة ويكرم أيما إكرام ، ولا أدري بل لا أضمن
أننا انتهينا من بانث سعاد ...

قال امرؤ القيس : ألا أيها الليل الطويل ألا انجل ، فرددوا
قوله أجيالا ، حتى أدرك ذلك بشار الاعمى فقال :

لَمْ يَطْلُ لَيْلِي وَلَكِنْ لَمْ أَنْمِ وَنَفَى عَنِّي الْكَرَى طَيْفَ الْمِ
إِنْ فِي هَذَا الْبَيْتِ حَقِيقَةٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا الْمَغْرَمُونَ ، فهُمْ ، وَحَدَثُهُمْ
يَعْرِفُونَ مَاذَا يَفْعَلُ الطَّيْفُ إِذَا طَرَقَ ، وَعَرَضَ بَيْنَ الْأَهْدَابِ
وَالْأَحْدَاقِ ... وَكَأَنَّ هَذِهِ الْفِكْرَةَ لَمْ تَرَقْ لِابْنِ الْفَارُضِ بَعْدَ أَجْيَالٍ
فَأَخَذَ يَتَأَوَّهُ وَيَتَمَلَّلُ عَلَى فِرَاشِهِ هَاتِفاً :

باليـل مالـك أولـ^١ يرجى ولا للشوق آخر^٢
وقال الاخطل : ما زال في ماردين الزيت يعتصر ، فتابعه
الكتاب والشعراء وقالوا : ما غرد القمري^٣ ، وما كرت الجديدان^٤ ،
وما اختلف الملوآن^٥ ، وما ذر شارق ولاح بارق حتى وما بل^٦ بحر
صوفة... وهكذا دواليك ، وان طلبت التتمة وجدتـها عنداهمـذا في
صاحب كتاب الالفاظ .

وانتشر القرصان في بحور الشعر ، وكثر صعايلك الادب كثرة
رابعة ففزا المتأخرون المتقدمين حتى تناولوا الفكرة الواحدة
وصبوها بألف قالب وقالب ، كأن الغزو سنة عربية لا يحيد عنها
حتى في الادب . وهذا دليل على ان الاحفاد لا يفكرون فقالوا
الشعر في غرض واحد ، ولم يختلفوا في التعبير إلا قليلا . ان هذه
القبالب لا تزال مصفوفة في دواوينهم كالتي يصنعها الفاخوري
لجراره وأباريقه وأكوازه وصحونه ، فاذا لم يقم من يحطمها ويبتدع
أنماطاً جديدة تأخذها العين فالادب العربي لا يتجه اتجاهـاً مستقيماً
الى التجديد .

- ٣ -

وصم متمشرق العرب بضؤولة خيالهم فنحنا نحوه كل متمشرق^٧
ومستعرب^٨ ، ولم يفكروا ان العربي البدوي رحالة لا يقر له قرار ،
فهو لا يثبت في مكان ليظيل التـأمل^٩ ، أنهاـمه سائرة وهو سائر
وراءها ، لا يستسلم لعقـلة الباطن لتتجلى له الرؤى فهو حسي واقعي
واذا استمرأ المرعى واستقر بمكان الى حين ، فهو كاخيه الذئب

ينام باحدى مقلتيه ويتقي باخرى المنايا ...

ويعيبون عليه ضحل مباحثه كأنهم مجهلون ان الراعي لا يخلق الارض خلقاً ، ولا يقتلع الانبثة من جذورها ، فشان العربي في بيانه شأنه مع قطعانه ، وهو كالنحلة تلثم الزهرة ولا تعضها .

ذاك شأن القدماء ، أما الجدد فترسوموا خطى الاولين قائلين : انما وجدنا اباؤنا على أمة ، وانا على آثاريهم مقتدون . لم يخرجوا عن دائرة رسمها لهم الغابرون لاعتدادهم بانفسهم وتقديسهم السلف . أراحهم الاسلام من تأليه اللات والعزى ، ولم يرحمهم من تقديس شعرائهم وتنزيههم حتى العصمة .

قال بول كلوديل في معرض كلامه عن هيفو : لا شيء عيت الامة كالاستنقاع في بؤرة التعفن والفساد ، وكالاطمئنان الى الراحة والارتضاء بالدون ، وكترك الواجب والتردد في التضحية . وهذا ما أصاب العرب في الادب فقصروا في مضاميره .

أما هؤلاء المتمشرون ، فلا اراهم يفهمون لباب الادب العربي فهماً صحيحاً ، بل يفهمون تاريخه . وتفهم تاريخ الادب غير متحيز نصوصه . فتوجوا الشعر العربي الى لغتهم كما فهموه ، ونظروا الى ما قال الشاعر لا الى كيف قال ، ففاتهم جمال التعبير ولم يأبهوا للموسيقى ، كأنما الشعر يقوم بمعناه دون مبناه ، فيجاءت تراجمهم متشابهة الصور متاثلة لانهم فهموها فهماً سطحياً .

لا يذكرني هؤلاء المتمشرون غير اخوانهم المرسلين الاجانب الذين يعطون في كنائسنا برطانة تضحك الشكى فوق النعش ، وتفقد الهيكل مهابته والشعب خشوعه ، يظنون ان

الوعظ ما يفعلون فتجيء عظمتهم ملهاة ومسللة ...
فما قولك في الذين يزعمون ان الشعر الرفيع يقوم بالترجمة ،
وبجاريهم في زعمهم فريق منا ... ؟ فالربحاني أدلّ بهذا المذهب في
كتيبه « انتم الشعراء » وتمثل الامثال .

لا أرى الشعر يقاس بالترجمة - نعني الشعر لا النظم - وكل
قطعة فنية في كل ادب تذهب بروعتها ترجمتها . خذ الشعر الجاهلي
وترجم منه ما شئت ثم قل لي ماذا أبقت منه الترجمة ؟ وهذه
التوراة ألم تفقدها الترجمة شيئاً بل أشياء من روعتها الشعرية ؟ ..
فلأقولّ عنك الامر . هاك ، مثلاً ، ترجمة كليمان هيسار لشعر
عنتره ، فهو يقول ان عنتره هو القائل « اننا ندور كما تدور الرمح
على قطبها ، بينما سيوفنا تنفتحت على رؤوس محاربينا » .

أعرفت أي بيت ترجم من شعر عنتره ؟ وهل بقي شيء يقال
له شعر ؟

خذ مثلاً آخر ، ترجمه نجيب الحداد لقطعة هيفو (واترلو) .
راجعها في منتخباته ، وقل لي أين الشعر فيها ؟

قال شلي : كل شعر سامٍ لا يجد ، قد تزيح ستاراً اثر ستار
ولا نصل إلى جماله الحقيقي ، فماذا يبقى من الجمال الذي يعنيه
الشاعر إذا ترجم هذا الشعر ؟ وقال أيضاً : الشعر في رائحة الورد
ولونها لا في نسيج العناصر التي تتألف منها . فلفحة الشعراء تظهر
دائماً بلون خاص ، وموسيقى لها صداها ، وبدونها لا تكون
شعراً ، فترجمة الشعر ضرب من العبث ، ومن يحاول ترجمة شاعر
إلى غير لغته كان كمن يلقي بنفسه في بوتقة ليكشف امرار

لونها ورائحتها .

قال فالري : الناثر يمشي مشياً ، والشاعر يرقص رقصاً ، وهل يكون الرقص بلا وزن ؟ وأين الإيقاع الذي ينفق الشاعر ساعات وشهوراً لأحداثه إذا ترجمت شعره إلى غير لغته ؟

بذكرني هذا القول بـ «ولز» عندما كتب كتاباً يعارض فيه سقر ايوب ، فقال بلسان بطل روايته — وهو أب مات ولده ، فعزاء الناس بخلود روحه في السماء — فاجابهم : أنا أحبيت زوجته لا جسده ...

فاذا كان الشعر يقاس بالت ترجمة فما هو الذي نسميه فناً ؟ الفكرة التي يرمي اليها التمثال هي الفن ، أم ما في التمثال من حياة ؟ ان تكن الفكرة فلنقم نصباً كما كان يفعل العرب ونسميه هبل والعزى ، أو فلنحفر فكرتنا في حجر وندعو الناس إلى الإعجاب بها كفن . وإذا كان هذا فأى فرق بين تمثال يحفره رودين ، وبين ما يركمه الصبيان من الثلج في شباط ليخلقوا منه تمثلاً ؟..

وقياساً على هذا تغني زجاجة من الورد عن جنينة ضاحكة ، وألفية من ماء الزهر خير من مشهد بستان منور في صيداء ، فلا تعود تشاق ايار نفوس الورى ... ولكن هكذا قال بعض المتشركين فلنقل مثلهم ، فلنحترق ما قالوا ... هكذا حكموا . فلنحكم ! قلنا ان المعنى روح والتعبير جسد ، وهذه الكلمة قالها العتاي منذ الف عام وازيد ، ولكن الهمداني وغيره من مصنفى كتب الالفاظ يريدون أن تكون الاجساد كلها متائلة ، ولو كان ذلك ملل الناس بعضهم وذهب ما نسميه «جمالاً» ، فما قولك ، أراحك

الله ممن يفكرون بعقول جيوانهم ، بوجوه متشابهة تروح وتجيء في مكان واحد ??

ان هذا ما أصاب أدبنا المسكين فكثرت الجرّة فيه وصار كزراً . تعابير ككسر يابسة في جراب متكرش ، وانشاء متورم كالحم نفخه الجزار ، وتقليد طويل العمر فلم يستنبط بعد المتقدمين تعبيراً جديداً الا شعراء قليلون جداً وأقل منهم استنباطهم . ما أشبههم بالنحاة الذين يصفون كتب النحو ولا يزالون يثلوث بـ « عندي رطل زيتاً » ، والزيت ملء الارض في هذه الديار ... (فلو قرأت احمد شوقي ، مثلاً ، رأيت عنده تعابير جديدة ولكن أكثرها منبوش من أضرحة القدماء . فهو كالذي يعثر عليه الأثريون في مدافن جيبيل والأقصر ، وما أحدث شوقي بضعة تعابير حتى تناقلها عنه شعراء اليوم مثل : رفرر الخلد ، وجارة الوادي الخ .)

(الشعر موسيقى قبل أي شيء آخر ، ولهذه الموسيقى معنى ، وإذا فقدته فهي ألحان مشوشة لا تطرب ولا تهز . وكما تتجدد الموسيقى وتنوع هكذا يجب ان يتطور الشعر ، ولن يدرك هذا الا بخلق تعابير جديدة لها رنة وصدى ووقع طيب في النفس ، فقد مللنا تعابير الاقدمين كما مللنا ونمل كل لحن يكرر ويعاد كل يوم . فالالتجاء الى هذه التعابير الهرمة يقتل المعاني في أدبنا ويلهينا عن التفكير .)
فالشاعر كياوي الفاظه الاجسام يؤلف منها مخلوقات جديدة ، وهو كالنباتي الذي يخرج من نباتين نباتاً ثالثاً له خواصهما ولكنهما غيرهما .

و كما يطعم النباتي شجرة بركة فتصير بستانيّة ، هكذا يفعل
الشاعر في الالفاظ حين يركبها تركيباً فنياً . اريد أن لا يفهم من
هذا اننا ندعو الى نبذ القديم وتركه بجملته . اننا ندعو الى ترك
تعابير عمت حتى نخت . ندعو الى أدب جديد ليس كما تخرجه لنا
الطباعة من رسوم رافائيل وميكالنج ، وليس كالخطوط التي يرسمها
الصبيان على الحيطان ، فمثل هذا الادب يجب أن يموت لانه لا يكون
من مواليد الحياة والسعادة . اننا ندعو الى أدب له جمال الروح
والجسد ، فالمعاني هي الخطوط أما التعابير فهي الالوان .

لم ينبذ القدماء ابن الرومي الا لجهومة الفاظه وابتذال تركيبه
وتعبيره . وهذا خير معبر لنا عن ذوقهم الفني ، أما بعض أدباء اليوم
فلم يكرموا ابن الرومي هذا التكريم الضخم الا لابتلائهم بدائه .
ولم تكن الجرة في التعابير فقط بل اجتار العرب المعاني فما
زالت الحكمة تتناقل من أبي العتاهية الى الزهاوي ، وما زالت
الاغراض هي هي ، والتعبير هو هو . فلو تصفحت ما قيل في حفلة
(الفردوسي) وحفلة (المتنبي) وما قيل في (وديع عقل) يوم موته ،
وقابلته بما قاله هيفو في تيوفيل غوته ، ظهر لك أن تصيدنا تعابير
الاقدمين ومعانيهم يقتل شعرنا الحديث .

وأقوى مشجع على هذا الشعر الخفيض كبل الصحف الثناء
لهؤلاء المجترين . فكل حفلة عند الصحف شائعة ، وكل قصيدة عصماء
رنانة أو قطعة من الخلود ، وكل خطبة حجاجية طارقية . لا أكتف
أنني سررت جداً بما قرأت من فصول نقد حفلة المتنبي . وأعجبني
مقابلة الصحافة كلاً بما يستاهل ، فليت الكتاب الذين يعنهم هذا

الامر بدققون اكثر ، ولا يرحمون هؤلاء الذين يركبون المنابر
ليسمعوا الناس مبتذل القول .

وما زال الشاعر العربي يفكر بالتعبير الذي تقضى شبابه وذهب
وقته فهيات أن يبدع . وما زال يتخيل اننا نقيسه بالمقدمين لا
يخرج من أقيمتهم السوداء ...

قال الدكتور غرمانبوس المتمشرق المجري : ان الشعر العربي
في ادواره كافة يتجه اتجاهاً واحداً نحو الافراط في العناية بالالفاظ
اذ يعتمد الشاعر الغوص في محيط اللغة حتى يختار الالفاظ المختارة .
وفي سبيل هذه العناية تضع من بين يديه الغايات العاطفية والفكرية
التي من أجلها - نظم القصيدة ، فكان الشاعر يرى ان القصيدة
ليست سوى طاقة من الالفاظ البارزة الجميلة .

لا يادكتور ، اننا نشكوقلة الابداع والتفتيش في محيط اللغة ،
اننا نشككي ادبنا من تعابير بعينها يحترها الشعراء . فلو قرأت
شعرنا قراءة متأناً لرأيت أن شعراءنا لا يغوصون في محيط اللغة
كما توهمت ، بل يغوص المتأخر في بحر المتقدم حتى جاءت التعابير
والالفاظ هي هي . وهذا الذي جعل الشعر العربي كريهاً
مقيتاً . ما أشبه شعراءنا وكتابنا بولد يأخذ عن أبيه تعابيره ونبراته
ومعانيه فلا ترى الانسانية في هذا المخلوق إنساناً جديداً . ان ترمت
نقاد العرب حصر الادباء في نطاق ضيق من التعبير فصار الأدب
إلى ما صار اليه .

والجمهور أو الراي العام أضخم حجر عثرة في سبيل تقدم الفنون
كلها ، فهو الذي يخلق الجمود في كل شيء وخصوصاً في الأدب

والدين . فاللغويون يقفلون الباب بوجه اللسان ، واللاهوتيون يسدونه بوجه العقل ، ويحرمون التفكير ويتمجمون على أصحابه ، كما فعل احد الآباء في رده علينا بالبشير . ولا بأس عليهم ان لا يفتروا مدافعين عن الله كأنه الله من حزبهم ، كما قال غوبلز ، أما الرأي العام فهو عبد الفريقين .

قال جورج سورل : قد كان غضب باغي Péguy شديداً عندما ظهر كتاب روستان Rostand وتناولته الصحافة بالاطراء وقامت الضجة حوله ، وتغاضت عن كتاب باغي « جان درك » الذي ظهر في تلك الفترة عينها . اعتقد باغي انه مضام مظلوم ، فأفهمته ان الفن الحقيقي لا يمكن ان يدركه الناس كما يدركون الانتاج العادي ، وانه يجب ان تنقضي عدة سنين على الفنان ليعرف قدره ، فدقة الفن الفئانية لا تفهم فوراً ، وكل غرابة تدهش وتنبذ بايديه .

ثم يعقب سورل على هذا الكلام قائلاً : أما باغي فلم يجب ، والسكوت دليل الامتناع . ويقول سورل ان « جان درك » باغي طريقة فنية النخ ...

فاذا كان التجديد يسبب لصاحبه غضباً وسخطاً في أمة كادت تبلغ الاوج الفني الادبي ، افلا نعذر العربي اذا خشي التجديد ولم يجرؤ عليه ، وارضى الجمهور كروستان ؟!

وهل اكثر خصوم المتنبي غير جنوحه الى التجديد ، فشقه طريقاً جديداً اكثر من المعجبين به - اللهم من الذين لا يقدسون القديم ، وما اقلهم - ولا يرون في الشعر الجاهلي ما نراه نحن في قداسة

*

والآن قد حان ان نر مرة عجلى بما يمضغه الكتاب والشعراء
من تعابير ، وما يجتروونه من جمل ، وما تتلقفه اقلامهم من الفاظ
كأنها كرة وضعت لصوالجة ...

يقولون: بعد الثريا عن الثرى . قالها عربي مولع بالجناس فجلت
يوم مولدها . ويقولون: مزجر الكلب ، قالوها يوم لم تكن الكلاب
تجلس على مقاعد الرجال وفي احضان السيدات وتنام بين اذرعهن ...
وقالوا : لله دره ، ولفظ كالدر ، وقصيدة عصماء ، ونفثة مصدر ،
وكان على رؤوسهم الطير ، وكن افواه القرب ، وكفني عرق
القربة ، وشاعر فحل ، واقتض ابكار المعاني ، وتقليم الاظافر ،
وذقر قرن الغزالة ، وارخت حبالها الذهبية الخ ..

اهكذا يكون البحث في محيط اللغة يا دكتور غرمانوس ! لا
والله ، فلو كانوا يبحثون لما حلت اللفظة الواحدة عندهم محل عشرين ،
ولو كان التنقيب الذي زعمت لما كانت هذه الرخاوة في منشورنا
ومنظومنا . ان الفاظ العربي اليوم كعباءته ، فهي لا تصلح لواحد ،
وتصلح لكل منا على وجه الارض ، هي ثوب يشمله وان لم تفصل
لتلبسه .

فلنسأل الدكتور المتمشرق - ان هذه الالقاب الضخمة
ترعب - ما يقول في تقليم الاظافر ، وقد صار موضة يدين بها حتى
بعض الكهنة العصريين ... وعندنا ، بعد ، من يستعمل هذا التعبير
كأننا في قلب الصحراء ، زمن تأبط شراً ، والشنفري ، وكل

صعاليك العرب .

وما رأيہ بعرق القربة ، والمياه توزع على البيوت وتكاد تحرق في كل غرفة ؟! بل ما رأي جنابه باقتضاض ابتكار المعاني ، اليست من ملائمت الشاعر الفحل ... كم واحداً يفكر بما يكتب عند ما يحفظها على الورق ؟..

بل ما رأي القراء بالزخشي القائل : فلان فقيه عالم بذوات الضبع وذوات الحمل ، انني اعجب كيف لم يهتد اليها الكتاب ليستعملوها في وصف الشعراء والفعول الذين يقتضون ابتكار المعاني . والله دره ، أي در نعني ساعة نقولها متعجبين ولا نياق عندنا ؟! وما تقول بنقطة مصدور ، وكثيراً ما يستعملونها ؟ اترتاح النفس كثيراً الى رؤية البصاق مصوراً على الورق ؟ اشهد ان نفسي كادت تجيش عندما قرأت مثل هذه العبارة لولي الدين يكن : « عينان كأنهما بصقتان » وأسفت ان يستعمل اديب متأنق مثل هذا التعبير .

وافواه القرب ما يذكرنا بها وعندنا الميازيب والشلالات ؟! وطلوع الشمس أنظّل نعبه عنه بنذر قرن الغزالة ، وارخت حبالها الذهبية ؟.. فاین الذهب لنذكره بعد ، اما غرق مع ذكاء الشاعر فياض ؟..

وما رأيك بشاعر كالبارودي يصرخ :

هل من فتى ينشد قلبي معي بين خدور العين فالاجرع
وعنده مدينة تضيق فيها الجمال المحملة هشيم برسيم وأرز ،
ومدنية تستغوي الحبيس . وما تقول بماء وجرة يذكره ابن عاصي

حماء - الفارض - القاعد على ضفاف النيل ؟ ...
حقاً يا كلوديل ان التعفن آفة الفكر البشري ، وما اكثـر
المجترين ...

- ٤ -

اما الصور التي اجتروها في قبولة الفكر العربي ، وقبولة الفكر
اجيال واعقاب ، فنظرة الى أي ديوان شئت تريكمها متكئة على
الارائك والصفف ... شبه بدويّ النظرة بالسهم ، والحاجب
بالقوس ، فاجتر تشبيهه كل من قال شعراً من المتبددين والمتحضرين .
لقد شبه ذاك البدوي بما لديه من آلة حَبَرَ آلام وقعها وزعها ، فما
للحضري يرددها حتى اليوم ولا قوس عنده ولا سهم !!
وشبه آخر القد بالغصن ، والاصابع بالغناب ، والعين بالترجس ،
والحد بالورد الخ .. فصارت قدود الحسان جنات تجري من تحتها
الانهار ... وشبه أحدهم صدغ الحبيب بالعقرب فصرنا لا نرى الا
عقارب يصورها المتأخرون والمتقدمون تارة سائلة أذناها وطوراً
مرتحية ...

ان زعم المتقدمين « من سرق واسترق فقد استحق » مهد لهذه
الجرة ووطأ لها فقل التفكير وابتذل التعبير . واذا شئت ان ترى
فاستعرض كتب الادب كالمثل السائر والصناعتين والوساطة
وغيرها . لسنا ننكر على بشار اجادته حين قال :

وكنا اذا الجبار صعر خده مشينا اليه بالسيوف نغاتبه
فقد بزّ الفرزدق بصورة فيها كل الفن واللباقة والتنوق ،

ولكننا نلوم ابا نواس في تضمينه بيت بشار وافساده إياه . قال بشار :
يا رحمة الله حلي في مساكننا حسي براثة الفردوس من فيك
وقال ابو نواس :

يا رحمة الله حلي في مساكننا وجاورينا ، فدتك النفس من جار
ماذا قال ابو نواس ؟ الا ترى انه لم يفكر ، بل خطر على باله
مثل النجاة : يا جارتا ما انت جارة ، وعنت له التفدية ، وما اشيع
هذه الكذبة عند العرب ، فقال : فدتك النفس من جار ، وكل
بيته . وابو نواس شاعر امام ، قال الجاحظ في شعره : هذا شعر
لو نقر لطن . ارايت عمل الرواسم في الادب العربي ؟ !
قال النقاد : ان بشاراً شاعر لا صبر له ولا جلد . ما صدقوا فيما
زعموا فبشار جليد في الشعر الخالد ، ولكنه كان مهزلاً ماجناً فترك
كل شيء في شعره على علاته ، اللهم في الشعر الذي نسميه شعر
الساعة ، يقوله الشاعر ارضاء لمن يُبهرمونه ، اما فيما عدا هذا فلبشار
شخصية أبرز من الشمس وانم من الريح ولا تجدها في شعر
شاعر عربي .

قال طرفة الجاهلي : فدعني أروي هامتي النخ ، فقام شاعر بعد
اجيال يقول :

فيارب ان اهلك ولم ترو هامتي بليلي امت لا قبر اعطش من قبوري
كأنما فتنت هذه الصورة شاعرنا فنسي دينه الخفيف مهدهم خرافات
وعقائد الجاهلية .

وقال ديك الجن الحمصي يجتر في احدى قيلولاته :
وعقدتُ بين قضيب بان اهيف وكثيب رمل عقدة الزنار

فصرنا نرى في قدود الاحباب اغصاناً ، وفي الاكفال كنبانا .
 شكل غريب مدھش تصوره ديك الجن فمثل لنا حبيبه كالنحلة او
 الزنبور ... ان كتيب هذا الشاعر المأفون يغلي ثمنه اليوم الاستعمار
 الصهيوني ، ولا يحى مواته الا خبير بزراعة الليمون والموز ...
 وبعد فما اصرح الاخطل القائل : نحن معاشر الشعراء اسرق
 من الصاغة . لقد صدق التغلي ، وان يسرق فقد سرق اخ له من
 قبل ، هو الاعشى ، كلاهما سرق صورة النابغة ، ولكن الاخطل
 اخذها بشحمها ولحمها فقال : وما الفرات اذا جاشت حوالبه الخ .
 ان هذا التقليد عاق الفكر العربي عن اتجاهه ، فلم يتجه
 شعراؤنا في تفكيرهم الى سمت معين ، ولم يندشوا مثلاً اعلى ولا
 افتحوا آفاقاً جديدة في تفكيرهم وتعبيرهم . تقرأ شعر متأخريهم فلا
 يصح لك منه شيء ، يقال له شعر لم يقل مثله ، وترى التضاد في
 شعرهم جميعاً . واليك مثلاً أكبرهم شيخ المعرفة ، فيينا هو يقررنا
 على قضية اذا هو يضادها حين تراءت له اخرى احب ان يتبناها ،
 فكأنما هو ينظم ارجوزة في النحو والصرف كابن مالك ، ولذلك
 تظهر شخصية شعرائنا كثنين رؤياً يوحنا بسبعة رؤوس ، ولا يفهم
 من هذا ان المعري إمامة بل انه كالراديو تتغلب طفيليات احياناً
 على ما يذيع على الملأ .

خذ مثلاً بشاراً وعمر وابانواس والمتنبى وابن الرومي وغيرهم
 فانك تراهم مجددين ومقلدين في وقت واحد . اذكر لك منهم ابن
 الرومي ، اما انت فتقص من شئت ، فابن الرومي مجدد ومقلد في
 قصيدة واحدة ، وما تلك إلا قصيدة «وحيد» المغنية التي يعجب بها

ادباء عصرنا ، ففيها يشبه الرومي قدّ وحيد بالعصن وجيدها ومقلتها
بالظبي ، وخدها بالنار ، وريقها بالبرد ، ثم يراها ظبيّة وقمرية ،
وينعت الحافظها بالضعف ولا ينسى عقد السحر التي خبرنا عمر في
« داليتّه » ان هنداً التي لا تنجز ما تعد نفقتها له ، وهلم جرا . اما
حين وصفها فأرانا « وحيد » راقصة نكاد نصفق لها اليوم ، ونعطيها
نصف ملكنا كهيروودوس .

واذكر لك شاعراً آخر من منافسي المتنبي وهو البيغاء -
والبيغاء والسريّ الرفاء لو لم يظهر مع المتنبي لكاناه - فالبيغاء
يصف الربيع ويذكر نرجس العيون ، وشمس العقار ، كما فعل
المتقدمون ويفعل المتأخرون والمعاصرون .

ومن كتابنا الاحياء خذ مثلاً العقاد فانه يكتب كتاباً ضخماً
في ابن الرومي سبقه الى موضوعه المازني ، ولم يزد العقاد عليه إلا
دراسة عصر ابن الرومي ، وهي بالتاريخ اشبه منها بالدراسة الادبية
الفنية ، دراسة واسعة غير عميقة ، كادب طه حسين الذي عرفه
العقاد في هلال يوليو ١٩٣٥ .

ثم حاول العقاد ان يجدد في الشعر فنظم ما سماه غزلاً فلسفياً -
ما أقل عقل الحبيب المتفلسف - وكرّ كرة اخرى فنظم لنا قصيدة
خنثى ، لا هي فكاهة ولا هي جد ، بل هي نظم قنفذي ككل شعر
عقادنا الجليل ، واليك مطلعها :

البيلا البيلا البيلا ما أحلى (سلب) البيلا
وان شئتُها كلها فأرجع الى هدية الكروان (ص ١٣٩) . نشدتك
الله ان تقرأ هذه الرائعة ، فالبيلا هي البيرة ، وسلب هي شرب .

وتغرب العقاد فنظم في الشيطان الذي لم يبق شاعر غربي ،
 قديم او جديد الا قلد شاعر عوص - ايوب - وقال فيه شعراً ،
 - تلقيت مجموعة شعرية موضوعها لوسيفورس - فجاءت قصيدة
 العقاد التي سماها طه حسين ملحمة ، من الشعر العقادي البارد الذي
 يقول خيراً منه طالب موهوب متمرن ، شعر لا يرن ولا يطن ،
 انخرس يتوكأ على عصوين ويتهادى بين اثنين - عبد الرحمن صدي
 وطه حسين - فاني له يرقص رقصاً كما يريد الشعر بول فاليري ،
 وصاحب هذا النظم ، « الفقير » الى ربة الشعر ، كما يوقع
 المتواضعون من رجال الدين يحدثك دائماً عن الفن ويتغنى بجماله ،
 رحم الله مجنون ليلى فقد مات ولما يبلغ وطرا .

فلو تكون الاعمال بالنيات في الشعر ايضاً لوقع اجر هذا
 الفاضل علينا وجعلناه فوق سدره المنتهى حيث وضع بشاره الخوري
 احمد شوقي ، ولكن الفن لا رحمة ولا هواة فيه . الفن غير الدين .
 مريدهشني ان من ينظم مثل هذه السخافة التي يسميها طه شعراً
 يقول بمعرض كلامه عن الادب العالمي (صوت الاحرار ٩ ك ١ ،
 ١٩٣٣) : « ربما كان لنا الآن أدب صالح للذبوع في لغات العالم لو
 تيسرت له وسائل الذبوع » . طبعاً لا يعني العقاد غير شعره ، لان
 شوقياً في نظر العقاد كالعقاد في نظرنا او اقل .

فأي وسائل ذبوع يرتجي العقاد غير الترجمة ؟ اما قال صالح
 جودت في مجلة الامام (١ ديسمبر ١٩٣٤) (رحنا نعرض شعره -
 أي العقاد - للترجمة الى الافرنسية والانجليزية ، وندفع بعض
 الادباء لترجمته الى اليونانية » .

حاشية : اخال او أزعم ، كما يقول طه ، ان بغية العقاد من ترجمة شعره الى اليونانية ايضاً أن تيسر للناس المقابلة بين شعره وشعر هوميروس ... اذكر جيداً انني قرأت للعقاد كلمة في الالاذة حين ترجمت ، فرأى حضرته شعر هوميروس يكاد يكون هراء في هذا العصر . قد يصح هذا الكلام بشعر هوميروس اذا قارناه بشعر العقاد ...

ثم ماذا صار يا صالح ؟ الم يصير شعر العقاد عالمياً ؟ حقاً ان قصيدة البيلا والغزل الفلسفي وقصيدة الشيطان التي زعم لنا طه انه قرأها وقرأها وقرأها ... لمن روائع الادب العالمي ، ومثلها كل ما نظمه العقاد ببرايعته وكتبه بنبوته .

(وهذا ايليا ابي ماضي يحاول التجديد ، ومومياءات الاقدمين لغويته بمظاهر لا تعد ، كأنها الشياطين في اسطورة القديس انطونيوس (راجع رواية فلوبيو) فيرصفها بين عذاراه الطريفة ، فتبدو كحصىات فسيفساء في جدار جل ما فيه حديث . خذ مثلاً قصيدته التي يختم كل مقطع منها بـ « لم أجد أحداً » ، اجث لتعلم من أي شاعر قديم استعار هذه « اللازمة » .

ثم خذ قصيدة اخرى سينية عنونت بهذا الشطر « وبلادنا متروكة للناس » فتراه فيها يشبه كامريه القيس (بمساجح الرهبان في الاغلاس) كأنه نسي ان زماناً كانت فيه للرهبان مسابيح تضاء في الاغلاس قد انقضى عهده .. ثم لا يحجم ايليا ان ينفخنا بالكذب ، ويأخذ تعبير الشاعر الاموي عينه « حز مواسي » ليسد به ثمة قافية في القرن العشرين .

ويستعمل هذا المثل ، محشوراً ، فيقول : وضربت اخماسي الى اسداسي . ومحصول كلامه دق الكف بالكف للتجسر ، وليس هذا مفاد المثل العربي : ضربت اخماساً الى اسداس ، الا اذا كانت يد من يقوله سداسية .

وفي قصيدته « الفراشة » مخاطبها قائلاً :

وكما نورت في السفح زنبقة حشت للسفح من شوق مطاياك
ذكرني تعبير ابي ماضي هذا بقول المنفلوطي لفرح انطون ، حين عاد من اميركا الى مصر او حين ذهب الى اميركا - لا اذكر جيداً :
ان كنت لا تبغي لنفسك راحة فأرح مطيك والدني وبنيها
ففعقب فرح المجدد على بيت المنفلوطي هذا بقوله : اننا راكبنا
الباخرة فلانة فلا خيل ولا نياق .

فنصبحتي الادبية الى الشاعر ابي ماضي ان ينقي شعره من هذا الزؤان ، من هذه التعابير البائخة ، ويبدع تعابير جديدة تليق بشعره العصري ، فالشعر موسيقى اولاً ، والنغم المبثمل لا يهـز النفوس .

ثم ما قولك بالزهاوي - اراحه الله في ضريحه من منكر ونكير -
القائل في فردوسيته التي يأتي ذكرها مع الفردوسيات والفردوسيين :
ولقد سرتني كما سر غيوي ما بها من نواهة الاحكام
زرت بالامس الروض امتع عيني واذا الورد فيه ذو اكمام
أي فرق بين هذا الكلام وبين تحليلات الصحف ؟ فهل تقول
بعد هذا : من قال السماء فوقنا ، والارض تحتنا ماذا قال ؟ ...
ولكن كل كلام يستقيم وزنه هو الشعر عند الزهاوي والعقاد فيها

بيضضا دجاجة واحدة في النظم ، وان رجح الزهاوي وشال العقاد
في الميزان . فسبحان مقسم الارزاق وواهب القرائح !

- ٥ -

وهذا اخونا بشاره الحوري يقول قصيدة وطنية ، مطلعها :
عش عزيزاً او مت بها مستقلاً . فيذكرنا بالمتني القائل : عش عزيزاً
او مت وانت كريم . ثم افتتح قصيدة اخرى بقوله :

جعلت رسولي نسيم الصباح اليك وطوسي خدود الملاح
مليح وأي مليح هذا الطرس يقده صاحبنا من خدود الملاح
ايصح فيه قول المثل : من يقص من جلد غيره يوسع . اما رسوله
نسيم الصباح فيذكرنا بقول « الميجانا » : ياربج ودّي للحبيب
سلامنا . وقد يكون شاعر الميجانا أروع وأرق .

وفي هذه القصيدة التي بناها شاعرنا على الحاء لا شيء إلا لأن
المنظومة له اسمه صلاح ، يأخذ بشارة قول بشار :
إذا ابتظنتك صروف العدى فنبّه لها عمراً ثم نم
فيقول :

إذا شاقك الشعر حر النجار فنبّه له العربي القحاح
قابل ايها القاري العزيز ، بين القولين ، تجدهما متقاربين
كالسميين ، أي بشاره وبشار ، ثم قس انت على ما قيل ما لم يقل ،
ولا تكلفني ، وحدي ، الاستقراء .

ونظم الشاعر الذي لا يجحد فضله على الشعر العربي ، فقد
اجرى في عروقه دمأً جديداً . وهذا الشاعر هو خليل مطران ،
قال شعراً متصغي اليه الاجيال مهما عتق ، ولكنه حين شاء ان

يرثي حافظ ابراهيم قال :

عظم الله فيك أجر الصاد وبنيها من حاضر او باد
وشكر الله سعيك يا خليل ، قف حدّ الحيط حتى نغزيك بالفقيد
العزير . اليس هذا من الاجترار يا صاحبي . ان في قصيدتك الطويلة
اياتاً من الشعر ، ولكنك اردت ان تطولها فقعدت تجتو كالغنز
في القبولة .

والآن انفض يدي من المجتوين ، ولا اقسو على مطران لانه
كريم لا يرد طالباً ، فهو على دين بشار في هذا ، يرضيهم كما ارضى
المرعث ربابه ربة البيت لياكل البيض طازجاً ... ثم ان عملاً آخر
يدعوني ، ولهذا اترك الطريق مفتوحاً لمن يجيء بعدي فينقب عن
المجتوين . فهذا الاتكال على القدماء وهذا الغزو الادبي ، وهذا
الاجترار ، بل هذا الاستنقاع كالבוشرية قبل ان تُشجرت ، وهذه
الضفادع التي تنق فيها هي التي جعلت هذا الجمود في ادبنا العربي .
وقد ادرك ذلك احدهم فقال في احدهم : لو قيل لكل كلمة
ارجعي الى صاحبك لما بقي له واحدة .

وأفة رواسم الاقدمين تنتشر اليوم في شعراء الجيل الطالع -
الذين يسمون رمزيين -- قال جبران : اشباح الليل ، لانه كان
يسهر الليل وينام النهار ، فسمعنا كثيرين يقولونها مع انهم كرسل
المسيح لم يسهروا معه ليلة واحدة ... وخلق الشاعر سعيد عقل
صوراً وتعايير فاغار عليها الذين استحلوها حتى عجز بها
شعر الناشئين والبالغين فأفسدوا الطريقة وجنوا عليها وعلى صاحبها .
ونبش طه حسين تعابير من خزائن العرب مثل : انا زعيم ، وغيرها ،

وألح علينا في استعمالها الحاح الذباب على قاضي الجاحظ ، ثم كرر وقال : مليح ومليح ومليح فقاموا ينجون نحوه .

فلندع للرجل تعابيره يا بشر ، فكروا وانبشوا مثله فالميراث واسع ... رحم الله الاجداد كم أحيوا ، وما أكسل الأحفاد الذين لا يرجعون الى دفاتر جدودهم العتيقة ...

ان قلة التفكير تولد الاتباع الاعمى . قال طه حسين ، كما قال الشدياق منذ قرن : ان تكلف السجع صناعة ممقوتة فتابعه الكثيرون بلا تبصر حتى أصبحوا يرون كل سجع شنيعاً ، وكل « بديع » رديئاً ، ولم يقم من يفكر تفكيراً معاكساً غير زكي مبارك فكتب كتابه القيم « النثر الفني » يعارض المتمشقين وطه حسين الذي تابعهم ويتابعهم دائماً .

وغير بدع ان تجد الاجتوار في احدى صور الاقدمين ، او في معنى من معانيهم يعالجه العشرات منهم ، ويرددونه في كثير نظمهم ، ولكن الغريب العجيب أن يجتر ساعر معنى واحداً من معانيه فيقوله مراراً كما فعل شوقي في بيته : وانما الامم الاخلاق النخ ، حتى يقول الرافعي في نقد صديقه شوقي بعد موته : ومن عيوبه التكرار ، ان له بيتاً يدور في قصائده دوران الحمار في الساقية ...

وقصارى الكلام ان الطريق التي نسلكها لا تؤدي بنا إلى ما نرجو من أدب رفيع ، فاذا ظللنا نجتر ونعلك منبطين عافطين كالعنز فنحن على ما نحن . انه لن يكون لنا أدب عالمي ما لم نفكر مثل العالم . فلندع ما مات من كلام السلف ولنفتش عما يخلفه في ديوان العرب .

بشارة الخوري وأمين نخلة

في رثاء أحمد شوقي

باسم «البيان والجمال» اللذين لا نهاية لهما نفتتح «معرضنا» هذا . فالادب بضاعة تعرض ، واسواقها القراء ، فمنها المستنبط البديع ومنها المزجى والزيف . وكذلك الادباء فمنهم من يؤتى قوة الاستنباط والاختراع فتدهش السوق سلعه ، ومنهم المقلد الذي يتجامل على نفسه ، ويمر قوائمه جراً ليخوض المعركة فيقصر عن بلوغ المحج .

والادب محصول ، فان سميته قمحاً ففيه حب مكتمل وفيه كعابير ، وان سميته ثمرآ ففيه الجميل والدميم ، والزكي والكز ، وان سميته زهرآ ففيه الفاتنة الضحوك التي تتناول لتسكي على صدرك ، وفيه التي تقبل نعلك فتدوسها غير مذموم ولا ملوم .
وان تسميه حيواناً ففيه الفاره والتنبل ، والحديد والبلبد ، فقل سبحانه من خلق عباقرة في كل الكائنات ، في عالم الناس والوحش والطير والنبات والجماد ولكن عطايه السنية فادرة وسخاءه فلتة ..

اما ان شبهته - أي الادب - بالأوادم فيشتد الالتباس عليك
ويصعب تمييز هذا من ذاك ، فالبشر يتصنعون ويتشبهون ليخفوا
دمايتهم ، وهم كالنمل يسرون على الدرب المؤدي الى القرية ،
ولكن الزمان يغربلهم وينخلهم ..

فما اقل حظ المقلدين ، ويا خيبة من لا يزيد على العقد خרزة ،
ويا تعس الغزاة الذين لا يعودون بالسبايا البارعات . يقول الشاعر :
مساكين اهل العشق الخ ، اما انا فاقول : مساكين دراويش
الادب ، فهم لا يبنون غير قهقور ، ومحسبون انهم
يشيدون اهراماً تتحلق عليها العوادي وتضي لسيلها .

يخلق ملايين كل عام ليس بينهم بارع الجمال ، وتمر القرون
ولا ترى امة مفرداً يحطم المقاييس النادرة ويخلق فناً جديداً .
ان الاشكال المبثثة لا تفتح ولا تغري ، وليس من ينقل التصاوير
الرائعة عن معجم لاروس كمن يخلقها ، وان احكم النقل . ان
الفن يكره الضرائر ولا يصغي الى ثرثرتها ، والابداع ، وحده ،
يكتب الاسماء في سفر الخلود . فاكثروا ايها الفن من ابنائك ،
واقص عن هيكلي جبروتك من لا يفوزون بجزء من لاهوتك .

يقول « المجترون » ان لغتنا العربية لا تعبر عن افكارنا ،
والتعبير مهما سما يظل مقصراً عما نريد . هذا صدق إن سمعته من
مقدي الاقدمين الذين يعبرون عن طلوع شمس لبنان : بذو قرن
الغزاة ، ويقولون ، اتقل من رضوى ، وصنن قبالة عيونهم . ان
من يؤمن بالوحي والالهام ولا ينام ، والكتاب على صدره ، لا
يأكل من قلمه خبز البقاء . ليس معنى هذا ان نكلف الكتب ما

ليس عليها ، فالكتب لا تحيي الموتى ، ولا تحول الاحمق عاقلاً ولا
البليد ذكياً ، ولكن طبيعة الانسان اذا كان فيها ادنى قبول
فالكتب تشعذ وتفتق . فليتدبر العقلاء كلمة قالها عربي منذ الف
ومئتي سنة .

اللغة بغلة شמוש حرون فلنحتل لركوبها والا ليطتنا ، فليتان
المستعجلون . والكلمة لا تحيا ولا تنطق الا اذا قعدت لزق جارتها
فان اقعدها فانت ذاك النابغة ، والا فدع الالفاظ في زرائبها ،
ولا تجلب الدب الى كرمك .

لم يخلُ قرن من الوف النظامين والمنشئين ، والقناطير المقنطرة
من دفاترهم المخربشة ، تملأ الخزائن والرفوف . اما الكتاب والشعراء
الذين ما يروحوا في فم الاجيال فتعدهم على اصابعك العشر . ألا
فليتعض الاحياء بالاموات ، وكم في التاريخ من عبر للناس
لو يتفكرون ..

لم نقل ما قلنا لنقطع رجاء عشاق الادب فهم يعلمون مثلنا ان
أداة الادب الخالد قريحة يدها الذوق والتفكير ، ويجلوها الاطلاع ،
وملاكمها الابداع ، ومن يتكل على الالهة مات كموسى في الصحراء
ولن يدخل أرض الميعاد . كن مبداً ، وسواء عندي اكنت شعلة
من السماء ام شرارة من جهنم . ابهرني بنورك او أحرقني بنارك ،
فأنا على الحالين صابر . انني لأحب الطعام الفاتر فكن إما بارداً
واما سخناً يحرق شفتي ولساني وسقف خنكي ، فما أبشع وجوه
القروء ، وكم نرتي لهم اذ يقفون مسوخاً بين الجبابرة .
يقولون : لا يعجبه العجب . يا ويلى ! كيف لا يعجبني شيء .

وانا اطيع به فرحاً وأصفق له فرحاً متى وجدته ؟! أما ان اكذب
على نفسي وعلى الناس ، اما ان أقول للخصي ما أفحك ! وللقزم
ما أطولك ! وللمكر فرح : يا غصن البان يا عمري ! فلساني لا يطاوعني
وضحي لمتي يضيء لي سبيل الاخلاص للذرية .

فكما يتمنى الاب ان يكون ابنه بارع الجمال وان كان هو
بشعاً ، وكما يتمناه نابغة وان كان هو بهولاً ، وكما يتمنى مع كل
هذا ، وقبل كل ذلك ، ان يكون فيه شيء من ملامحه للاطمئنان ،
هكذا نتمنى نحن لأدبنا العربي .

اظنني في غنى عن يمين الاخلاص ، ولكنني أحلفها لقليلي الايمان :
« انا مارون عبود أقسم وأقسم بحياة مارون عبود أعز الناس
عندي الا اكتب في باب النقد الا ما أعتقده حقاً ، وان اخطأت
فأنا غير مسؤول .. » .

فمن شاء فليصدقني ، ومن شاء فليتهمني ، وليعذرني اخواني فمن
يحمل رطلا لا يحمل قنطاراً .

شوقية بشارة

نشرت جريدة المكشوف الغراء في عددها الثمانين قصيدتي
الشاعرين بشارة الحوري وامين نخلة في رثاء الشاعر احمد شوقي ،
ومن كلامها الذي قدمت به القصيدتين لقراءها : « ولسنا نقصد من
نشر الاثنتين معاً الا خدمة الادب والتاريخ ، تاركين للقراء ان
يخرجوا من هذه المقابلة التي هيأتها لهم جريدتهم بالرأي الذي يوحيه
اليهم ذوقهم الفني » .

قيل كان ابو نواس يصلي مع الجماعة فقال الامام : « قل يا ايها الكافرون » . فأجاب شاعرنا المتتبع : اللهم لييك . فأني بأس علينا لو لبينا صديقنا الحبيشي ، ونحن من قراء مكشوفه ، مبتدئين باخطلنا الصغير :

لا بد للشاعر من جواو محيط - سمة ما شئت - يسرح فيه حين يعمل قصيدة . اما محيط أخينا بشارة في قصيدته هذه ، فكان في السماوات العلى بل في السماء السابعة ، التي زارها ماريولس وعاد يخبر المؤمنين عنها . وقد يكون فاقه بشارة اذ بلغ « سدره المنتهى » فاسمعه يعيظ وينادي :

قف في ربي الخلد واهتف باسم شاعره

فسدرة المنتهى أدنى منابره

لقد فصل بشارة من جلد غيره فوسع ، جعل سدره المنتهى ، وهي عن يمين العرش ، أدنى منابر الشاعر ، أما منبره الاعلى فهو « كتلك الساعة التي لا يعلمها أحد الا الاب » كما قال المسيح اتلاميذه عن الموت ، فكونوا متيقظين .

لم يحسب بشارة أقل حساب لقوله تعالى : إذ يغشى السدرة ما يغشى . فحشر احمد شوقي ولم يبال ...

لست انكر انهم يشبهون الشعراء بالطيور ، وسدرة المنتهى شجرة نبق كما يقول المفسرون ، فالتشبيه غير غريب . ولكن هذا الجوعال جداً يخشى فيه على الطيور من الاحتناق . فلو جعله ، مثلاً ، مع الرجال الذين يسبحون لله بالغدو والآصال لكان الامر ، ولكن انكون كرمنا الشاعر أو مدحناه اذا لم نطيره فوق

الكارويم والساروفيم ؟

وبعد ان قال بشارة بيته الاول في ذلك الأفق انقضت فجأة

كالعقاب على رفّ حمام ، وخر الى ذقنه يقول :

وامسح جبينك بالركن الذي انبلجت

أشعة الوحي شعراً من منازله

ومع ان « شعراً » ليست من الدخيل على الموضوع فقد جاءت

نايبة وصدمت موسيقى البيت صدمة غير هينة . ويرفع الشاعر رأسه

بعد هذه الخثرة فيرى :

آلهة الشعر قامت عن ميامنه - وربة النثر قامت عن مياسره

وبكلمة خلق بشارة ربة جديدة للنثر حفظاً للتوازن ، وهكذا

رأى احمد شوقي كما رأى (يوحنا) الحمل المذبوح . واهتزت الحور

لهذه الرؤيا وقصت شذوراً من غداثها لتكون ستائر لعرش شوقي

السمائي ... ثم ماذا رأى ابن الانسان ؟ رأى أتراب مريم لاهيات

لأعبات « بالاقوط » في خمائله ، ورهط جبريل يحبو في مقاصره ،

كالعصافير التي تنتف جناحها وتترك لعبة للاولاد . وتكميلاً

للحساب يأتي الملهمون بنو هوميير ايضاً ، ولا يتركون سجعاً

لطائره . (كذا) .

ويضطرب الملكوت فتتساءل الملائك من هذا ؟ فيقال لهم كما

أجاب الفرزدق بالنبابة عن زين العابدين : « هذا الذي » أربع مرات ،

فيوفق الشاعر حين لا يحاول عمل المعجزات والعجائب فيقول

ببتين من أجود الشعر ، كأنها صورة ناطقة لشوقي ، واليكهما :

هذا الذي لمس الآلام فابتسمت جراحها ثم ذابت في محاجر

كم في ثغور العذارى من بوارقه وفي جفون اليتامى من مواطره
 لم ينزل الشاعر بعد من فوق ، فقد استطيب المناخ ، وقال
 ايضاً ما يشبه « العجائب السبع الاولى » ولكن « كم ودت »
 خففت من وهجها الحامي وحرها الكاوي ، وقد ختمها بقوله :
 والزهر لو كن ازراراً مفضضة على الذبول الضوافي من مأزره
 ان هذه الابيات الاربعة عشر التي قالها شاعر العرب الاكبر ..
 في السماء السابعة تذكري كلمة قالها احمد فارس الشدياق في شعراء
 الفرج والتوح ، منذ تسعين سنة :

« ومن كان قد قرأ بعض الشعر ، وسمع من اهل العلم ، مثلاً ، ان
 الشعر منقبة سنية تصدى الى اي نظم كان ، فاذا رأى طائراً في
 الجو نظم فيه قصيدة ، واذا تروج احد في بلده نظم فيه تواريف ،
 واذا نوفي احد قال : قد غاض بحر الكرم ، ودكت اركان المعالي ،
 وذوت رياض الفضائل ، وافل نجم الهدى ، وخسف بدر المجد ،
 وكسفت شمس الفضل ، ثم لا يزال يصعد في عاجلة النبي الياس حتى
 يصل الى الفلك الاثير ، ويعدد جميع ما هنالك من النجوم وينتزع
 منها كفناً لمريته » كشف الحجاب ، ص ١٦٦

قلت : حقاً انها لنبوء ، ليرحم الله شدياقنا ، فماذا كان يقول
 لبشاره لو استيقظ على عياطه وصريحه « في ربي الخلد » ، ورآه
 منتصباً كالناطور فوق شमारيف جبال الجنة ، وقد تعلق كالخرباء
 باغصان سدرة المنتهى يزهز اغصانها ، بل ما تراه كان يفعل به
 — والشيخ الشدياق ، رحمة الله على ترابه ، احرص ما يكون
 على النساء — لو رآه يهاجم الحوريات بمجزه ليقص شعورهن المجدولة

ويعمل منها متأثر لشوقي، ثم يأخذ النجوم ليزرر بها الذبول الضوافي
من مآزره؟ فليت شعري كيف يكون شوقي في هذه القطيفة
التي صارت سماء ذات أبراج، بل كيف يخال فيها؟ ثم ماذا كان
يقول الشدياق لبشاره لو رآه رهط جبريل يخلجون في الجنة وقد
هينت اجنحتهم، وهم يحرونها وراهم كالمكانس؟!

لا شك في انه يرثي له كشاعر عربي لبناني، ويهدي اليه كشف
الحب والفاريق، ويقف الى جنبه، ويوشوشه قائلاً: الأب الازلي
مستريح فلا ترعجه بهياطك ومياطك.. استع يا ابني، بأي عين
تقابل شعراء الجنة؟! اياك ثم اياك ان تنظم شعراً قبل أن تقرأ
كشف الحب والفاريق، ثم يجبر خاطره فيه شيئاً من اوسمته بعد
ان يعاهده على أن يقول شعراً يطبق احتمال الفهاء..

وكتاني بواحد يسألني: ما قولتك، لما اذا فاجأ بشاره مصر
العزيزة بهذه الاعاجيب؟ الجواب: لا شك ان بشاره سمع ان في
مصر سحرة نازلوا موسى الكليم بحضرة فرعون فتغلب عليهم بمعونة
الرب، فتوكل بشاره على الله وجاءهم بالكبيرة فوهرهم، والضربة
لمن سبق... ويعلم بشاره أيضاً أن الجمهور سيد هذه المواقف،
والجمهور لا يستغزه الا الخفة والأسماء الضخمة فأكثر منها وراح
يصرخ فيهم:

شوقي... سلوا الافق هل ثارت عجاجته

لما ثوى المتنبي في حفائره

أسبدين القافية... فالمتنبي المسكين أكلته الذئاب قرب دير
العاقول فكيف لا يرضى له بشاره بحفرة واحدة؟! وصاح أيضاً

« شوقي سلوا البحر » ، ثم « شوقي سلوا الليل » ، ولو سأل أكثر لكان
الاستحسان اعظم ، والتصفیق أوفر ، والوسام أكبر .
وتذكر بشاره ان في مصر نهرا جواداً هو النيل فوصفه ووصف
نعيمة المقيم ، حتى يكبر المصيبة ويقول :

يا للمصيبة غال النهر غائله وغار في لهوات من هواجره
الله اكبر !! فهذا الصباح يعبس ، ولم يعد المساء لعباً في
الجزائر ، وذبل الزهر ، وسكنت الطير حتى الاشجار لركود الريح ،
عجائب لم نسمع بمثها يوم صلب المسيح ... نحن نعلم ان الطمي قد
يكون قليلاً في مصر بعض السنين ، أما أن ينشف ماء النهر بالمرّة
فهذا لم يحدث حتى على يد موسى البطل ... فوالله لئن كان الشعر
سحراً كما يقولون فشاعرنا ساحر بلا شك ، كان الله في عوننا لبيّض
وجهنا في كل مناحة كما يبيّض القوأل وجه ضيعته .

ويعظم الشاعر الخطب بالشاعر فيراء أعظم من الخطب بالنهر
« مجري الروح في بلد » فخطب الشاعر يدوي له كون بجملته ...
حقق الله احلام الشعراء فهي لا بأس بها ، ولكن يا حبذا ... ولو
قوم الناس الشعراء الندابين كما يقومون أنفسهم لكانوا صفوة
الخلق وأسعدهم .

أتريد ان اخبرك عن كل المفاجآت في هذه القصيدة ، انها
كثيرة وشاعرنا خفيف نشيط ، فها هو ينتقل الى لبنان بسرعة
النور ويقول للناس :

ما للملاعب في لبنان مقفرة وللمناهل عطلاً من حرائره
نعلم ان أهل لبنان متى « حدّوا » لا يدقون الكبة فتعطل

الاجران ، أما ان يبطلوا الشرب فبدعة مما سمعنا بها إلا من
بشاره ... وينتقل إلى طرابلس فيسأل : ما المآذن في الفيحاء
كأسفة النخ ..

وللأصائل والأسعار أنضجها عات من الريح ارهاقاً بحافره
وهنا جعل للريح فرد حافر اكراماً لسواد عيني القافية ، ثم
من يدري فقد يكون الريح في الحيوان مثل وحيد القرن ... وهل
لنا ان نطالب ابن بطوطة الشعراء بهذه الصغار ، فقد يكون في
حالة « اللاوعي » التي تقول بها مدرسة سعيد عقل ...

وبعد ان قال ما قال في لبنان وطرابلس رجع الى مصر فجعل
الحسن والاحسان غريبين بضربان في الارض كشريد « لامنه » ،
حتى اعتصما بضفتي النيل . لقد صدق ، فمصر بلد طيب يخرج نباته
بأذن ربه ، واهلها اجاويد . ولذلك ان يذكر احمد شوقي بشيء كما
تفعل الندائات في المآتم ليعلو الشهيق والتنهد فذكره ، ولكن بنجر
اسود ... فقال :

شوقي ، اذكر اذ عاليه موعداً نمنا وما نام دهر عن مقادره
واذ طلعت علينا اصفراً وجلاً كالنجم خلف رقيق من ستاره
ونحن حولك عكاف على صنم في الجاهلية ماضي البطش قاهره
أرأيت هذه القوافي المكعومة ، الا ترى هذا الضمير يركض
كأعرج يريد للحاق برفاقه ؟ ثم الا تقول مثلي من اين جاءت
اصنام الجاهلية في القرن العشرين ؟ والاغرب ان يتم بشاره البيت
الاخير بقوله : ماضي البطش قاهره . فكأنه يجده ولا يهزل ، او
كأنه ينظم قبل الشاعر الجاهلي القائل :

أربّ يبول الثعلبان برأسه لقد ذلّ من بالث عليه الثعالب !
وبيت الاصنام هذا ، اليس لسيدنا الفرزدق الذي كان يقطع
طريق الادب ويشلح الشعراء ؟ اليس هو القائل في « جفان »
المرحوم جده « دارم » الذي الحقه به احد الخلفاء وحرمه الجائزة :
ترى حولهن المعتفين كأنهم على صنم في الجاهلية عكف

اما بشاره فأخذ البيت ولم يحسن الاخذ بل بشّعه بـ « ماضي
البطش قاهره » التي زادها عليه فجاءت كذنب الطيارة الثقيل ..
وتوسع لغة فقال « عكاف » والوجه ما قاله الفرزدق . وما وقع
بشاره في هذه الوحلة الا لانه يريد ان يقول لشوقي :

سألني رثاء .. خذه من كبدي لا يؤخذ الشيء الا من مصادره
واذا كان البيت السابق مأخوذاً من الفرزدق فهذا ايضاً مأخوذ
من شوقي نفسه ، اذ يقول في رثاء مصطفى كامل باشا :

وجعلت تسألني الرثاء فهاكه من ادمعي وسرايري وجناني
لولا مغالبة الشجون لحاطري لنظمت فيك يتيمة الازمان
وانا الذي ارثي الشمس اذاهوت فتعود سيرتها الى الدوران
اما بشاره فاختصر وقال : خذه من كبدي ، وتواضع ولم يزد
على قوله : لا يؤخذ الشيء الا من مصادره ...

وبعد كل هذه الروحانيات والحيثيات يتذكر بشاره اخيراً انه
لم يذكر فرعون ، رحمه الله ، فقال في قصائد شوقي : لو عاد
فرعون كانت من ذخائره ...

لكن ربك لم يؤثر بها احداً سوى فؤاد عماد الملك ناصره
ارث لفاروق صان الله مهجته وطائر كم حكى عن سعد طائره

أرأيت ما أغنى هذين البيتين بالتوريات والاعلام ، والالقاب
العتيقة ، والادعية الحامية الوطيس ؟ فمكذا يقول الشعر من
يطلب التصفيق ويرضى بالساعة التي هو فيها . فتعلم ، ان كنت
تطمع بلقب شاعر العرب ووسام الاستحقاق ..

ونزل بشاره عن المنبر واهتزت الاسلاك البرقية تبشر لبنان
بالمعركة الفاصلة ، وحامت الانصار على (الدباس) فكانت الجائزة
استحقاق بشاره شكر لبنان . ويروي المؤرخون انه جاء لبنان
مليون مصطاف تلك السنة ..

اما امين نخله فقال قصيدته ارضاء لنفسه ، بل : « ليقال فيه
غداً وفي ابن الخير » . وستقابل بين الثنتين بعد النظر بقصيدة امين ،
فلا تظن اننا وقفنا هنا . فسر معي على خيرة الشيطان — شيطان
الشعراء — فلقد تعبنا من الصعود والهبوط في قصيدة بشاره التي
كان فيها مكرًا مفرا ، مقبلاً مدبراً معاً ..

شوقية أمين

نطلّ على أمين نخله الشاعر فنشرف على مدينة جديدة لها في
النحيت اسلوب خاص ، سوف ندرسه مطوّلاً . أما الآن فنعلق
على مدخلها هذا الانذار : المفرق خطر خطر الموت ، ومن لا
يتعظ يكن عبرة ...

ان شوقية أمين على الرء أيضاً كقصيدة بشاره ، ولكنها لا
تعتبر بالضمير الذي يتعلق بها تعلق الصبي بأذيل امه فيمنعها أن
تليس وتمشي مشية صاحبة الأعشى ، ولهذا جاءت قصيدة أمين هدارة

كالبحر المعروف تذكرينا «فتقت لكم ريح الجلال بعنبر» ولكنها
لا تسمعنا جعجعة الرحي التي تطحن قروناً... افتتحها أمين على
الأرض لا في السماء فقال :

كنا نغزل على الربيع الأخضر وعلى العشية والتفاف السمر
ورأى أمين ما رأى في «التفاف السمر» فشاء فكانت
«مواسم عبقر» فتم له ما أراد دون أن يستصرخ الله وجنوده،
وما عنده من حور وولدان... المقعد بسيط رحراح :

للحاضرين بساطه وظلاله وحديث نأديه لمن لم يحضر
تصوّر الشاعر قبعة لبنانية لا أكثر ولا أقل، وحسبها أن
تحتوي على خير ما أبدعته يد المهندس الأعظم، لتكون فردوساً
أرضياً توتع فيه قريحة الشاعر. ومجلس كهذا لا يستغني عن ساق فكان
«سريا» يسقي الندامى بابريق النبوغ مسلسلًا، وصفه أمين بلغة
لبنان التي يعشقها ويحرص على تعابيرها ويلوّنها شعره، وأمين
عربي هاشمي - كما نبأنا حديثاً الصديق الأستاذ الرياشي في مقدمة
الطبعة الثانية لكتابه «نفسية الرسول» - فامسح إذن ما يقول
أمين في ذلك الساق :

ساق تقبل في الندامى كفّه ويقال حين يحف يا ساقى أوامر
قد تقول يا أخي، هل سكر أمين من قدح ليقبّل كفّ
الساقى : وبلي عليك وبلي منك إن كنت لا تقرأ ما بين السطور،
ولا تفهم الرموز فالحمرة فارضية، والساقى ربّاني عارف بآله...
وكيفما توجهت ترّ عند أمين إسناداً جديداً أو إضافة طريفة أو
فكراً غفّافاً مرقطاً فيقول لك مثلاً :

عرك الدنان على اسم كل بليّة في الكرم غبّ الموسم المتفجّر
فكانت الشاعر ابن المعصرة ، أو « ابن مدينة » الأخطل يظنّ
على مسحاته يتوكل . ثم لا ينسى أمين أن يعلمك آداب الندمان ،
ولكنها ليست كشروط أبي نواس الخمسة فيقول :

شرب الهوى شوقيّة اقداحه وإذا سقيت فجد بكأسك أو ذر
وبعد هذه الذكرى المؤلمة التي وصفها أمين مبتدئاً بـ « كنا
يشتدّ عليه الأسى فيقول :

ذهب الربيع ولم يدم من طيبه في الأرض إلا نشقة المتذكر
انثقت معي طيب « نشقة المتذكر » لتعلم خبرة أمين بتوزيع
الكلام ، والتشدّد في إحكام الكتاب حتى لا يدع باباً أو منفذاً
للطلاق .. وأمين يحسن « التجسيد » أيضاً - لا بأس إذا تفرّجنا -
فيوبك الدروب تمشي في موكب موحش ، ويغص في العطفات
صوت الأنهر ، كصوتي ساعة الاختناق من الغيظ في محشر القوافي ..
شفى الله الأنهر وشفاني من هذا الداء ..

وهنا يلتقي أمين وبشاره في تعظيم الخطب بموت الشاعر
فيقول أمين :

موت الربيع وموت شاعراة صنوان في فقد الهناء الأكبر
يشبه أمين الشاعر بالربيع ولكلامه صلة بما قبله ، فهو منذ
ابتداً ينظر إلى الربيع ، والعشية ، والشفق الطري ، والغمام ،
والساق ، والابريق والدنان ، وكل ما يلزم الطرب من آلة .
أما بشاره فجاء « نهر » لزقة فجرف الأخضر واليابس ... ورب
قائل : ما يدرينا أن أمين نخله لم يأخذ عن بشاره هذه الصورة إن

كانت قصيدته لم تنشر ، كما أذاع المكشوف الأغر ؟ قلت : بلى
نشرت ، وأمامي الآن نسخة منها أذاعتها جريدة الشعب في حينها .
والأفهل أنا نبي لانبهك إلى « مواسم عبقر » و « التفاف السمر »
وسأشير إلى غيرهما فأعزني انتباهك .

لم يكبر أمين المصيبة بالشاعر مثل زميله بشاره الذي أذوى له
كوناً بجملته .. ولكن جاء فامنه « الهناء الأكبر » أخو الراحة
الكبرى عن شوقي عن أبي تمام . ويقول أمين في البيت الثاني عن
الامة وساعرها :

يا طالما فاءت إلى أحلامه وتقلبت في قلبه المحضوض
اني أرى « فاءت » يابسة ، وهي من الفاظ العقاد الشعرية ،
كما أكره هذا الجنس في « تقلبت في قلبه » ، وعسى أن ينظر في
هذا عند الطبعة الثالثة فهو كثير العناية بتهديب بنده ، لا يخلّ فهم
ويتركهم . أما وزن افوعول الذي استجلاه ابن الأثير وعشقه
أمين وتيم كثيرين فقد عمّ حتى خم . ويمشي أمين مشية ليّنة في
وصف شاعره ، وكرمه الحاقني ، ودموعه وأحلامه التي تشفي من
جميع الادواء ، ولا أدري إذا كانت تشفي من الكلب أيضاً كدماء
مدوحي المتنبي ..

ولا ينقطع هذا الفلم الجميل حتى يبتيء الثاني بقوله :
خفت عكاظ اربعين عشية وأظنها خفت مئات الاعصر
لا تظن يا أخي ، فحسب الشعر ان يكون له في كل قطر أخ
للعقاد .. لا خوف على الشعر يا أمين ما دامت النساء تحبل وتلد ،
فما شوقي إلا شاعر خلّت من قبله الشعراء . ان شوقي مات ، أما

النبوغ فحي لا يموت . أما القباب ورفرف النادى وصدر المنبر
التي خصت بشوقي حياً فالفاظ مرحة لولا « المتبع » التي جاءت
كر كبة البعير ، تترحم على ابن الأثير .

وهنا تأتي نوبة الوصف الصريح لشوقي فيشبهه رقتة وصبابته
بدمع الياقوتة المنقطر ، فيذكرنا بقصر ابن المعتز . وسرعان ما
ينتقل في البيت الثاني إلى مطبخ ابن الرومي فيقول :

يتفقاً الرمان من لفظاته فهي النديّة في الغليل الأحمر
كانت (ألفاظه) في الطبعة الاولى فبدّلها فتحرّكت . أما
« النديّة في الغليل الأحمر » فطريقة رائعة تشفع بيتقاً التي تفقاً
العين . وعندي ان الفكرة مبتذلة وما هنا محلها ، وإن وصف أمين
حبّ الرمان خير الوصف واصدقه .

وننتقل من تفقّة الرمان إلى « الحبرة » فنعجب بنسج
« منواله غزل الشعاع النير » ثم ننسى الحبرة ونسير مستعجلين
في موكب الاشعة اذ نرى :

ديباجة كالصحو تلوع زرقة وبها مشابه من سحاب بمطر
الاذن في تلك القسوافي ترتقي والعين تسبح فوق تلك الاجر
أرأيت كيف يوصف الديباج الوراقشي - شانجان؟! .. ويصف
لنا أمين حدة ذهن شوقي فيأتي بصورة تنبض الحياة في كل عرق
منها إذ يقول :

شوقي وأية حدة في ذهنه أبداً تلم شيمة المتحذر
كالعين تأخذها المشاهد بغة فتود اخذتها بدورة محجر
ان الشاعر يحتاج أولاً الى عينين بصيرتين ، سلمت عيناك يا أمين !

وينتقل الى وصف سرعة الحاطر فيقول بيتين جيدين لولا العجز
الاخير في قوله :

خفت بعارضة الضياء قريحمة عن نقلة الخطفات لم تتأخر
ان بيتك هذا متأخر عن اخوانه ، ناهيك بما في الفاظه من جفاء ،
متفرقة ومجتمعة ، فابحث عن السبب فهو في الخنجرة .

ويقول بيتاً ثالثاً يصور به تراحم الحواطر عند الشاعر الملمهم :
فكأن لفظته تقول لاختها في زحمة الحطرات يا أخت اعذري
انه لتجسيد تام وتصوير نابض لا عيب فيه الا زحمة الحاءات .
ولو قال اصبري لكنت لبنانية اكثر ، وأخاله أثر اعذري لانها
ترادف (معليش) المصرية . تذكرني فكرة امين الجميلة بما كنت
أقرأه مكتوباً فوق رأس مسار أفرام السرياني (كلي مورات
موهبتخ) ترجمتها : ردياً رب عني نعمتك . وكذلك الشعراء
الملمهون في ساعة الرضا والتوفيق ، ولا يصف الشاعر إلا الشاعر .
ويتمادى أمين في وصف صاحبه فيصف رقة حسه ويرينا ان
أكف الهم تصدع حسه . وهنا نبليج بيتاً حذفه امين من طبعة
المكشوف ، اذكره لأثبت لك أيضاً ان قصيدة امين طبعت في
حينها ، وانه لم ينظم بعد غيره ، واخيراً ، وهو الأهم ، لأدلك على
ان شاعرنا ينظم للفن ، وهو جزار لا يشفق على نعاجه ، فما حملة
على حذف :

شوقي الشعاع فكيفما قلبته وأدرت عينك مبهر في مبهر
الا قافيته الملعونة التي تسودوجه الفن ؟ .. تم ينتقل الى وصف
شوقي جسدياً فيعرفنا به ويقول في جسمه الصغير :

ملاً الفضاء كجبة من عنبر ... ثم يذكر قلة حديثه ويرسم لنا
صورة شوقي المفكر الفهم ببيت هو اخو البيتين اللذين اطريتهما
كثيراً ، وهما في العين ايضاً كهذا :

او ليس حسب العين من لحظاته في الفهم رأوة كجهد معبر
فهل تتأمل المعبر مرة ، وتجبرني عما ترى ؟ لاتبعذك رأوة عن
هذا البيت فلا يسد مسدها غيرها . ويعن امين في الوصف فيقول في
عين شوقي ومشيته :

رقيت الى عينيه زهوة نفسه فهما بها في حيرة المتحير
يمشي فيخطف خطوتين كسالك في العاج او متعثر في المرمر
جلت وداعته وجل وقاره عن ان يهم بخطوة المتبخر
لكننا الاعصاب وهي كيلة من فرط مس الوحي في متعذر
ولو أراح امين بيته من (رقيت) لسرح وكان صده ابعده قد
رسم خليل مطران ناحية الزهو في شوقي فقال :

فلكل لفظ رونق متجدد ولكل قافية جديد رواء
يجلي الجمال بها كأبدع ما انجلى صور حسان في حسات مرائي
ولربما راع الحقيقة رسمها فيه فما اعتصمت من الخيلاء
ارأيت كيف يصور الشعراء المفكرون ؟ لا تبال باضطراب
تعجز البيت الثاني ، فكثيراً ما يعجز الشاعر عن اخضاع الكلام
اذا تمرد . واذا رأيت المطران يخرفش في هذه الايام فلا
تنس انه حصّاد شهير ترك المنجل ، وهذه سنة شرقية ...

ونحن امين قصيدته بتجديد العهود والمواثيق فيقول :
تلك الابوة في البيان اصونها ليقال فيك غداً وفي ابن الخير

لي منك فخر الدرب اذ يمتها ومشيت الهت في غبار مغبر
اما انا فاخاف جداً من الغبار خصوصاً اذا كان مغبراً... واتمنى
ان يظل امين سائراً في دربه وكل من سار على الدرب وصل...
ويذكر امين صلته بشوقي وكيف انقضت، صبر الله قلبه، وعمّره
كنسر حيقار..

وبعد، فقصيدة امين نخلة لشوقي بعينه، ولا تصلح الا له. اما
قصيدة بشاره فـلشوقي منها الاسم، وهي تصلح ايضاً لحافظ واسماعيل
صبري والبارودي وحليم دموس بعد عمر طويل..
يحيط امين في قصيدته بحيط شعري بسيط جداً، تسمع وصفه
ولا يطرّ عقلك، ومحيط بشاره اشبه بمحيط الف ليلة وليلة وكان
في يد صاحبه عصا موسى او خاتم لبيك.

قصيدة بشاره مفككة تمشي على غير هدى، وقصيدة امين
كالسلسلة المحبوة، لا قفز ولا نط، ولا انتقال، ولا مفاجآت،
ولا غرائب ولا عجائب، لا رعود ولا بروق ولا عواصف كساعة
تجلي المسيح على طور طابور.

قصيدة امين ذات لون محلي تدل على شاعر بعينه، وقصيدة
بشاره لا تدل على شيء من هذا، ولو خلطناها بعشرين قصيدة من
شعراء العرب الاولين والآخرين منهم لما عرفنا ان قائلها من ابناء
القرن العشرين.

نظم بشاره مفكراً بالنظارة وهمه التصفيق لا الفن، ونظم
امين وعينه في الفنانين، وما عناه غير ذلك.

قافية بشاره متعقبة كالسيدات المترهلات اللابسات الفساتين

المذنبية ، وهذا الضمير الذي علقه بها يجبر القارىء على الطحير ،
وقافية امين خفيفة رشيقة كالسيدات المتروضات ...

كأنني بامين قد قرأ كلمة ابن الاثير القائل : من شاء ان يخلق عالماً
من الكلام فليأت به على صور الاناسي والانام ، ففعل . اما بشاره ،
فجعل مرسجه الجنة ، فزعر العرش وفزع سكان السماء . نعم ان
فيكتور هيفو حرك الهة الفن ووصف فرحها باستقبال صديقه
تيوفيل غوتيه ، ولكنه قال ما لا يقال الا في غوتيه صاحب بدعة
« الفن للفن » وهو في كل حال لم يجعل الفرحة غير معقولة ، كما
فعل بشاره .

قصيدة امين كباطية النبذ جيدها في وسطها وهي « كل » ،
اما قصيدة بشاره فخطرات افكار مبتذلة وتعايير الفناها ، بخلاف
قصيدة امين ذات الصور الجديدة ، والتعايير التي تدل على جهل
وعناء ، وتعب كثير في تأليف الكلام وتزويجه .

حاشية — لا يظن الكتاب ان كلمة « التزويج » في البيان
افرنجية ، فقد فطن الى ذلك ابن الاثير ، وفي ظني ان
امين تخله قرأ ابن الاثير مرات ، وما احوجننا الى من يقرأه .

قابل اذا شئت فالقصيدتان امامك ، انظر ماذا قال امين
وكيف يقول بشاره : هذا هوى الشرق هذا ضوء ناظره ، يعني :
يا نور عيني . وقس على هذا ان شئت تعلم ان للفن اللفظي عند امين
شأناً عظيماً ، حتى يميز بين « الفاظه » و « لفظاته » ويستغني عن « مبهري
مبهر » ، و « شوقي الشعاع » ، وهذا ما نطلبه من بشاره الحوري الذي لا
ننكر شاعريته ، ولكننا نسأله ان يتغرب ، ففي الاسفار أكثر من خمس

فوائد ...

قلت سابقاً ان قصيدة امين « كل » تصعب تجزئته ، اما قصيدة
بشاره فاليك لائحة بها :

٠٠٦ ابيات في وصف شوقي بالجنة

٠٠٥ ابيات سؤال الملائكة عنه وتعريفهم به

٠٠٢ للقاري، عن تمنيات جنة الخلد

٠٠٤ ابيات صريخ وعياط

٠١٢ بيتاً عن النهر الذي اكله الغول

٠٠٦ ابيات عن حزن لبنان وطرابلس

٠٠٥ ابيات عن غرام مصر والحواجه لبنان

٠٠٦ ابيات عن اصطدام سيارة شوقي

٠٠٤ ابيات عن فرعون والملك فؤاد وفاروق

٥٠ الـيـكـون خمسون بيتاً فقط لا غير ، عدا السهو والغلط .

اما قصيدة امين فعلتها ٤٤ بيتاً ، موضوعها شوقي وما يتصل به

وبقنه ، فلا اهرام ولا فرعون ولا عشق ولا غرام بين الاقطار .

لا يجرّد بشاره اذا فضلنا امين نخله عليه ، فقد تقابل بينهما في

وقعة اخرى — بالفرح ان شاء الله — فتكون له الغلبة ان شد حيله

وقابلنا بغير هذا الوجه الشعري ، فما هذا وجه من يعيش .

واخيراً اتمنى ان اكون مخطئاً ويظل بشاره على كرسي مجده

تعطيه الطوبى جميع الاجيال كستنا مريم رزقنا الله شفاعتها ورضى

اخينا بشاره العزيز الغالي .

يُوسُفُ غُصُوبٌ فِي قَفْصِهِ وَعُوسُجَتِهِ



غفا الأدب العربي بعد بديع الزمان إغفاءة خرساء لم يتخفها حلم ، ولولا فارياب الشدياق لم يكن لنا أثر عربي في تلك القطعة من الزمان . ثم كان عصر المقالة والرواية فبرز كتاب طواهم الدهر مع آثارهم فأفاق أدبنا المريض من غيبوبته . ولاح جبران فكان فجراً بهياً لنهار جميل في قصصه ومقالاته . وكان للأدب العربي عهد جديد .

كان للنهضة الحديثة رواد قبيل جبران ، أولهم ذلك الاعمى المفتح القلب فرنسيس فتح الله مرّاش . ثم تنفس في القاهرة أحمد شوقي فقال : خدعوها بقولهم حسناء . فدارت على السنتنا في ذلك الزمان حتى ضجت جدران مدرسة الحكمة من عقيرة الشيخ رشيد تقي الدين الذي كان يرددها بصوته العريض . وارتفع في لبنات صوتان : شبلي الملاط في شعره القصصي ، ونقولا فياض في خطبه التي كان يقدم لها بشيء من شعره الحديث كقوله في القلب البشري : « حير الناس فقالوا عصبي » . اضم الى هؤلاء خليل مطران الذي تأثر

بالفرجة وعمل الشعر على طرازهم . ولكن كل هؤلاء شوقي
ومطران وفياض وشلي امسكوا بطرفي الجبل فلم يخرجوا من
صورة القدماء إلا ليقفوا قدام الباب هنيهة ، ثم عادوا الى ما وراء
السياج ، إلا الدكتور فياض فكانت له مؤخراً انتفاضة من باب
رجوع الشيخ الى صباه ...

أما في النثر فكان الريحاني في طليعة الرواد بكتبه وفصوله ،
يجمع بين الفلسفة والشعر ، يقدم « بدوراً للمزارعين » ويسأل ربة
الوادي ان تدأويه وتشفيه ... أحدث كتابه « المحافضة الثلاثية »
صدى بعيداً أكثر من لآغنيه ومريديه . ثم جاء جبران يتمرّد على
القديم ، والف مجمعه - الرابطة القلمية - فالتف حول الشاعر
والناثر ، فأفلحت مدرسته في النثر أكثر منها في الشعر . تفننوا في
الاغراض وترفعوا عن المديح الذي كان يتلهى به الشعراء عندنا ،
واقفوا اثر الاندلسيين محررين ادبهم من قيود القافية فنبّروا
شعرهم واسدوه بخلاف غيرهم وان حاكوا على النول القديم .
فكان لهم اتباع ومقلدون في الشرق ، فعافوا نقنقتهم وحاولوا ان
يقولوا شعراً .

وكتب جبران في النثر صفحات لا قرابة بينها وبين القديم ،
واذا صنفنا الشعر العربي قديمه وحديثه كان نثر جبران أول بابه ،
فهو ابو المدرسة الشعرية الحديثة التي نسميها اليوم رمزية .

فالاتجاه الجديد المستقل استقلالاً ناجزاً في أدبنا ابواه الريحاني
وجبران . أما الريحاني فاتجه في صوب جديد . صار ابن بطوطة جديد
يدرس الاقطار والاقاليم العربية ويصورها في اللغتين الانكليزية

والعربية . اما جبران فركب رأسه وطمح الى ابعد ما يطمح اليه الناس ، طمح الى الذي امسى لا شيء عند الريحاني فظل يكتب للناس أجمعين لا لفئة خاصة منهم ، فكان اثره ابعـد لانه خاطب النفس . اما فيلسوفنا الريحاني فلـ " التدرّوش في زمن المادة فالقى الكوز والكشكول والوى على العقل يسوطه بقسوة ليخلق من الشرقي رجلاً غير هلامي " . خاطبه بلغة الحساب متنازلاً لجبران عن نبوات اشعيا واهتزازات ارميا واحلام دانيال . ونبت مخائيل نعيمة على جذع جبران فكان سكرتير العميد . قال شعراً وكتب في النثر صفحات باقية — « الجندي المجهول » — حتى اذا انطوت صفحة صفية نشر مخائيل تفاسيره وتعاليقه في زاد المعاد على فلسفة صاحبه وانزوى اليوم في بسكننا كتولستوي في آخر العمر ، ولكن صاحبنا نعيمة بكّر... وسيأتيك الحديث الخاص بهؤلاء فامهلني رويداً .

والذي يعنيننا الآن هو نهج هذه الفصيلة وتجديدها . ان ملامح القديم ضئيلة فيها وليس لها من بضاعتهم الا الالفاظ ، وهذا يتفاوت عندهم ثلاثتهم ، ولكن لهذا الثالوث مؤنين بلاهوتهم على ما بين الثلاثة من فرق في اللاهوت والناسوت ... نعى عليهم عباد القديم ضعفاً في التركيب وخروجاً على لسان العرب وهذا ما يعنيننا نحن حين ننظر الى التطور في أدبنا . كانت الحرب الكبرى فاتحته الآداب العالية بعدها اتجاهات عديدة بلغنا آخر مداها فجرفنا التيار الذي تلاشت قواه عند غيرنا ، واتسعت دائرة ثقافتنا فنهض الشباب متأثرين بالفواعل الخارجية فكانت ألوان ادب جديدة . كانت القصة

حلماً سعوا الى تحقيقه فبانت بواكير طيبة فيها اللون المحلي المرغوب فيه وان لم تنتضج كل النضج . وتلون الشعر غير الالوان الاندلسية فصار لكل شاعر لون خاص اتسم به غير اللون القديم العام الذي نراه في شعر بشاره الخوري واضرابه . حاول الشباب ان يخلقوا افقاً شعرياً جديداً فدانت لشاعريتهم الفاظ موسيقية خلاصة مرحة فأخرجوا الشعر العربي من الحصار الذي ضرب حوله قرونًا ، ولكنهم وقفوا عند نخوم معلومة في هذا الفتح فعسى أن تنفتح لهم آفاق أخرى جديدة تغمر العقل العربي بالظلال والانوار .

وكانت المشادة عنيفة بين اللبنانيين دعاة التجديد والمصريين المفظورين على عبادة القديم ، فهب كبار كتاب هؤلاء يصقلون ما صدىء من لسان العرب واخرجوه فيما كتبوا كأنه الجديد بعينه ، ولما خمدت ثورتنا جنح اصحابنا الى الفرعونية ... أما المدرسة الشعرية اللبنانية فتوغل اثرها في مصر والشام والأقطار كلها فبانت سيماؤها في النشء الجديد وما يسلم من الايمان بها غير شعراء تجاوزوا عهد الشباب . فكانت هذه الموجه الشعرية التي تفيض بها صحف مصر ومجالاتها ، مشت اليهم من شاطئنا الازرق وطارت من جبالنا الى تلك السهول والغوط فأحيت ما هناك من ارض موات ، ومن أحيا ارضاً مواتاً فهي له كما قالت جارية الرشيد لضرتها ... وهذا يبشر بمستقبل باهر للشعر ان اعتصم ذووه بالابداع .

تجاوز الشعراء والنقاد الحد في تحديد الشعر فاتخمت الناس بنظرياتهم . والظاهر ان الشعر ككل ما لا يرى لا يحدد تحديداً يحصره تحت الكم والكيف ، بيد ان الابداع اول شروطه . والشعر

شعران : شعر يولده ويركبه العقل ، وشعر مركب في النفس .
والذي يبدو من آراء النقاد العرب ان العقل بهمهم اولاً فحاموا في
شعرهم حول المعاني حتى تداولوها جميعاً فاخلقت تلك الشيا ب ولم
تجدد . يجب العرب في شعرهم الجهود العقلية فكلما أكثر شاعرهم
منها كان متفوقاً ... ومن هنا يجيء تقديمهم المعري مع انه لا يبالي
بشيء من الفن . اما الشاعر فهو من اتبع غريزة الجمال اكثر من
العقل ليتغلغل في نفس الكون الحفية كما يقول رنان . ومن جهة
ثانية نراهم يضعون الجمال بعد الحقيقة في الفن فقالوا : أعذب الشعر
الكذبة . فكان للشعر عندهم كفتان : المعنى والتوكيد . ان لغة
العرب لغة شعرية تمكن الشاعر المطبوع من اخراج الاصوات التي
يريدها اذا ادرك اسرار التجديتها . ولئن اعار الاجانب حروفهم
الصوتية أهمية في نظمهم الشعر فكل حرف عربي مثل هذه الاهمية
لو تنبه اليها شعراؤنا ولم يصبوا قواهم على البحر ليملاؤها بالالفاظ
كيفما اتفقت .

ان جوهر الشعر العربي القديم لا يتعدى المحسوسات ، على حين
ان ما يرى هو رمز ، عند الشعراء ، الى ما لا يرى . فالحدود التي تفصل
الدنيا المادية عن الدنيا المعنوية ليست عندهم ، فأعينهم تدرك
العلاقات البعيدة التي تربط الاشياء ببعضها وتولجنا في اعماق جمالها
الجذاب . فالكلام يتجسد متى نفخت فيه الروح الملهمة الخالقة
حياة . والتجسد الشعري هو الشعر كله . وهذا ما يحاول ان يخلقه
شعراء اليوم في ادبنا العربي ، فالشاعر هو من يرى في الاشياء
اشياء غيرها .

نحنا شعراء اليوم نحو شعراء العالم حتى في تسمية دواوينهم مثل :
القفص المهجور ، والعوسجة الملتهبة ، وارجوحة القمر ، وافاعي
الفردوس ، والروافد . الخ .

نبدأ بيوسف غصوب لان نوبته جاءت ، فديوانه اهدي اليها
منذ اربع سنوات . لقد طال انتظاره عند الحوض كما طالت محاولتي
درسه على سراجين : « اللاوعي » عن يميني ، و « البناء » عن شمالي
ولكنني لم ابصر شيئاً فاطفأتها ورجعت الى قنديل المعهود ...

ليوسف غصوب ، كما لكل شاعر ، مقاييس لم يسعدني فهمي
على ادراكها ، ولكنني فهمت ان الرجل يعلم ما يجب ان يتم في
المنظوم ليكون شعراً طيباً ، وان لم تسعده قريحته على الذي
يريد ، وهذا ما لا يستطيع يوسف غصوب ان يعمل ولو علمه . ان
في شخصية يوسف غصوب نفس شاعر مخضلة لم تتألب حولها الظواهر
الجوية لتتكون لاليء بديعة في غصون الشعر ، وقد رأيت صاحب
القفص المهجور ، في كتابه « اخلاق ومشاهد » ، أشعر منه في
ديوانيه ، على ما فيها من شعر نفيس .

هذي اناشيد موقعة انغامها الحرى على كبدي
لا حكمة فيها ولا عظة بل صورتي صورتها بيدي
حالات نفس في مسرتها او في كآبتها ولم ازد
بهذه الابيات قدم غصوب ديوانه الجديد ، وهي حد جامع مانع
للشعر الرومنطيسي ، قال زعيمهم هيغو :

اذا حدثتك عن نفسي حدثتك عن نفسك . غير ان يوسف
غصوب امهر في تصوير الناس منه في تصوير نفسه - وما اصعب على

الانسان معرفة نفسه !

أريد زعمي بحكاية : دعونا عام ١٩٢٦ الأستاذ يوسف السودا للخطابة في جامعتنا الوطنية فاجاد وافاد ، وقوطع بالتصفيق الحاد... وازدهى الأستاذ قبل ان حلت به نكبة لم تكن في الانتظار . خطب احد صغار التلاميذ - في ذلك الوقت - قطعة من كتاب «اخلاق ومشاهد» عنوانها «المسيو لبنات» ، فجاءت الصورة كأنها الأستاذ بعينه ، فاحمر وجه السودا حتى كاد يزرق ، ثم هدأت الزوبعة وشاعت في وجهه ابتسامة علية... اما القفص المهجور فوحدة كاملة ، والناس تعجبهم الوحدة في هذه الايام . وكان هذا الديوان مهياً «لمرفأ السلام» ، القصيدة التي نعتها ترنيمة الفوز والحياة للشاعر الحائر . وما استراح شاعر القفص المهجور حتى حمي من جديد في العوسجة الملتبهة واتجه اتجاهاً جديداً حتى في التعبير ، فواكبته ربة الشعر فجنى من العوسج تيناً . رأيته يتعرض لعلم النفس ويحيى التطبيق ، مصوراً الاختلاجات الحفية بلغة قليلة الرواسم ، ولكنها غير غنية بالابداع الفني لولا التشبيه الذي هو غايته القصوى ، وقد برع فيه واجاد ، وان استعار للاحلام غارباً في مطلع ديوانه .

اما الجو الشعري الذي توحيه مجموعة شاعرنا فجو اغبر ، ففي قلبه صوفية تذيبه ، وشعاره كشعار اولئك المساكين : لذاتنا في الشوق لا في الوصال . ولعل الكبت يؤدي بهم الى التسامي . قالت مدام دي ستال : كل ما فعله الانسان مدين به لعاطفته الاليمية نحو ما قدر له وكتب . واذا كانت (الانا) هي كل شيء

في الشعر كما يزعم الكثيرون من نقاد الغرب كانت غصوب شاعراً كبيراً جداً لأن كل ديوانه (انا) . وهي تطفو على شعره ولكنها لا تخرج من ذات عميقة بل قريبة الغور ذات وتر واحد .
 ان يوسف غصوب واقف على مفرق الطرق يتأبى الشعر المبذل الرخيص ولا يتأني له الطريف الا بكد وعناء ، فهو ليس من شعرائنا الرمزيين الذين يجسدون كائنات هوائية ، ولكنه يحس بروعتها ويدعها وشأنها . فالشعراء الرمزيون يسيحون في جو عجيب الاضطراب ولا يذهبون تواء الى الاشياء ، فهم لا يعاينونها ولا يلمسونها بحركاتنا ذاتها . عيون حائرة وأيد تتلمس ... فتفرق «الصيغ» التي يعبرون بها في ضباب كثيف ، اما يوسف فواضح جلي يسمي الاشياء باسمائها . انه واقعي لان في نفسه مثلاً اعلى كما يقول برغسون . ليس للارض قيمة في نظره فهو متجه صوب السماء .. ولهذا غلبت رائحة المبخرة ونافذة الشهر المريمي على شعره .

القفص المهجور

يوسف غصوب اديب مولته المطالعة ، وشاعر أثرى من السفرات البعيدة في آداب الامم ، يكاد يكون أول شاعر الف ديواناً في غرض واحد . ان ضربه على وتر واحد لا يخلو من جمال ففيه ايقاع بطل المقامة المكشوفة . ارانا الشعراء ، في اولى قصائده ديوانه ، ارواحاً تعبر بحار النور ، ومن اعاجيب هذه البحار « ذرى بعدها ذرى » يرقاها الشاعر ترقى الصوفيين في مقاماتهم واحوالهم ، فيملاً صدره عيو الحلد « ويسمع تسبيح الملائك في العلى » وتلثمه

الارواح في خطراتها « تقبيل الاحباب يعد الغياب ..
ان احبابنا الشعراء مفتونون بالشيطان والملاك ، حفيدي
زرواستر ، وهم يرون ، وحدهم ، هذه الارواح السوداء والبيضاء
ساعة يحبون ، حتى صارت التوابع والزوابع من مكملات حياة
الشعراء ، والا فلا يكون الشاعر شاعراً . ثم يسمي الشعراء في نظر
الاستاذ غصوب (فاطمين) بل كوناً كاملاً فيه الطور وفيه سينا
وفيه حراء :

وحلت بنا روح الاله فقلبنا كمهبط وحي فاض بالنور والهدى
واخيراً يطهر الشعراء من كل ريبة ، ولا يبقى الا ان تشق
قلوبهم وتغسل وتزال منها النطفة السوداء ... ولا يعدو الشاعر شيء
من الحسن في الوري فيحدثنا يوسف في « قصته » الجديدة عن هذه
المواهب :

غنى دونه جاءه الملوك وعرشهم وكل نفيس من ثراء ومن ثرى
وفي الثرى والثراء خيرات لا تحصى دونها كنوز فرعون وان
لم تصلح منجماً للشعر ... ويجيء دور رب يوسف الذي ولاه خزائن
مصر فنطق :

وقال كثير ما وهبتم وانما تذوقون من جراء نعمائه الشقا
وهذا مصداق لقول القائلين : ان الدنيا تعطي وتأخذ ، كأم
سبويه ، فهي لا تهب بلا مقابل . ويفدق يوسفنا عطاياه على الشعراء
حتى يضع اخيراً الجام في عدل بنيامين :

فتجلى لهم قبل الممات غوامض يحاربها من لا يرى فوق ما يرى
كما اصاب اخاه امية ابن ابي الصلت الذي آمن شعره وكفر قلبه .

اقرأ حكايته في روايات الاغاني لتعلم كيف شق الطائر قلب أمية ،
ثم رده في موضعه وكيف انذره الغراب بالموت ومات لساعته .
ومتي عرفت هذا ادر كنت ان يوسف مقتصد في وصف نعم الله التي
يسبغها على اخوته الشعراء .

ويرافق غصوب الشعراء الى ما بعد اللحد فيصيرهم بهائين
(ينعدمون في ذات الوجدانية) ولكنه يحولهم الى نار ، والحمد لله
على انها تضيء ولا تحرق فيقول عن نفسهم :

تقرب حتى تستحيل شرارة تضيء مع الانوار في منبع السنا
وهل نسي ان في الشعراء من لا يحلو له ان يستحيل ناراً ، بل
يود ان يظل آدمياً بلحمه ودمه ، ولو عاش في آخر جنة المعري مع
الخطيئة ...

اولئك هم الشعراء في قصيدة غصوب التي يذكرني اصطدامي
بها بالمقصورة الدريدية ، وثائية ابن الفارض ، فوقع قوافيها كقطعة
القلم ، واسوأ القوافي وقعا في نفسي المقصورة منها ، وشر البحور الرجز .
اما الجو الشعري الذي حمنا فيه مع الشاعر المخلق فحسبك
تحديداً له ما ذكرناه لك من عوالم ، فيها ما يرى وما
لا يرى ... ان بودليو ، معشوق شعراء شبابنا اليوم ، يرشقنا
باول زهرة من زهور شره - بعد المقدمة - عنوانها (بركة) فيرينا
كيف خلق الشاعر بمرسوم خاص صدر من ديوان ذي القدرة
الجبار . جدفت امه من حنقها وتطلعت الى فوق بيد متشنجة
كأنها اعتادت ضرب البوكس . اسفت كيف تغذي هذا الهزأة
- اي الشاعر - ولعنت كأيوب ليل الملمات الزائلة الذي القى في

مستودعها هذه (الكفارة) . وقالت وقالت غير فاهمة ما يعده لها القدر الدائم .

ويعيش ابنها هذا في رعاية ملاك - وسيان في الايمان بالملائكة الشعراء الملعونون كبودليز ، والشعراء الطوباويون كيوسف غصوب - فيأكل شاعر بودليز طعام الهمة الاولمب ، كهوميير ، ويشرب الكوثر الفضي ، ويلعب مع الرياح ، ويحدث الغمام ، وينتشي مترنماً بالخان درب الصليب .. ويبكي الملاك - جفيسد زرواستر - الذي يتبعه اذ يراه مرحماً كعصفور الغاب .

ان شاعر بودليز متزوج ، وشاعر غصوب عزب ، فنقول لزوجيه اشياء من وحي دليلة ... واخيراً يرفع الشاعر يديه نحو السماء ، كالقديس انطونيوس اذ ظهرت له الشياطين في اشكال شتى ، ويهتف :

تباركت يا ربّي ، يا من تعطينا الألم دواء الهياً لرجاستنا ، وكأحسن واطهر اكسيويهيء الاقوياء لاقتبال الملذات المقدسة . انا اعلم انك تعد مكاناً للشاعر في مصف الطوباويين وبين الجوقات المقدسة ، وانك تدعوهم الى عيد العرش الازلي الخ . واعلم ان الألم هو السمو الوحيد الذي لا تعجم عوده الارض والجحيم وان خضر اكيليي الالهي يقتضي استهلاك جميع الازمنة والكائنات ... ثم يبحث شاعر بودليز عن جميع اللاليء الضائعة فيراها كلها لا تكفي التاج الواجب صنعه « لجلالته » من للنور الصافي المقتبس من موقد الأشعة الاولى المقدس .

تسأل عما دعاني الى هذا . انني اتوب توبة داودية فلا اعود

الى هذا فيما بعد حين اعرض للشعراء الآخرين ، ولكن لكل شاعر حديثاً عن الشعر والشعراء فكأنه يضع لنا هذه الاقيسة في مطلع ديوانه ليسد علينا الباب ... آفة الشعراء في كل ملة وزمان انهم يرون انفسهم من طينة عليا ، مزاجها من ماء نهر الكوثر وجابلها غير افدع كما كانت حاله بعد «المجبل» الكبير الذي جبلنا منه .

لم يتفق بودليز وغصوب في وضع سفر تكوين الشاعر ولكنها تواضعا على تأليهه وجعله من عالم غير عالمنا . اما انا فالشاعر في نظري « خالق » ولكنه بشري مثلنا وهذه آيته الكبرى التي أو من بها . لا وحي هناك ولا ضرائب سخنة ، ولكنه محرك (موتور) يستطيع التحليق في اجواء بعيدة ، والشعر كلام فلاوحي ولا الهام . ولكن الكلمة في الشعر الغالي تحمل فوق طاقتها ، كما رأينا في قصيدة بودليز . اما شعار الشعر الرخيص فهو : ما كلف الله نفساً الا وسعها . في الشعر الغالي لا تدخر الكلمة شيئاً من جهدها لتدخل ملكوت الفن ، وهي الآلة الكاشفة لاسرار المياه والمعادن المحتجبة في بطن الارض .. وساعة يوقفنا الشاعر عند فتح نقدره نحن ونقدر نتاجه يكون شاعراً فقط لا عبقرياً . فالشعر خلق لا صلاة . ومن يعتقد غير هذا فليصل ... ولكنه في لاهوتي من الهالكين ودعوته لا تستجاب .. فلنخلق .

«القصص المهجور» هو النشيد الثاني من ديوان القصص المهجور . اننا نجب حتى الحزن هذا الغناء اليوسفي الذي فُجى صاحبه من الجب ليسير مع القافلة في صحراء التيه . ان قصيدة القصص المهجور موحشة ، وقد يكون عنوانها سبب هذه الوحشة ، ويزيد الطين بلة

ورود الموت والقبر في مطلعها . اما «وحشة القلب» على ما اولت
لفظة «حنظلت» مطلعها من مرارة وخشونة ، ففيها شعر طلق :
لا تقل باسم قرب ابتسام كسراج يضيء في كوخ بؤس
طفح القلب بالهوى وهواه ضائع كالشموع في نور شمس
او كعين تفجر الماء منها فوق جذباء لم تحل بغرس
ان هذه الارض الجلاء تفقاً حصرماً في عين الهواء القالع فليمر
فيها بترتيب أو بغير ترتيب .

برأ الله انفس الناس أزواجاً تداعى فكل نفس لنفس
المعنى متداول ، ولكن ما الحيلة والشاعر يريد أن يقول هذا
ويفتش عن شقيقة نفسه ، فليته يصون شعره في قابل عن هذه الاذيال
كقوله : «تداعى» ، ثم : «فكل نفس لنفس» . قد بلغنا الغاية عند
«ازواجا» فماضره لو كفانا القتال ونحن مؤمنون بشاعريته؟! ... واذا
تنطسنا قليلاً قلنا ليته قال : برأ الله انفس الخلق ، فالناس أضيق
من ان تسع الجنسين ، والشاعر يترجم هنا قول التوراة ذكراً
وانثى خلقهما ...

ويدخل الشاعر قصر الحب ، ويتكلم في قاعة «الانتظار» حتى
يطول عليه ويؤله فيقول شعراً طريفاً :

قربت ساعة اللقاء وغاضت في دجى الليل كبرياء النهار
ارقب الحب خاشعاً كني يرقب الوحي في ظلال الوقار
ليته استعار لهذا النبي مسوحاً بدلاً من ظلال فتجد كبرياء
النهار شقيقة نفسها كما وجد الشاعر بعد هذا الانتظار شقيقة نفسه .
وتنبري التشابه عند الشاعر بروعة شعرية عذبة تتجلى فيها امامي

لاول مرة شاعرية يوسف غصوب الحُصبة في قفصه المهجور . لا
او اخذه الا على « ساري » فمن حقها النصب ، وليس من حقه ان يقف
عليها . ولو خلت هذه القصيدة من بعض هنات هينات ، لمت
كنعمى بني امية عند اخطلمهم . وهي عندي مع ذلك من خير الشعر
العربي . ويوسف الذي لا يصرّع قلما يابه للمطلع ، ولكن قصيدة
« الانتظار » جيدة الاستهلال رائعة الختام ، وليس اجمل من : آية اليأس
في جبين النهار ...

وفي « نجوى » صورة طريفة ايضاً حيث يقول للتي ناجاها متهدداً
بالاستشهاد :

هـلا عطفت عليه فان في مقلتيه

تضرعاً وملامه

ان هذا التضرع والملامة الهازئة لا يفارقان عيني شاعرنا .
ويقبل يوسف قبلة ، اخالها الاولى من نوعها ، فيحس انها تركت في
موضعها طيباً يعطر أيام الشاعر واحلامه ، ويعدها زاداً — غير « زاد
المعاد » — يشدد من ضعفه ، وبينما هو في هذه الفورة ، في عز حبه
إذا به يحدثنا عن الامل ويصفعنا بهذه الحكمة المريضة : واثبت ما
بنى الانسان قبر ... قر ... يا يوسف . استعجلت . ما لهؤلاء
الشعراء لا يفكرون ريقهم بما يسند قلوبهم حتى يستجيروا بالقبور ،
غفر الله ذنوبك يا مدام دي نواي ...

وعلى ذكر القبر اقول ان اروع ما اوحاه القبر للمتقدمين
والمتأخرين قول الشاعر ابو شبكة في رثاء صديقه فليكس فارس :
تراب القبر هنا من فراش على جنبيه ثعبان وحوث

أرأيت ؟ ! هنا خالتنا المنشودة ، هنا حمل الكلام جبلاً وما
ناء تحتها ولا اسفق منها ... وفي قصيدة الحُرَيف الجيدة لا بد من
لفت الشاعر الى بيت متداع . وقع فيه يوسف بفتح الوزن فاستغاث
« بتلكما » حيث قال :

يا صاحبي اذا قضيت فكفتنا جسدي النحيل بتلكما الورقات
فأه من صاحبي العفنة ، والف آه من تلكما ، فهي لا تقمع في
حوز شاعر يرتضيها مادة لشعره ، ولا خوف من انقراض نسل
الكلام لنفعل كبنيات لوط ...

اما « ذكرى » يوسف فما نفعتني شيئاً ، وما رأيت فيها إلا
تشابه مألوفة تدل على ان للشاعر عيناً ثاقبة تحسن النقل وقلماً
تربناً شيئاً « فوق ما يرى » ، وكذلك « رؤياه » فما وفقت الى
تأويلها وقد يكون علمها عند ابن سيرين وفرويد ... اما « جنة
الاحلام » فهي حديقة شعر وحسبك منها هذا الضياء الذي جمده
يوسف في هياكل الاجسام ، كأنه وجد حجر الفلسفة المنشود .
قال يعنف فؤاده الأعمى :

يا فؤادي الا ترى غايات بارزات من مكن الآجام
مع ان ولوج الآجام والكمون فيها يصعب على سيدات :
عاريات كأنهن ضياء جامد في هياكل الاجسام
يتشبن كالظلال خفافاً ما يضرن الاعشاب بالاقدام
قلنا انها حديقة شعر ، والحدائق لا تخلو من الطفيليات ، فلا بد
من تنقيتها ، فما الذي اضطر الشاعر الى القول : « كلما مرت النواصم
فيه .. ؟ » في مكنه ان يقول « النسيات » فما دعاه الى هذا التعسف ؟

اللهم ان لم يكن يحاول التجديد عن طريق الجموع وبعض الصيغ
كأصحابنا المصريين ، حرسهم الله .

ويرى يوسف العذارى يستحمن فيدعو قلبه الى الاقامة
عندهن ، كما تنى بطرس على سيده في طور طابور . ادهش يوسف
المشهد فلم يكن فاتكاً كامريء القيس ، ودعا قلبه فما لبّاه ، بل
سار به الى مرفأ السلام .

« مرفأ السلام » خاتمة القفص المهجور . يسأل فيه يوسف الحبيبة
التي وجدها ، بعد ان يعترف لله الاب الضابط الكل ، ولها بجميع
خطاياها لتجلب منها ، وتطهره .. فيصور لنا ما قطع من الاودية حتى
تحسبه تأبط شراً . القصيدة صورة حاله إذ كان كالابن الشاطر . ولو
فضل فيها ما أطعم الاصدقاء وما سقاها ، لقلت انها اخت قصيدة
الواساني التي وصف فيها ما جرى عليه في الدعوة التي عملها في قرية
« حمرايا » من اعمال دمشق . قال ذاك في اصحابه الذين خربوا بيته
ولعنوا اباه :

رحلوا من بيوتهم ليلة المرفع	من اجل أكلة بجان
قصدت هذه الطوائف حمرايا	لهتكى وذلتى وامتحاني
قلت ما شأنكم ، فقالوا اغثنا	ما طعمنا الطعام منذ ثمانى
افقروني وغادروني بلا دار	ولا ضيعة ولا بستان
وبما اكلوا :	

اكلوا لي من الجداء ثلاثين	قريباً بالحل والزعفران
اكلوا لي كشكية قرحت قلبي	وهاجت لفقدوها اشجاني
اكلوا لي سبعين حوتاً من النهر	طرباً من اعظم الحيات

ومن البيض والمخلل ما تعجز
فتتوا لي من السفرجل والتفاح
والرياحين ما رهنّت عليه
ذبحوا لي بالرغم يا معشر الناس
عن جمعه قري حوراث
والرازيّ والرمات
جيتي عند احمد الفاكهياني
ثمانين من معين وضات
اكلوا اكلوا ..

ثم قالوا هلم شيئاً فنأديت غلامي ثم ويك فانخبأ حصاني
القصيدة فكهة جداً، وهي مؤلفة من ١٩٦ بيتاً تجدها في البيّمة
الاولى ص ١٦٦ طبعة دمشق .

ثم لاذ يوسف بظل هذه الصديقة فغفرت له جميع ذنوبه وخطاياها،
ونضحته بالزوني فايبيض اكثر من الثلج - حسب قوله :
وبات قلبي انقى من مائه في الصفاء
يريد ماء هذا المرفأ العظيم الذي القى فيه مرساته وربط مر كبه :
تضيء عيناك فيه كالانجم الزهراء
فطمربه بحب صاف وصدق وفاء
ويهتف ختاماً

يا ملجائي يا ملاذي يا بلسمي ورجائي
قلت : ولعل اسمها مريم ، فتضرع لأجله ، وتشفع فيه ،
وتتحنن على موته . آمين !

العوسجة الملتبهة

القي الشاعر غصوب انجره - يطره - في ذلك الثغر المطمئن
الهاديء، الصافية مياهه كعين الديك . وتطهر صاحبنا فصار قلبه كماه

البوري في الصفاء . وما قلنا استراح المركب في الميناء ... حتى
رفع المرساة واقلع «الفلك» العجيب .

التهمت العوسجة ونار العوسج حامية . وقديماً اشتعلت العليقي
وكلم موسى ربه منها واختاره كلياً . أما يوسفنا فمكروم لا كلم .
انفجرت عاطفته من جديد ، واستيقظ قلبه بعد غفوة غير كاملة ،
وكذلك قلوب الشعراء والنساء لا تخمد فيها ثورة حتى تشب أخرى
في إحدى زواياها فيتقد البيت . لطا صاحب القفص المهجور في
المرفأ عند هبوب العاصفة ثم حل المراسي ، وسار فلكه ، وباسم
الحب مجراه ، وإذا به يقول لنا :

أعددت فلكاً للهوى عجباً بالطيب والانوار منتقياً
علقت في أمراهه سحياً حمراء تحب موجهها لهما
وصفات هذا الفلك أشكال وألوان ، فهو كسفينة جبران
المركشة . ولكن قصيدة غصوب غير جوفاء كذلك ، وإن خاب ظننا
في توقع نهاية أروع لهذا الفلك النوحى الجديد الذي «تجاوز الآفاق
والقطبا» ، ولم يستول على الجودي ، ولا على أراراط ...

إن الشاعر غصوب في عوسجته الملتهية أغزر خيالاً وأرصن
تعبيراً منه في القفص المهجور . فهو فيها يخوض وسط المعمة ...
رأبته يتطور تطوراً محسوساً جداً كتطور الفراشة . ففي «شبهات
رؤى» شعر طيب ، وإن لم يخل من الرواسم كقوله :

والزهر المنشور من حولنا رصعه بالدر طل الحياء
ولا من الركاة كقوله : « وكل شيء اضاء :

ونظرة باسمه في الضحى تفوق نوراً كل شيء اضاء

وفي « الجنازة الحمراء » تطل علينا أشباح بودلييرية رابعة كأننا نرى « جيفته » . ويوسف يحذو حذوه في « اللازمة » فيعيد بيتاً أو بيتين أحياناً في هذه ، ثم في قصيدة « المساء » التي تليها .

وفي « عودة الربيع » تراجعنا ذكرى « خمصانة » المتنبي ، رحم الله أبا الطيب فقد كان ذلك الرجل من ذوي الذوق السليم . كانوا في زمانه يحبون أكتاب الرمل ، وكلما سمنت الحبيبة وغزر لحمها وتهدل ، عظم حسنها كأنما تؤخذ الى المسلخ ... اما المتنبي فقتناه في الرقة حتى قال : كل خمصانة أرق من الحجر ...

أما « النغمة العذراء » فردبئة الموسيقى ، لا آهات فيها ولا رفات . كل ما فيها تعازل وابتذال ، اللهم في الفن الشعري . وفي « نور الفؤاد » يتجلى لنا ما يشبه رؤى سيلبي بريدوم . رأى يوسف نفسه مسجى في نعش — سلامة قلبه من هذه النومة !

تضيء من حوله شموع التقى معقودة اعناقها بالحداد اي لابسة « كرافات سوداء » ، والحجرة يغالب النور عليها السواد . وهناك دمع يبيل جسده الذي امتد فيه الفساد . والخلاصة كان مأتمه حامي الوطيس عندنا ، والعرس في السبع الطباق الشداد كما يقول الشاعر العربي .

ويقول يوسف حكمة بعد الموت فيعير الناس اطباعهم ويتمنى ان لا يوقظ من هذا الحلم :

لا توقظوني ان اكن حالمًا فقد اخاء الموت « نور الفؤاد »
اما نحن فنهنته بالرجعة قائلين : « صح النوم » . ان هذه القصائد كلها جيدة الاول ، أما ختامها فخال من « الزخم » ، وهذا

ما انعاه عليه . فبدلاً من ان تلم قصيدته شملها كقصائد هيفو
وابي نواس اذا بها تتفلطح .

لم نذكر سيلي بريدوم عبثاً فغصوب من شعراء اليوم كسيلي
بريدوم من شعراء عصره ، فهو لم يطفر طفرتهم اللفظية ، وبينه
وبين الشاعر الغربي قرابة دموية في التصورات والخيال والرؤى .
اما توارد الخواطر بينه وبين الفرد دي ميسه فقد سقطت عني مؤونة
بحثه ، اقرأ « الباب المرصود » .

ويسمع يوسف في « نداء » صوتاً يستوعى انتباهه فيحدثنا قائلاً:
كل يوم تصيخ نفسي لصوت هابط من عوالم خافيات
فهي تهفو الى المنادي وترقى كبخور اليه او كصلاة
وتخطر بباله الفلسفة فيتبعها بقوله :

أترى هذه النفوس الحيارى في اغتواب عن عدنها مبعديات
فالى عدنها تذوب اشتياقاً وحنيناً الى قديم الحياة
وكما قال المسيح لبطرس: أنت رأيتني وآمنت فطوبى لمن لا يراني
ويؤمن . طوبى لك يا يوسف فإيمانك اكثر من حبة خردل ...

وأحب الاستاذ الفلك والسفن والمرافئ كثيراً فشبه نفسه
بمركب ، حتى ارانا في قصيدة « نداء » دنيا بأسرها . فيها افكار
مختلفة ، وفيها أوزان شتى ، وفيها أساليب متنوعة فكان هذا
المركب سفينة نوح التي وسعت الاجناس كلها... وفيها شعر ايضاً ،
فشاعرية يوسف في تقدم مستمر كما تشهد بذلك قصائده الطيبة التي
أذاعها بعد هذا الديوان النفيس .

ويستمر الشاعر في العلو صعوداً حتى يبلغ « سدرة المنتهى »

فيفتش تلك الآفاق فيجد العلم تيهاً والمجد لفظاً ، وفيما هو يغلي في
هذه الرحلة العنيفة :

وإذ بروض مأوه من مدام ودوحه مسحورة كلما

تمايلت غنت نشيد الغرام

فيدعو نفسه للاستراحة في ظل « سدره المنتهى » فتقر زماناً ،
ثم تستفيق مذعورة وقد راجعها داؤها ، والنكسة ويل وبلاء .

حنت الى عهد الليالي العذاب في صحبة الاحلام تسعى الى

اوطانها العليا وراء السحاب

يا ليت شعري ، أين تكون سدره منتهى شاعرنا التي رآها ؟ فالمعلوم
أنه ليس فوقها فوق ، وما وصل اليها أحد بعد ، غير بشاره الخوري .

وأخيراً يلقي حبل نفسه على غاربها في ذلك الربع الخالي :

فقلت عودي واسرحي والخيال في اربع ما خاب روادها

لذاتها في الشوق لا في الوصال

تلك حياة الابرار والصادقين ، متعنا الله بها مع يوسفنا
العفيف ، ووقانا صرامة اللاهوتيين الذي يقاصون الناس بالهلاك
الأبدي من أجل خطيئة الفكر ...

ها قد بلغنا « صلاة راهب » . ان تكن القصيدة صلاة فهي من
أروع الشعر واطيبه ، يحول فيها شاعرنا والبحرتي في حلبة واحدة
— شعراً وفناً وتصويراً — يصب فيها هذا الراهب النقي سخطة على
حواسه الخمس واصغريه ، فيصير المجموع سبعة ، بيننا الراهب
الأصلي — جرمانوس فرحات — تشكى من أربعة فقط :
اني بليت بأربع لم يخلقوا إلا لشدة بلوتي وعنائني

ابليس والدنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وكلهم اعدائي
وكانني براهب غصوب هذا هو بولا أول الحبساء ، فالامه كثيرة
جداً ، والدنيا كلها متألبة عليه فهو القاتل :

رب رحماك ما تريد فاني كدت في وحدتي اصاب بمس
قد عودتك الحكايات ، فحكاية القديس بولا غريبة عجيبة ، دل
عليه القديس انطونيوس وحش كان نصفه شكل انسان ونصفه
الآخر شبه فرس . وكان الغراب يأتي القديس بولا كل يوم بنصف
رغيف ، ولكنه جاءه برغيف كامل حين زاره القديس انطونيوس .
وعند موت بولا رأى القديس انطونيوس نفسه صاعدة إلى السماء
ما بين الملائكة والانبياء... وبولا مات وظل واقفاً على قدميه ، كما
خبر القديس انطونيوس الذي دفنه يعاونه على حفر قبره أسدان ،
وبعد حفر القبر ركع الأسدان أمام مار انطونيوس
فصلى على رأسهما قائلاً : إلهي ، يامن بدون عناية حكمته
لا يسقط عصفور على الأرض ولا ورقة واحدة امنع
هذين الأسدين ما يناسبهما (مروج الاخبار ص ٤٢) .
وفي « صلاة راهب » يلتقي يوسف مع دي فيني في قصيدته
« موسى » ولكن راهب غصوب غير جسور كموسى دي فيني فلا
يمن على الله بشيء ...

وينتقل يوسف إلى « العذارى » فكان حقاً مسك الحثام ، ففي
هذه القصيدة الرائعة يلتفت شاعرنا الواقف على « مصلبة » الطرقات
صوب الشعر الجديد ، فيحلم الروض بالربيع ، وينتشي الفجر ،
وننفس الروابي ، وترقد الوهاد ، وهلم جراً . ويسجل يوسف

أخيراً إيمانه البريء في هذا البيت من القصيدة وهو ختام ديوانه
فيقول :

تحسف الأرض بالخطيئة لولا شافع الطهر في العذارى الصغار
فهو يريد أن يقول : لولا طهر العذارى الصغار لحسفت الأرض
بسبب الخطيئة ، ولكن قوله جاء عكس ما يريد . ولو تم ما قال
لاسترحنا من الخطايا كلها ، وغابت عن وجهها في قلب الأرض ،
واسترحنا حتى من الخطيئة الأصلية ... التي جعلت النفس تحن إلى
عدن الذي خرجت منه ، كما جاء في شعر غصوب .

انتهت جولتنا في هذا الديوان الحصب الذي نعد صاحبه همزة
وصل تربط القديم المتحجر بالجديد الطاهر ، فهو أول شعراء الشباب
الذي فكر بالاستقلال الناجز مع المحافظة على ما تجب المحافظة عليه .
يقول تين : إن الأثر الفني لعمله ثلاثة عوامل : الجنس والمحيط
والزمان : وقد نسي التربية الأولى التي عملت في شعر غصوب ما
نلسه لمساً . يعجب الناس لكثرة الشعراء المجيدين في هذا الجيل
لأنهم لم ينتبهوا إلى هذه العوامل . ولو أمعنوا الفكر قليلاً في الغناء
البناني العامي الذي تنام عليه أطفالنا ، وتستيقظ عليه فتياتنا ،
لأدركوا سر شاعرينا . فكل ما في لبنان شعر .

قد فكر العرب في الوراثة فقالوا : أمّ عمر بن أبي ربيعة حميرية
ومن هناك أتاه الغزل (أغاني جزء ١ ص ٣٠) والبناني وارث غير
سفيه ، أنمى تلك الثروة التي ورثها ، وزاد عليها من مريح الاسفار
فأصبح أدبه الذي ترى وتسمع ، وصار الشعر على كل شفة ولسان ،
حتى صرنا نرى شعراء الزجل يقيمون سوق عكاظ حيث يجتمع منهم

اثنان أو ثلاثة .

إن يوسف غصوب هو ابن هذه البيئة الموسيقية يمثلها أحسن تمثيل في فكرته وتعبيره . وديوانه أول انشودة تمثل شاعراً بلحمه ودمه . والشعر كما يفهمه يوسف «بناء» وقد بنى صاحبنا مدماً كماً في قصر الشعر فعلى الذرية أن تعمل ما عندها ، فأدب الامة لا يبتيه واحد وحده . وإن كان ذلك فتلك غضاضة من قدر الملة والشعب وشاهد على العقم . تعجبني لغة يوسف النقية فهو على تأثره بالعجم عربي اللسان ، وقد جمع في ديباجته السهولة والقوة ، وإن أتت قوافيه أحياناً كأنها «غلتى» . والقافية في نظري زاوية لا غلتى ، ولكنها يختلف نمط البناء توضع عند نهاية المدماك ... وهي تخلق القوة في البيت كله .

إن وثبات يوسف قليلة ، والوثبات هي التي تعمل الشاعر الكبير ، فإذا خلا منها الشعر يحق لنا أن نقول مع بوفون : شعر مثل النثر الجميل . والشاعرية العظيمة تظل دائماً الاشعاع حيث ترى ، فكانها الجباب في ليل الفكر . لا بد للشاعرية من الوميض كل حين ، وهذا ما لمحت عند غصوب في العوسجة التي هي خير من القفص . كما أنني قرأت له شعراً ، بعد الديوان ، كان أعظم وقعاً في نفسي من شعره الاول .

والجمال الفني عند شاعرنا عام ، ولكنه غير باهر ولا فاتن . أعني بالعام جمال الغرض والعاطفة والشعور والصيغة . ولكن ليس في شعره كله قصيدة تدور على الألسنة لتخلد صاحبها ، وإن طلبنا ذلك فقد نجده في بعض مقطوعات نشرها في المكشوف ، بعد طبع

الديوان . وإذا صحت نظرية جول ليمتر : ان الشعراء كباراً
وصغاراً لا يقرأهم الا الشعراء الآخرون ، بطلت نظريتنا هذه ،
وكان ديوان الاستاذ غصوب مقروءاً من الادباء جميعاً ، وسيقرأ
دائماً لأنه جميل طريف وصاحبه يقدر نظرية الفن للفن ، كما يبدو لي
من عمله العنيف في شعره . فأكثر شعره معمول «توصية» أو قل
أراد الشاعر أن تكون له قصيدة فكانت .

أما فضل غصوب الذي لا ينسى فهو هذا العمل الفني الحر الذي
كان خير أمثلة للشباب حفظوها عن ظهر قلب . أطلق الشعر من
قيوده ولم يقل قصيدة في موضوع غير شعري يوم كان الشعر يعمل
غيب الطلب . فأين الشعر مثلاً في قصيدة بشاره الخوري الاخيرة
«عودوا الى تلك القرى» فهو لو حبرها مقالة لكانت أروع .
وإذا كان فلان شاعر كذا وفلان شاعر كذا ، فيوسف غصوب
شاعر الشعر اولاً .

حياه الله كشافاً مباركاً ، أو رائداً أعجبته خضرة الدمن .

الياسر بوشبكة

فرغت من قراءة كتاب « الادب المقارن » فانسدت الدنيا عليّ . كدت افام علي كدر لولا كتاب الف ليلة وليلة . من اجل هذا الكتاب ، وحده ، حشرنا المؤلف في زمرة قادة الفكر الانساني والعاملين على تغيير مجاري الخيال البشري . فاحرر بنا ان نقسم لصاحبه اثر « الاديب المجهول » .

فما قول المتحمسين للطبع على غرار الجاهلية ، في كتاب ازدروه فصار كالخجر الذي رذله البناءون رأساً للزاوية ؟... لقد اياسنا شعرنا من كل خير طلبناه عنده . اطبقت عليه حمى التقليد دهوراً . والتقليد اذا اجتزى على كتاب لغة واحدة وسلالة واحدة ، كما فعل السلف الصالح ، يصبح ضامراً خسيساً . اعتدّ العربي بشعره اعتداده بنفسه حتى قال ابو الادب العربي : وفضيلة الشعر مقصورة على العرب ، وعلى من تكلم بلسان العرب . اما مع « شعراء اليوم » فقد تنازلنا عن تلك العنجهية العارمة ، و صاهرنا الاجانب ، عن غير طريق الولاء ، فكانت لنا ذرية ادبية جديدة ليست كلها على

نمط واحد كمصنوعات « الفبارك » .

قد تعددت القوالب واختلفت السحن ، وتغذى الادب بدم جديد فانتعش بعد توتر اعصابه وتصلب شرايينه . فاستلهم الاداب الاخرى كاستنشاق هواء جديد يكسب النشاط والعافية ، على شرط الا نلهمس ما على موائدهم . فجديد الادب المتشابه لا يعمر طويلا ، ولا يخلد منه الا ما كان فيه غذاء الذرية ، ولكل ذرية مجاعة ، ولكل مجاعة قوت .

بدأ طلابنا يحسون ان حاجات نفوسهم ليست - مثلاً - عند البعثري في وصف القصر الذي « دعر الحمام وقد ترنم فوقه » ... فايما مروا اليوم ، فهناك بيوت اشمخ وارتفع منه عماداً . وليست ايضاً في ذلك الغزل المكروور الذي لا يبدل الا على انه شعر .

ومن اولى من شعراء اليوم بالنفوذ في هذا المضيق ، فلـكل دولة رجال . وهام يخرجون الشعر من دهاليزه ليتشمس وتعاوده نضارة الشباب فينقى دمه الماصل وتزخر فيه كريات الحياة . ان التطعيم يرقى الاجناس وينوعها ، فلنطعم والا فجنينتنا تظل باناً واراكا وغضا وبهراً وعراراً ، بينا البساتين الاخرى تحفل بمئات الاجناس . فلنفرس ! فلنطعم ! وليتهمنا من شاء بما شاء ان كان في هذه النهمة حياة ادبنا واخراجـه من كهوفه ، اما مللنا عليك المصطكى ..؟

لا يستحي الانكليزي والروسي والالماني والفرنسي ان يدلننا على العناصر الاجنبية في ادبه ، اما نحن فنعد ذلك عاراً ، كلفنا الفن يهبط علينا من السماء كالمـن والسوى ، او تخرجه ارضنا كالكمأة .

اننا لا نريد من اللغة الا المواد الاولى كالالفاظ والاصول ، اما الشكول فلكل عصر زي . وهذا ما يفعله شعراء اليوم كل على قدر خياله وما طبع عليه ، وقد درسنا اقدمهم - يوسف غصوب - الذي عددهناه بحق طليعة هذه الكوكبة ، وهنا نتناول الياس ابو شبكة في ديوانه الجديد - الالحان - الذي نشرته دار المكشوف .

*

جاء في أساطير اليونان، أن احدى البنات المدعوة سيونكس فرّت من وجه الاله «بان» الى ضفة نهر وتحولت الى رماح قصب ، فتتبعها ذلك الاله الغضنفر وقطع من ذلك القصب وضع شبابة ذات سبع قصبات مضمومة ، فعزوا اليه جميع الاصوات الخفيفة . ونحن اذا قرأنا شعر ابو شبكة في «القيثارة» و «أفاعي الفردوس» و «الالحان» وما ينظمه أخيراً للمناسبات التي لا بد منها، نستطيع أن نعزو الى شاعرنا جميع الالحان من مخيف ومفرح ومحزن . قد يكون أقرب شياً بقصة الفارابي التي ذكرتها غير مرة . ولئن كان الياس في ألبانه ابن الاله «اورفه» فهو في أفاعيه ابن الاله «بان» ، واننا نشكر لسيونكس - أم طفل - التي فرّت من وجهه فاستفزت شاعريته ووجهته في الطريق الخالد . ان تلك الأفعى التقيّة الطاهرة قد دبت لئلا قلبه بالخطب فصهرته شعراً عسجدياً مصفى ، ونعم الكفارة زبورك يا داود ...

نقرأ القيثارة ، باكورة الشاعر ، فنتمنّى ونقرأ «أفاعي الفردوس» كلمة جرير في عمر ابن أبي ربيعة . ففي أفاعيه يبلغ فنه

القمة، وشاعرنا المبدع قد استحال ثلاث مرات، وهو اليوم يحبو الى
الرابعة، فهل من «ام طفل» اخرى تتبنى الشاعر وتنقذه من
ولوج الباب المفتوح...

انه في الطور الاول - القيثارة - من الطيور القواطع يطمح
الى الآفاق العليا ويقتصر طرفه دونها . وفي الطور الثاني - طور
الأفاعي - طائر غريب كاسر يسمو لينقض من عل وينشب محالبه،
أما منقاد فمعقوف كالصليب الهتاري . وفي الطور الثالث - الاحان
- طائر بلدي تشجيك أنغامه وتعجب كيف استحال من الكالة
للحوم الى حسون فصيح يعلى على القنـبز . اما الطور الرابع
فأعبيذك بالله منه . أعيد شعره من هذه الدعوات فبضاعتها بنت
ساعتها، وفيها يصح قول النواصي : كلام الليل يحويه النهار . اللهم
لا تمح ذنوب الياس وخطاياهم لترتفع أناشيد توبته الى أعاليك ...

في احدى المناسبات قال الياس عني « وحيناً عقرب » . هذه
قافية البيت ، أما ما بقي فغاب عني . واني أقول لصاحبي سأحاول
أن أكون أنعم من السنجاب ، ولا أقول الهر ففي جلد الهر حاجة
الى الحك ، ان لم تحك له أنت تحكك هو بك ، كما هي حال زكي
مبارك أحياناً . فلندع « القيثارة » جانباً ففي فصيح « أفاعي الفردوس » ،
رائعة أبي شبكة ، موسيقى غريبة . فغضب الانبياء وسخطهم
النافض كالبرداء يتطاير حمماً من براكين « أفاعي الفردوس » . وكيف
لا يكون هذا وشاعره من قراء التوراة المدمنين ، يراها منبعاً
للإلهام ، وانما لكذلك ، لما فيها من القمص الدسمة ... فهي أخصب
الدمن وأمرعها للشعراء الشباب وغيرهم . هناك دمن خضراء لا

ينقضي ربيعها، اعتدال طقس ، وحرارة ملائمة ، اخرجت هذه
الحشرات، انها كالوطن الذي كتبت فيه تدر لبناً وعسلاً ...
اخذ الشاعر منها موضوعين بعثها من جديد ، واحياهما بما عنده
من عاطفة جشعة ونفس متقدة ، فلا بدع إن قلنا ان أفاعي فردوسه
عريقة الحسب والنسب تستأهل انجيل ملسلة لتتصل بامنا حواء التي
أورثتنا الخطيئة الاصلية ... ولولا عماد السيد في الاردن من يد ابن
خالته ، ثم موته على الصليب لما كان لنا العلاج الشافي من دائنا
الويل ، ولظل أبونا آدم والابرار من نسله في ظلمة اليمبوس الى
الآن ...

ألا ترى « أفاعي الفردوس » عنواناً طريفاً ؟ اننا نستهل اسمها
ولكننا لا نستطيع الحياة بدونها ، بل نستلذ لدغها وبطيّب لنا
جحرها . انها مائدة مأكولة مدمومة .

إذا ما أشرفت على دنيا « أفاعي الفردوس » جثم عليك جوّ
سادوم وعامورة بكل ما فيه من زفت وكبريت وبحر ميت
وأعمدة ملح . يربك شاعره الحاوي الجبار أفاعي بشرية فتصك
وجبك وتسدّ منخريك إذا واجهتك . ورغماً عن هذا الجو الخائق
فأنت تحسّ أنك تقرأ شاعراً ملهماً ، شاعراً له ذاته ، وله نفسه ،
وله شخصيته ، ولشعره طابع أصيل . فيه الصور الرائعة ، على
ما في خلق الصور الجديدة من صعوبة .

لا تجزع أن أقل لك هذا فالوردة تعيش جذورها حيث تعلم ،
وتعطيك أثماراً ينعم بها انفك ويزدان صدرك . والتفاحة كذلك ،
والشعر شيء كهذا . والياس في « أفاعي الفردوس » من الشعراء

الملعونين ، وأقوى حواسه اللمس والبصر . لست أرى عليه حرجاً
في هذا الجوّ السادومي ، فهو شاعر يحكي الماضي ليؤدب الحاضر .
وما زال لا يختلف في المغزى عن المفسرين وعلماء اللاهوت فأبي
خير عليه ؟ ! انه في أفاعيه شاعر الخطيئة لا شاعر الرذائل ، كما قال
فرانس في بودلير . وأفاعيه كالحيات كلها ، حسن ملمسها وفي
أنبيائها العطب . وبضدّ الحيات كلها لأن سمّها تريق الحياة ، ولا
يبدّلها منه ...

والأفعى الأولى هي دليّة ، صاحبة شمشون ، وبها يصدّر
الشاعر ديوانه . أن قصّة شمشون طريفة كأكثر قصص التوراة .
بشّر به امه العاقر ملاك الرب ، ثم ظهر لها ، ولم يدعها قبل أن
تركها وصفة للأكل خوفاً على الجبّار في البطن . حرّم عليها
الخمر والمسكر وأكل الشيء النجس لأن ابنها العتيد مخلص
- عفواً ، مخلص صغير - إنه نذير لله في البطن فلا يعلم موسى
رأسه وهو مخلص إسرائيل من الفلسطينيين .

أحبّ شمشون امرأة من بنات الفلسطينيين ، وفي طريقه إليها
لقينه شبل أسد فحلّ عليه روح الرب فشقه كالجدي ، وبعودته من
عند الحبيبة اشتار عسلاً من جوفه فأكل وأطعم أباه وامه ، ثم
تركته تلك المرأة فغضب على قومها وأحرق بيادرهم وزروعهم
وكرّوم زيتونهم . أمسك ثلاثمائة ابن آوى وجعلها ذنباً إلى ذنب ،
ووضع مشعلاً بين كل ذنبين في الوسط ثم أضرم المشاعل ناراً .
أرأيت ما أصعب العمل ؟ ولكنه شمشون الجبّار ...

وتهدّد الفلسطينيون قومه فسلموهم شمشون مربوطاً بجبلين

جديدين فقطعهما كخيط القطن ، وهجم فقتل بفكّ حمار ألف رجل منهم . وعطش شمشون ، قاضي إسرائيل ، فنجّر له الرب ينبوعاً . ثم نزل إلى غزّة ورأى هناك امرأة زانية فدخّل إليها فكمن له أعداؤه عند باب المدينة ، فقام في منتصف الليل وأخذ مصراعي باب المدينة والعارضة وصعد بهما إلى رأس الجبل . وأخيراً أحبّ امرأة في وادي سورك اسمها دليّة ، فصعد إليها أقطاب الفلسطينيين بعد ما أعياهم أمره ، وقالوا لها : تملّقيه وانظري بماذا تكون قوّته العظيمة فنعطيك كل واحد الف ومئة شافل فضّة . وعرفت دليّة أن قوّة شمشون في شعر رأسه ، فأنامته على ركبتيها ودعت رجلاً وحلقت سبع خصال من شعره ، ففارقته قوّته ، فأخذته الفلسطينيين وقلعوا عينيه . وأخيراً جاؤوا به في يوم عيد ليلعب لهم ، فقبض على عمودي البيت فسقط عليه وعليهم ، ومن هنا جاءت الكلمة المأثورة : عليّ وعلى أعدائي يارب ...

مدار قصيدة شمشون على غدر دليّة به ، فشاعرنا أبو شبكة مهتاج للجبار القديم . ولا شك أن في حياة شاعرنا دليّة غدرت به فأغضبته حتى أسمعننا هذا الشعر الخالد وسمى ديوانه أفاعي الفردوس . وما أفاعي الفردوس غيرهن ... ان كيد كن لعظيم .

يلتقي الشاعر العربي والشاعر الفرنسي دي فيني في التوراة عند دليّة ، ثم يفترقان . اجتماعاً كما تجتمع الأشجار المثمرة في البستان ، فلكل منهما شاعريته وخواصه ، وان وحدهما الغضب على دليّة فقد تكون حالتهما واحدة ومصيبتهما واحدة ... الفريد دي فيني من الشعراء الذين استوحوا التوراة كأكثر شعراء الفرنج ،

ولكن له لوناً خاصاً ، كما ان لشاعرنا ابوشبكه لونه الخاص ،
ولكل اديب اصيل ذات قبل كل شيء ، والشاعر الشاعر يخلق عالماً
من العواطف والتأثيرات ، والقضايا ، والمفردات ، والانشاء
الشخصي ، وهذا ما نراه عند الياس في «أفاعي الفردوس» ، فهو شعره
المختص به دون سواه . وان سألتني فضولي : ولماذا هذا اللون الاحمر
القاني ؟ أجبت : هذا لا يعنيني ، ولا يعنك . للفنان ملء الحرية في
اختيار ألوانه وتنسيقها .

الفن التصويري ، وهو ابن عم الشعر ، يهرب اليوم من رسم
التاريخ والاساطير . والياس لا يصور دليمة الامس بل دليمة اليوم
— دليته هو — وكأني به قد أخفق في إحدى معارك حبه الفاصلة ،
فاشرأبت بعدها عاطفته المكبوتة تهدر وتعج كمغارة أفقا . الضغط
يحدث الزخم ، وهذا ما تمتاز به قصائد أفاعي الفردوس من شعرنا
المعاصر كله . فهذا الغضب الاسود من البقع الحمراء سيكون له
شأن في الغد... وكأن الافعى قد أضلته بمكرها فسلط عليها صواعقه
هذه . وان حمدت الله على شيء فعلى ان مطاف صديقنا لم ينته به
الى أحد ديورة كسروان حيث يقضي على عبقريته بين صلاة المساء
والستار .

ان من قرأ التوراة مثلي ، من الجلد الى الجلد ، يعيش في جو
« أفاعي الفردوس » ولا يشكو بأساً . ليت شاعرنا عرض لقصصها
الاخرى ، وأرانا صوراً كثيرة من صور الحياة ، فالتوراة مجموعة
قصص رائعة لها كل يوم ممثلون عبقريون ...
ان عنوان « أفاعي الفردوس » يذكرنا شارل بودليير في «زهور

الشر» ، ولا ينقص شاعرنا الا طلبه الشيطان . اما « الجيفة » وهي أشهر قصائد بودليرفتقابلها « قاذورة » أبوشبكة وهي مجموعات جيف . في « القاذورة » يكتمل الفن لشاعرنا ، وهي على غير طراز قصيدة شمشون التي نعود اليها ، فهو يخلق لنا فيها محيطاً خيفاً من طراز بيئات « لأمّنيه » خيالا ، وتعبيراً هداراً ، ورهبة يقشعر لها الجلد .
واليك مثلاً منها :

فالقبت دنيا من فواجعها الورى	على باهما لوح من الرق أسود
قرأت عليه أحرفاً خطها اللظى	يروعك منها اثنان «سجن مؤبد»
فظوفت في غمر من الليل واخنا	يعربد والارجاس ترغي وتربد
وللحم الغالي نشيش ورغوة	كان الورى مستنقع يتنهد
وانعمدت في صلب الدجنة ناظري	وفي كل جفن لي من الهدب مبرد
فأبصرت أطباقاً تعمد لها يد	أصابع من عظم وتصبغها يد
صباغ يفور الخزي منه ملاصقاً	اذا علقت فيه النواظر تجمد
وشاهدت في الاطباق مفسدة الورى	تمور بها الديدان سكرى تعربد
مقاذر تمشي في الحياة طروبة	تغني وأصداء القبور تردد
هم الناس في الدنيا تهاويل حنطت	بكيت عليهم في جحيمي وعيدوا
وما هذه الدنيا يذرى رمادها	لريح الفنا الا جهيم مرمد
أسمعت هذه الموسيقى الغريبة ؟ أدركت هذا القران المبارك	

بين الالفاظ ؟ وهذه الصور الرهيبة ألا تمثل جهنم على الارض :

وللحم الغالي نشيش ورغوة كان الورى مستنقع يتنهد
فالورى مستنقع يتنهد ، والديدان سكرى تعربد ، والدنيا
جحيم مرمد ، لولا بقية مشبوبة في شهوة الطين — الانسان . فهذه

الصور والتعابير والكنائيات التي خلقها الشاعر هي ابعد ما يطمح اليه الفنان . فلا يلائم محيطه المختار الا هذه الالفاظ المنتقاة ، التي تملأ الفم فلا يتصلص منها الا بجهد وعناء . فهي في مكانها مع اخواتها على حد قول المثل العربي : وافق شئ طبقة . وهذا هو العمل الفني . وفق الشاعر في « اخراج » قصيدته هذه فجاءت كأنها القصة ، لها ما لها تيك من حدود ومعالم ، فهو في « القاذورة » شاعر وفنان معا . وما هذه القاذورة ؟ انها محيط عبقرى خلقه الشاعر خصيصاً ليضع فيه ثلاث طبقات من الخلق : النساء ، واشباه النساء في الكيد والمكر ، ثم الشعراء . وفي ختامها يغضب الشاعر لعبقري الممسوخ ويصرخ صرخة المسيح حين هزّ السوط في الهيكل ويقول مثله : وشاهدت اشباح السماء كثيفة عليك باسواط الارجيف تطرد فقيم ازغت النفس عن نهج قدسها فصارت مغاراً سافلاً وهي معبد كنت ارجو لهذه القصيدة الجنية ختاماً اروع وازخم ولكن « سافلاً » ضعفته .

٢

قال الحريري : عدت الى اصحابي عود الرائد الذي لا يكذب أهله ، ولا يبرقش قوله . إذن فلنصدق ولا نبال ، فالناقد رائد ، أهله الذرية .

انا راجعون الى أم الديوان قصيدة شمشون ، فهي اكبر أفاعي الفردوس وأعظمهن خطراً . أفعى طرشاء لا تسمع صوت الحايوي ، ولكننا سنعالجها ببعض ما أوتينا من رقى . اذا قابلنا

بين شمشون ابو شبكة وشمشون دي فيني راينا قصيدة دي فيني
تنهج نهج القصة وسمتها ، بينا شاعرنا العربي لا يخرج في شمشونه
عن غطنا . تفيض عاطفته وتطفئ فتجتاح سدود الفن . والشاعر
حر في عمله فهو لا يكتب قصة جبار اسرائيل ، بل يتوسل بمصرعه
الفد ليصب قدر سخطه على رأس « دليلته » التي تحطمت كبرياؤه
امام جحرها :

ملقيه بحسبك المأجور وادفعيه للانتقام الكبير
ان في الحسن يادلية أفعى كم سمعنا فحيحها في سرير
المطلع رائع ، والقصيدة كلها بركان متقد يقذف الحمم فلا يجزؤ
على الدنو منه الا المغامر . أنى اتجهت في مقاطعها تترامى امامك
قوافيها كأنها الصخور تقذف من منجنيق . فعاطفة الشاعر تفتح
كالافاعي في الرمضاء . وبالعاطفة يحيا كلام الفنان وتتحرك
شخصه ، انها لحمة الادب الحي .

لست انقل لك منها شيئاً سوى البيتين السابقين ، فالقصيدة
محكمة الحيك لا يسوغ تفكيكها . ولو قال الشاعر « راوديه »
بدلاً من « ملقيه » أمن العثار ولم تصطدم سفينته بصخرة القاموس ،
وكذلك « الشهاء » فهي لا تصلح سداداً لهذا الموضع ...

وفي « الافعى » تتكشف لنا الاجمة عن حنش ، والعياذ بالله .
أفعى دونها حية ابن عوانة ، وعلى باب جحرها تيس ذو قرنين ، كانه
صاحب امرئ القيس يغط غطيظ البكر شد خناقه ... في هذه
القصيدة انفجارات يسمع دويها من بعيد جداً ، ويرى الاشتعال
الذي تحدثه من اميال عديدة في هذه القصيدة التواءات

وتثنيات كانسلال الافاعي، وانتقالات فجائية من نوع حمل الكلام
على خلاف مقتضى الظاهر، او الالتفات. ولا عجب إن طابق
الاسم المسمى فهي أفعى.

اجل سيراك الليل بعد تضحها ويبصر كالمصباح تعصرها عصرًا
وسوف ترى فيك المآثم نهجة قد التصقت في بطنها حية سمرا
مدهشة هذه الحية السمرا... وانا على تسامحي في الفن تسامحاً لو
حلم ببعضه ابو نواس من عفو ربه لغاز بالجنة، كنت أوتر الا تكون
هذه القصيدة في الديوان، فما فيها الا تصوير انتقام مرٍّ مخز.
ولكنها في كل حال احدى صور الحياة الصادقة. وشاعرا يبرى في
الاعتراف منجاة، فاستراح حتى من خطيئة الفكر، وهو يقول في
مكان غير هذا:

فرحت أسأل نفسي الدفاع عن كفراني
فلم اجد من يجامي عني سوى بهتاني
اما في قصيدة « في هيكल الشهوات » فتهدأ ثورة الشاعر التي
لم أشهد مثلها في تاريخ ادبنا، ويدهشني قوله بعد ما اقام الدنيا
واقعدها:

لي مهجة كدموع الفجر صافية نقاوتي والتقى ام لها واب
فكيف اختلس الحق الذي اختلسوا

وكيف اذأب عن لؤم كما ذنبوا
سنحاول ان نصدقها ولكنها تخينة لا تبلى. ان الاعتراف يمجو
ذنوباً كثيرة وكبيرة. وما احلى قوله فيما بعد لهذه الافعى الراصدة
في شق الحائط للفراريج والزغاليل البريئة:

صبي الخمر فهذا العصر عصر طلي اما السكارى فهم ابناؤه النجب
لا تقنطي ان رأيت الكأس فارغة يوماً ففي كل عام ينضج العنب
لست أشك أبداً ان هذا البيت الاخير من الابيات الخالدة ،
ولو عاد النابغة إلى قبة عكاظ لقال لصاحبه : أنت أشعر العرب
يا ابن أخي في هذا البيت ...

ليت الشاعر قطم قصيدته هنا ، بل يا ليتته استغنى عن قوله :
قد أشرب الخمر لكن لا أدنسها وأقرب الائم لكن لست أرتكب
مقى وجد النص بطل التأويل والاجتهاد يا الياس ... ولعل
الخمر المعنية فارضية ، فالصوفيون أصناف ، وشاعرنا من الصوفيين
الخمر ... اما قوله : وأقرب الائم لكن لست أرتكب ، فيشبه قول
عمر ابن أبي ربيعة لأخيه حين جزع عليه من النار التي وقودها
الناس . عمر الله شاعرنا ليخرج لنا من أفاعيه ما يبرّح به موسى .
ان أبو شبكة من سلالة امرئ القيس وعمر ، وعلى يد هؤلاء
ثلاثتهم تمت عندنا فصول الرواية الدائمة . وأظن الياس لم يبق في
قرارة الكأس شيئاً ، وان لم يحطمها على شفتيه كصديقه بشارة
الحوري ... ليس لالياس ابتهاج امرئ القيس وعمر ولا قصصهما ،
فأفاعيه أشبه بمجمل أنباء المساء منها بوصف المعارك المفصل . ولئن
كان يفوح عبير المسك ورياً القرنفل من جو الشعارين الاولين
فبحوالىاس تفوح منه رائحة البهار والفلفل . وصاحبنا ليس كالشاعرين
القديمين في وطره عندهن ، ولكنه مغلوب يستعدي على صاحبه
الدهر ليقتهن له منها . وفي سبيل هذا الانتقام يضحي بالكثير من
ذاته ليستعجل هرم تلك اللعينة قبل أوانه ، ويرى تلك الافعى

عجوزاً درداء أكل الدهر حديقته السليمانية المسيجة بالسوسن ...
وهذا ما يقوله في الشهوة الحمراء :

هاتي من العهر أشكالا ملونة غمر بها بعضنا بعضاً ونهديم
ألا يذكرنا هذا بأخبار النحلة التي تؤدي مهمتها وتموت ... ثم
يقول :

سترجعين ولكن مثل آمالي جوفاء مشاولة في جسمك البالي

*

ذكر التي اختصرت عمري بشهوتها وخلدت عهرها الدامي لأجيال
وقبل أن نبرح هذا الهيكل الدامي نقول : ليت لم يقول « أم
طفل » ما قولها إياه لذاك البريء ، فتحت « في كل عام ينضج
العنب » ما يكفي ذلك الحزين ...

ان عند شاعرنا كثيراً من هذه الفجوات التي تحفرها صواعق
الفن وتقيمها وادياً عميقاً بين الصورة والفكرة ، بين الكلمة والمعنى
ليحل فيها الانفعال الشعري . والذي لا يستطيع القفز فوق هذه
الأودية السحيقة لا يخلق شيئاً من الفن .

اللهم شدد ظهور شعرائنا وركبهم !

اما « سدوم » فهي اخت شمشون قوة ورعباً وفيحيها :

سكرت بك الدنيا سدوم فكلها	زمر على طرق الحياة متعته
وأثرت حنجرة الفجور فاطلقت	حمماً على نغم الجحيم موقعه
أسدوم هذا العصر لن تتحجبي	فبوجه امك ما برحت مقنعه
قذفتك صحراء الزنى بحضارة	ثكلى مشوهة الوجوه مفعجه
بؤر مستورة الفساد بخدعة	نكراء بالخز الشهي مرقعه

ثم ينثني الشاعر على نفسه ليشركها في هذا السمر الراقص
فيهتف :

أسلية الفحشاء نارك في دمي فتضرمي ما شئت ان تتضرمي
انا لست اخشى من جهنم جذوة ما دام جسمي يا سدوم جهنمي
طوفت بي ميتاً بأروقة الظي فحملت تابوتي وسرت بمأتمي
وعصبت بالشق الجمر جبتي فرفعتها في عصري المنهكم
مهلاً كلانا يا سدوم مسلح فلظاك في جسمي ونأري في فمي
وهذا سلاح الشاعر . واليأس من جسمه ، كألم الجاحظ منه في
جهد جهيد . ومن مزايا سدوم هذا الانسجام الرائق والتسلسل
المتدفق ، والتقطيع الموسيقي ، فكأنك تسمع ملاماً موسيقياً
يتصاعد بك رويداً رويداً حتى تبلغ القمة - القافية .

ان ديوان افاعي الفردوس وصف نفس في جميع اطوار
الشباب ، ووحدته الشاملة في وصف اضطرابات تلك النفس الجائشة
حيناً فحيناً . فكأنه ينفس بهذا الشعر عن تلك النار المحترمة في
صدره فلا ينشق مرجه . ومن الغبن الا ينظر الى هذا الديوان
كفكرة ينثرها الألم لينظمها الشاعر . ان فيها عصاره قلب شاعر
مفجوع . وعلى شاعرنا الامين ان يصرخ كابن الرومي :

أفجع بالشباب ولا أعزى لقد غفل المعزّي عن مصابي!
وكانني ارى امامي على كل صفحة من صفحات ديوانه نقطة دم
تغلي . ليست قصائد «افاعي الفردوس» مجموعة قصائد وانما هي قصيدة
واحدة في قصائد ، تمثل شقاء الشباب في حبه المبكر . وقد اعترف
شاعرنا اعترافاً كاملاً عاماً وعلى مسمع من الناس . أرى الناس جميعاً

ذنوبه وخطاياہ ، واعترف كما كان يعترف المسيحيون الأولون
للاخوة جميعا ، وكما اراد أن يعترف فولتير ولم يسمع اعترافه ...
غفر الله ذنوبه - ان كان هناك ذنب غير الفن .

قد يرى غيري في افاعي الفردوس سماً زعافاً ، ولكنه اذا
كان من المؤمنين حقاً فانه يشرب السم النافع ولا يؤذيه . والسموم
في احوال شتى تكون علاجاً مقويا . وهذا شاعرنا يحاجله شيء من
هذا فيخاطب « الطرح » :

جئت في سحنة المسوخ فلم حطمت حلماً غامضاً على احداقي ؟
الأنني بذلت حبي ولم اطعمك منه سوى الفتات الباقي ؟
رحم الله داود .. اذاً الشاعر مرتاب ، يشك اذا كان ما حدث
عقاباً لتبذيره ، ومتى كان الشك فهناك الضمير الحي الذي لا يموت .
ان في قلبي البغي خيالا من عفاف ما فاجرته البغايا
عمد الشاعر الى تمثيل شرور الحياة بأقبح أشكالها ، وساعده
خياله الجامع فيخلق ما خلق . كان شاعر الرؤى والليل ، شاعر
الرعب ، المتأثر برؤيا يوحنا ، وأنبياء التوراة . صور شاعر الافاعي
نزواته الظاهرة ولم يتعمق في تصوير الخلجات الباطنية لانه حفل
بالنتيجة وترك المقدمات ، وكثيراً ما يستغني عنها الشاعر .

صور النفس الانسانية في مبادها ، وقد وجهته الاقدار في هذه
الى الطريق فكان ديوانه - كما قلنا - اعترافاً عاماً استحق لاجله
الغفران الكامل ، لانه أتم العقوبة التي فرضها على نفسه باخراج
« الالحان » ديوانه الجديد ، تلك التغمات الشجية كاجراس الغروب ،
النقية كندى الصباح .

ان شعر « أفاعي الفردوس » يظل حياً بصورة المرقشة الرابعة
والوانه الغريبة وشدة الجهنمية. ان شيطان صاحبنا كبير، وكان
الشيخ لوسيفوروس وجه اليه بانشط رجاله وأنبغهم ... وان نقص
هذا الشعر بعض المعان احياناً فهو يناز من غيره بلون خاص
وبصبغة يتفرد بها من بين أصباغنا كلها، وحسبه هذا. حسبه ان له فنا
قائماً برأسه، لا شريك له فيه، فيشقى كما شقى في حب « ام طفل »
جزاها الله ما تناء جرير لام عمرو ...

نفس
كلفت

وبعد فليست حكايات الياس في « أفاعي » أشد خطراً من
حكايات اوربانا. وابن توبة النواصي من توبة شاعرنا؟ ان توبة
ابو شبكة أشبه بتوبة ملائكة البيعة :

رباه عفوك اني كافر جاني
جوعت نفسي وأشبعث الهوى الفاني
تبعث في الناس أهواء محرمة
وقلت للناس قولاً عنه تنهاني
ولم أفق من جنون القلب في سبلي
الا وقد بحث الأهواء ايماني
رباه عفوك اني كافر جاني

ما هذا شعراً، هذه صلاة. ماذا قلت، اني لاستغفر الشعر،
فما الشعر الحقيقي الا صلاة. ثارت نفس الشاعر على امرأة هشمته
ولكن جراحه استحال شعراً حياً. فافتدى الفن بدم قلبه الكريم،
واعتقه من عبودية الكلام، وعبودية النفاق، وعبودية التقليد.
وكم ولد الايمان من الكفر، فهوذا الشاعر يهيب بابليس

صديق الشعراء :

حوّل خيالك عني ولا تخيّم عليا
فليس أهلك مني ولا اللظى من يديا
لم أغش في النفس مأثم ولم ائدم رجالك
ابليس ليست جهنم داري، فحوّل خيالك

الست ترى شاعرنا لاهوتياً جديداً يعتبر النفس غير مسؤولة
عن خطايا الجسد ؟ فلينعّم بالا فالله غفور وهو القائل : ان كانت
خطاياكم كالقرمز فأنا ابيضها كالثلج . ابشري يا الياس فما ضحيت
من 'حمر' النعم سيكون قرباناً ومحرقّة تصعد في لمبيها الى السماء
كالملاك الذي بشر بصاحبك شمشون ... بربك قل لي : أين انت
في احمرارك من المجدلية الارجوانية ؟ ...

وبعد فهل لصاحب « أفاعي الفردوس » من فلسفة ؟ أيرمي يا ترى
الى تطهير الجسد بالذنوب ليضعف وتقوى النفس ؟

للاستاذ في ديوانه منهج يسير عليه ، ولكن المصابيح المنصوبة في
دهاليزه حمراء كلها ... انه لاهوتي في الدينونة ، وصوفي احمر في معظم
قصائده ، ونواصي في توبته ، وفيلسوف في صلاته الحمراء :

فخّارة جبلت بالدمع والطيبين من عهد قايين او من قبل قايين
ما كان اسكندر فيها سوى شبح يحجب الشمس عن عيني ديوجين
الى ان يقول :

الناس واحسرتاه	اثنان مختلفان
اعمى له مقلتان	في العقل مبصرتان
ومبصر اظلمته	عينان لا تزيان

وفي حمارة القنوط يصرخ الشاعر بربه :
ادعوك والظلمة الحمراء تحرقني فلا تحجب وتلوي لا تنجيني
وبلاه كل شيء احمر ، حتى الظلمة .. ترك شاعرنا الرياء ووقف
غارياً امام عين الشمس : فما وارى ولا وارب .
انه شاعر يريد ان يقول شيئاً غير الالفاظ ، فهو لا يخلق لك
جواً شعرياً ويتركك تتخبط فيه وحدك . انه لا يحجم عن استعمال
الملعقة ... اثبت لي ديوانه ان ديواناً صغيراً يستطيع تصوير نفس
كاملة فلا حاجة الى الاف البيوت ومئات القصائد ، اذا صدق الشاعر .
ان صاحب « افاعي الفردوس » اصدق شعراء اليوم على الاطلاق ،
وقد يكون اصدق من اعترف ، من اغوسطينوس حتى جان جاك .
واذا كان كل ما نبدي ونعيد مبنياً على الغريزة الجنسية فأبو شبكة
في أفاعيه شاعرها المنشود . وليت فرويد يحيا ويتعلم العربية ، ففي
صرخات شاعرنا مرعى خصيب لعلمه الذي يشغل الناس اليوم .
شغلت العلاقة الجنسية بال شاعرنا فوصف نتائجها ولم يعبا بغير
ذلك فكان في بحته النفسي سلوكياً . هو في هذا الديوان مهاجم
عنيف لا متغزل مستعطي ، يغلب عنده الذوق الحسي على الذوق
المعنوي . وهو في كل حال لم ينس شيئاً ولم يخف شيئاً .
لا اشابع الياس في رأيه بالمرأة ، فهذه المسكينة ذهبت ضحية
الاساطير التي خلقها الذكور ، فرافقتها اللعنة طول العمر . ليس
من العدل ان نشرب من البئر ونرمي فيها حجراً ...
وأخيراً نقول ان شعر « افاعي الفردوس » منحل محكم وصاحبه
مغيظ محقق ككل من ابتلي بحب حاد تواكب الغيرة كما تواكب

المدرعات بواخر الشعن ... واني لاخرج من هذا الدرس متيقناً
ان لنا مدرسة شعرية جديدة ليس لها من اللغة الا المادة الخام تفصلها
على ذوقها وهواها . اما تأثرها باداب الامم والشعوب فلا شك فيه
بل هذا ما يجب ان يكون لتدب الحياة في ادبنا ، ونخلص من
معرض المومياوات التي تتقزز منها النفوس . وقصارى الكلام ان
صاحب «افاعي الفردوس» شاعر رصين ، قوي الخيال ، حاد العواطف
جامع الارادة ، احدث في الادب العربي اثرأ جديداً سيعمر مثل
متوشالح .

واخيراً ما لهذه الكلمة تتقدم ونردها ؟ ما لنا لا نمنحها الحياة ؟
فلنقلها : ان الياس ابو شبكة ليس بالشاعر المتمطي المهروق ...

اميرتقي الدين

•

عذرت الموت لم اوسعه ذاما جلال الموت ان تدع الملاما
رسول الخلد في الدنيا يؤدي رسالته الى الدنيا لزاما
غشا لبنان يحملها فلما اطل الفجر مر بها لماما
هذا ما قاله امين تقي الدين في الموت، ونحن على دينه، وفقى الله
رحلته وسهل طريقه وعسى ان « يعود » الينا احسن حالا... فقد
مر ببوتقة الدهر وخلص بغتة الى عدوة الخلود . راع لبنان موت
شاعره الأوفى فحات العيون حول ذلك الفلك الصغير يحقق عليه
بيروق الفن ولواء العبقرية ، وما لفه ليل العدم بذيل ردائه حتى
نفضوا أيديهم من ترابه وانقلبوا عنه يرددون :

فيالك نجمة لمعت فغارت فصارت في م الدنيا ابتساما
يا صديقي الجديد !

ليت شعري ، اعلمت انك استحققت شكر لبنان ؟ أشعرت
ان الجبل الذي لم تتحول عن حبه قط ، ولم تشرك به احداً ، ولم
تضرب قيثارتك الذهبية الا لتمجده ، أشعرت انه وقف امس حيال
نعشك يقدر اخلاصك ، ويذكر فتاه الامين ؟ ...ضيعك حياً ، ولم

يسمع صرختك المرة :

متى انت يا وطني مسعدي لقد افلتت همتي من يدي
ومتّ فجاء ليسعدك ولكن بالبكاء ، وهذا حظ الاديب من دنياه .
ما كنت يوماً يا أمين ابا قلموت ، تودع الراح ، وتستقبل
الجالئي . نشأت لبنانياً ، وعشت ما عشت لبنانياً ، ومت لبنانياً ،
وحسبك انك القائل منذ ربع قرن :

كان في لبنان عهد طيب رحم الله الزمان الطيبا
يا بني لبنان ، لبنان اذا ما تباهينا دعوانه ابا
نسب شرفنا بين الألى قيل عنهم يدعون النسبا
مرّ بالدهر ابونا أمردا وتشي فيه شيخاً اشيا
نحن للشيخ بنوه والوفا ان يرى أنا بنوه الادبا
انما نحن اختلفنا بيننا حين يقضي العقل ان نعتصبا
فركبنا كل يوم مركباً وذهبننا كل يوم مذهبا
كلنا يسعى الى غايته ليس فينا من يضحي مأربا
ليس فينا رجل الشعب الذي ان دعا الواجب لي الطلبا
وجعلنا الدين فينا فارقاً فتفرقنا به أيدي ميا
ويح لبنان اذا داع دعا فبنوه عن بنيه غربا
ما أمر خيبتك يا أمين ! لقد مت في أعصب الازمنة ، في زمن
عادت فيه الطائفية جذعة ، وهي تتمخض لتلد أشأم من غلمان زهير .
أرايت كيف يصور أمته شاعر القوم ؟ ألمست الأسى يقرض
فؤاده ؟ لم يكن أمين ومّة فيخلو من الهم ، بل كان راسخ العقيدة ،
ضاحك الجبين ، ناضر الفكر ، صابراً كالارز هزأ بالعواصف

ولا ينحني تحت النواج ، لا تأخذ شمس آب شيئاً من ماويته فيذبل .
ان صباحه وظهره ومساءه سواء .

لا تحف يا أمين ، فلا شيء يستطيع ان يذوي سيفك الدائم ، لا
شيء يفقدك هذا الجمال الذي نعجب به ، ولن يفتخر الموت بأنه
رآك ذاوياً في ظلاله ، فالشعر الخالد يحمل اسمك وينقله من جيل
إلى جيل . وما دامت القلوب تحفق والعيون ترى فهذا الشعر يحيا
ويحييك معه .

لم يبقَ من أمين ، بعد ما أعاده الموت أدراجه ، الا الشاعر
المشرق الديباجة الذي قال كثيراً من فاخر الشعر ونادر الكلام .
نعم لقد مات الرجل ، لقد مات المدره ، لقد مات كل شيء الا الشاعر .
كان امين شاعراً مقلداً ، لا يسمع الناس شعره الا اذا ابدع
وأوتي شيئاً طريفاً . يسري شعره في الاسماع كما يستطير النور
هادئاً رزيناً باسماء . كان امين يعمل للتجديد يوم كان الشعر
يرسف في قيود التقليد ، فهو لا شك من المجددين ، ولكنه لم يكن
من يدينون بالطرفة ، فأسمع الناس كلاماً لم ينكروه وجديداً
اكبروه . واذا ارخنا التجديد في الشعر كان من الذين حلوه من
اصفاده ، فحمله رسالة جديدة الى الوطن والمجتمع ، وارسله رائعاً
تحسه ، ولا تستطيع تحديده .

اشرفنا على عالم الادب فاذا اسم امين تقي الدين ملء آذاننا ،
وشعره في افواهنا زرده بين جدران مدرسة الحكمة التي جئناها
بعده . نظم استاذنا الجليل شبلي الملائكة « الجمال والكبرياء » ، ذلك
الموشح الرائع الجديد ، في حينه ، فنظم امين « الجمال والتواضع »

الموشح الآخر البديع ، فكأننا حديث الناس في مطلع هذا القرن ،
وبها خطا الشعر في لبنان خطوة جديدة أعجب بها الناس ، ومشى
الزمان ومشينا ، وهانحن حيث تعلمون .

كان أمين تقي الدين إذا سئل قصيدة يعد خيراً فأن وفق وفي ،
وإلا فيخلف ولا يبالي ، لأنه يؤثر الفن على العالم أجمع ، ولا ينشر
الشعر إلا إذا رضي عنه . قال أمين الشعر في أغراض مبتدلة ولكنه
كان في كل مقام يخلع على مقاله حلة من بيانه . تقول في نفسك :
ما عساه يقول أمين اليوم ؟ أغير كذا وكذا ؟ وإذا به ينقلك إلى
عالم غير الذي ظننت ، وإذا بك تكبر ذاك الدماغ الحصيب .

خصت الطبيعة شاعرنا بأذن لا تكذب ، وذوق لا يغش ولا
يخدع ، فقلّ في شعره النمش والبثور ، وخلا من الدماامل
والقروح . لزم في أكثره حدود الاعتدال فهو لا يبالغ ولا يغلو
ولا يقول ما لا يحتمله الناس .

عرفت أمين تقي الدين في الحبر زمناً ، وعرفت شخصه منذ
عامين وأشهر ، والشكر لمدرسة الحكمة التي جمعتنا خطرتين ، وكان
آخر العهد منذ اسبوعين ، حيث قعدنا جنباً لجنب نتحدث ولا
نحسب أن الموت يتلصص ليعتال أحداً .

مات أمين ولكنه أذى رسالته ، وإن قلّت كلماتها ففيها الغنى
عن الكثير . كانت «زهوره» باكورة موسم التجديد في القاهرة وإن
لم تعمر فذاك عمر الزهور . وها هو يلحق بها تاركاً خلفه ما تركه
الحسنة المتطية بعد مرورها ، وإن تمينا فنتمنى ان نرى هذه الآثار
مجموعة لنقول فيها كلمة صارمة غير مطاطة كهذه .

اما الذي نقوله الآن ، ولا رجوع عنه ، فهو ان امين تقي الدين
شاعر شارك في التجديد ، وهو من مؤسسي النهضة الجديدة ، والمع
شعراؤها . ولو انصرف الى الشعر انصرف احمد شوقي له ، وتهياً له
ما تهياً لذلك لكان مثله قيود شعراء جيله . ولكن شاعرنا قال
اكثر شعره مدفوعاً اليه ولو تركوه لعدى عن اكثره .

لا نسأل الادباء شيئاً لأمين ، فهو غير يتيم ، وأمه مدرسة
الحكمة اخت الرجال فستقيم له يوماً مشهوداً يذكرنا أيامه فيها ،
ولأمين أيام مشهودة ، ولا عجب إذا جلى الأصيل .
وآخر ما سمعت من شعره العذب بضعة أبيات نظمها نشيداً ،
رواها لي صديقي وصديقه الاستاذ رشيد كنعان يوم السبت الماضي
فحفظت منها بيتاً لعله كما ارويّه :

خبّأت يا ليل فيك همي يا ليل من خبّر الصباح
أجل هكذا بات أمين شجياً وأصبح خلياً . ترك همّه في فراشه
وانسل غدوة كالضيف الخفيف الظل . هنيئاً له فقد استراح !
وإذا كان آخر العمر موتاً فسواء طويله والقصير

فليكس فـارس

٥

أحبّ أن يقرأ كلّه في حياً فأبى الدهر إلا أن تقال فيه ميتاً .
ما أقلّ عقل الأديب ، وما أسخف هذا الذي نسميه أدباً خالداً ..
ماذا يظل بعد تلاشي الذات وفناء الهيولى ؟

استرح الآن يا فيلكس ، فلا بكاء ولا رثاء ، فمثلك لا يبكي
ومثلي لا يبكي ، فالبقاء لله ، ولعبيديه إيليا وأنخوخ ... حننت إلى
هذه الكأس شاباً فشربت بها كهلاً ، أما أنا فأرى اليد الأزلية
تلوّح لي بها واصدف بوجهي عنها ، لأنني غير عطشان ، وسوف لا
أشربها إلا غصباً عن رقبتي . فلا قرب القضاء نوبتي ، وليتني افلت
من يد القدر لأعلم زهيراً كيف لا يسأم المرء تكاليف الحياة .

كم تساءمت يا فيلكس ، وكم تشاءمت ، وما أنت تبليغ ما
تمنيت فقل لي كيف تجدك الآن ، أنت أرفه حالاً ؟ هل اختوت
عينك الثاقبتان سجف الأبد ؟ وهل للشوق والحب من معالم في
دنيا الخواء ؟

هيات .. لا تقل لي ، ولا أقل لك ، أيها اللاشيء ، لا تحدّثني
عن أشياء لا وجود لها إلا في مخيلة البشر . وهينئاً لمن يموت على رجاء .

غداً يوحبّ بجثمانك الثغر ، وتنتصب حول نعلك جبايرة
 الجبال ، ويضمك إلى صدره السهل . غداً تستحق شكر لبنات ،
 ويختم تابوتك بتلك القطعة التي يسمونها وساماً ، فأني غد تنتظر ؟
 كل هذا لا يساوي ساعة متعة أخلصت فيها للحياة فوهبتك من
 عطاياها أثمن الكنوز ... أنها لا تهب إلا نفسها ، تهب وتستردّ وفي
 هذا بقاؤها ، فهل تعقم مثلنا في غد ما فتنتقم لنا من نفسها ، ولا
 نعود نسمع على ظهرها من يعزينا بقوله : « سبحانه الباقي » .

*

متى تقدمت السن بالمرء يتغذى بذكرياته كما يتغذى الجسم
 بخلاياه . كان فليكس أعشى مني يوم تعارفنا فقد كنت جذعاً وكان
 قارحاً ، وما عساي أذكر من فليكس غير نفخات وآهات ، غير
 تشاؤم مرّ ، غير تلك الابتسامة الواضحة الغامضة التي كان يستقبلني
 بها ، أو يحملها إليّ في الغداة والعشي .
 كنا نجتمع غالباً في غرفتي المعلقة الواقعة جنوبي ما يسمونه
 اليوم « تباريس » ، وكانت على صغرها مجمع الخلائن - ادباء ذلك
 الزمان - وهذه واسطة عقدهم قد انفرطت اليوم . جاءني يوماً
 فرآني معلقاً صورة نيتشه وقد كتبت تحتها : فليكن الضعفاء
 والمخذولون ! أيتها الأم كلي ابنك . فاعجب بهذه الفلّة ... وكنا
 كلانا نكبر فرح انطون الذي عرف الأدب العربي بهذا الفيلسوف
 الغربي ، وكنا نقرأ معاً ما يترجمه فرح من زاراتوسترا مسلمين
 وميّزين ومفكرين ، فراريج تحتكّ بديك الدهر .
 كان فليكس يحبّ الفلسفة ، وهو ابن أب كان شيئاً في زمانه .

كان والده حبيب محامياً مدرهاً وله كتاب « صراخ المظلوم في
بوق الحرية » يحمل فيه على اليهود ، وكان عمه انطون فارس صاحب
جريدة المرصاد الحرّة . أما ام فليكس فراقية مثقفة ، في وجهها
سياء المرأة الفاضلة . عرفت بيتها في المربجات حيث نزلت عليهم
ضيفاً أياماً ، ف وقعت عيني أول مرة على بحر البقاع الأخضر ففتنتني .
لا أدري كيف أصف ذلك التأثير البالغ الذي استحوذ عليّ ساعة وقعت
أمام بيت حبيب فارس ورأيت الزرع يتعانق تحت أذيال النسيم .
نشأ فليكس في ذلك البيت الملهم الذي تسوسه ام مثقفة كانت
لابنائها كالأخت الكبرى يشعرون انها تحبهم وتحترمهم . وجاء
القسيس في ذلك الزمان ، واعدت مائدة الفصح ، فجلس القسيس
وام فليكس اليها ، وقعدت وفليكس على صفة قبالتها . وتلا
القسيس حكاية عليّة صهيون وكسر الحبز وتناولوا صائمين ذلك
لذكر يسوع فاعلين كما فعل ، اما انا وفليكس فكنا بين بين ،
لا بطرس ولا يوحنا . شهدنا الوليمة التي انتهت ولما ندق كسرة
من خبزها لاننا لسنا من المشتركين ..

لا يعنيك ولا يعنيني ان كانت ام فليكس بروتستانية وابوه
مارونياً ، ولكن الذي يهمك ان تعلمه ويهمني انا خاصة هو ان
فليكس « مطعم » فامه اجنبية لا اعرف جنسيتها بالضبط ، وخاله
كما اذكر رجلاً دين ذو شأن في ملته ، وهو من رجال العلم
والفكر .

لم يكن فليكس متبسطاً في نكته ولا منقبضاً ، كان يرسلها
موجزة ويتوقب تأثيرها فيك . وكثيراً ما كان حتى في عز شبابه

منقبض الصدر تأتي ابتسامته كشق حديث في ثوب من عصب ،
كان صدره ينطوي على ألم يعض يكمته ولا يبيده ، ينظر الى
الدنيا كمن يراها على ضوء القمر ، وقد عرفته في موعنة الشباب
ضئيل الامل يائساً ، كثير الاحتجاج على النواميس الغاشمة التي
تسير البشر .

واول كتاب قرأته له - يوم كنت تلميذاً - مطبوع في اميركا ،
وقد بحثت عنه في مكتبة عاليه فما وجدته ، فخفت أن اكون
بعته مع ما بعث من مكتبي الاولى والثانية قبل الحرب وفيها .
ولكنني لحسن الحظ وجدته في مكتبة عين كفاح ، ولكنه
بلا عنوان .

ماذا هم العنوان فليكس يسميه في المقدمة « مجموعة » ، وهو
كذلك ، ففيه بضع قصص أظنها مترجمة وفي آخرها قصيدتان
قصيدتان . ان فليكس قال الشعر كثيراً في شبابه ، وقد عارض
احمد شوقي في التسمي : ذاك كان شاعر عباس خديو مصر وفليكس
شاعر ناظم باشا والي الشام . ولكن يد فليكس بقيت فارغة
وشوقي أثرى ثراء عظيماً .

فمن مقدمة هذه المجموعة التي اهداها فليكس الى نفس فريد
عوض ، وهو لا يعرفه ، نرى كثيراً من فليكس بل نرى فليكس
كله . لم تكن هذه المجموعة بنت قريحة فليكس البكر والدليل
على ذلك قوله لفريد :

« كتبت كثيراً يا فريد ، وها انا على منحدر قمة الصبا ارى
الافق لا يزال بعيداً امامي ، ونجوم آمالي تترجرج في سماء مدلهمة

يغطيها سحاب الجهل في امة ما زال فيها الاعمى غريباً . انخطى
الصراط الى شفير الهاوية ، بجسد نحيل يحمل ما كتبت يمانه ويشد
به شماله الى حيث يسود السكون .

« انا احد اخوانك ، غصن من ذلك الروض الذي حصدت منه .
انا كاتب للحق ، وشاعر لنصرة الشعائر الطبيعية السامية التي بها
سر السعادة ، وقد اصبحت متلاشية امام الالفه التي يفسدها التصنع
ويقتلها الطمع والاستعباد . وهذا القلم الذي يخط لك ذكرا يدوم
قليلا ويتلاشى ككل شيء على الارض ، هذا القلم المتعب الذي
تديره يد انحلته الادواء ويملي عليه فؤاد برحته المصائب هو كقلبك
من قبل ، جنح مكسور يرفرف الى العلاء ، ولكنه لم يزل معذباً
على الارض .

يكفي أن اغمض اجفاني وارتيقي بالفكر الى عالم (الكل)
الذي الفتته لاراك . »

في هذه الكلمات على بساطتها صورة مصغرة للحبيب فليكس
فهو تارة من المؤمنين بـ « عالم الكل » وحيناً صوفياً كبيراً يقول
ولا يهاب .

وطني الدنيا وديني شرفي واخي كل تعيس في البشر
وما رواية الاستاذ ابو شبكة - وديني خالقي - الا كما سمعها
مؤخراً من فليكس بعد أن تطور لاجل الوظيفة وقوت العائلة ..
ففليكس تفلطف بالف برد سعيماً وراء رزقه ، فمن معلم في عيبه ،
إلى فاخوري في المربجات ، إلى صحافي ، إلى محام ، إلى وظيفة
الاخيرة التي نعم بها زمناً ولاجلها قال : وديني خالقي . والصديق

ابو شبكة وهو الشاعر الكبير المرفف الحس يعلم جيداً ان
« خالقي » هنا لزقة ...

ان حملة الريجاني على فليكس لفي محلها . تعجب امين من ان
يتقهقر فليكس هذا التقهقر ، في رسالة منبره وغيرها ، بعد ان
كان في طليعتنا جموحاً وحرية تفكير . ولو درى امين ان فليكس
صار ربّ عائلة ولم يعد خفيف الظهر ، وان في هذا التذبذب بقاء
الجرابة لعذر ...

كان فليكس اول من عرفت وصادقت في فجر حياتي الأدبية .
كان يجبر الفصول الطوال فأنشرها له في جريدة النصير ، سنة
١٩٠٨ ، وكان فليكس مندفعاً وراء مواضيع بعينها ، يؤثر البحوث
الاجتماعية ويثير قضايا يشتد حولها الجدل ، فهو مطبوع على المناقشة
يستدرج اليها الناس . وهذه جريدة النصير المحفوظة عندي تحفظ
ما وقع بينه وبين داود النقاش حول موضوع « الحائن والحائنة »
وايهما افطع جريمة . كان النقاش يدافع عن بلواه وفليكس شاب
يرى في الحب كل شيء ، فيصحح ما يزعم ، ويبرئ صاحته ...

وما ظهر ثالث عدد من النصير ، بعد ما عهد إليّ بتحريره ،
حتى كان لفليكس فيه قصيدة عنوانها « ملاك ساقط » ، واليك
منها بعض ما يصور لك رأي فليكس في الحب :

يا حب ، قالوا لي بانك ترتقي	بالنفس نحو النعمة السموية
يا حب ، كم طالعت عنك مقالة	رسمت لنا الدنيا باجل صورة
والآن قد ضيعت آمال الصبا	وغدوت شيخاً في ربيع فتوتي
فرايت فيك شقاوة لو مضرت	لمحوتها عفواً بأخر دمعته

يا حب، اما ان عصرك قد مضى أم أنت لم تجتز لباب الجنة
 يا رب عفوك، كلنا في ذا البقا نجني ومن منا بدون خطية
 يا رب الفتنا تناست «كلما» اعطيته لبني الوري بالقدية
 يا رب عد للارض ثانية فما لسواك في رفع البلا من قدرة

*

ولقد بكيت على المصائب في الوري
 حتى ذرفت لها بقايا دمعتي
 وغدت لا اخشى الجراح من الاسى

فالسيف لا يدمي فؤاد الميت
 ففي هذه الأبيات المنقولة، بكل امانة، تهب عليك نفحات
 ألم وشكوى فتى شاخ في شرخ الشباب، وروح مسيحية في دم
 فليكس منها خمسون بالمئة، ولا شك انه رضعها من ثدي امه
 البروتستانية التي ترى في الناصري كل سعادة في الدارين ...

ولا ننتقل الى العدد (٢٠٠) حتى نقع على العش المهجور،
 والعش المهجور قد يكون صورة حيلة لبيت حبيب فارس في
 المريجيات، الذي نظرت اليه مراراً في ذهابي وايابي، فرأيتيه كما
 وصفه فليكس في هذه القصيدة التي يختتمها بقوله:

وسمعت الشجور يبكي الطيور قرب عش منها غدا مهجورا
 ليس شيء في الارض اشقى غرورا من سرور الآباء بالابناء
 وفي العدد التالي خطاب له موضوعه «الصنائع والفنون» القاه
 في كلية القديس يوسف بمناسبة قيام الاب ميشال بمدرسة صناعية.
 هل نسيت كلمة «فاخوري» التي مرت عليك؟ قد أحدث حبيب

فارس معمل قلال واحص كان فليكس فارس يديره ، وقد عرج
ناظم باشا مرة فرأى يد شاعره ملوثة بالطين فأبى عليه
تنظيفها قبل السلام وقال له : ان يدأ ملوثة بهذا الطين هي أنظف
من أيدي الوزراء والامراء .

وفي العدد الذي يليه قصيدة غزلية عنوانها «عاطفة» ، ومما قال
فيها مخاطب الحبيبة :

وانت زهرة حسن لم تمر بها عواصف الدهر حتى تدري حزني
وانت اكليل قلبي باقة وضعت فوق الضريح تغطي رهبة الكفن
وكيف يدرك زهر الواد كم أسف وكم دموع ثوت في ذلك السكن

*

فليس شعري الا النفس صارخة كالطيور يبكي غرباً خضرة الدم
فليت نفسي لم تأت الحياة ولم تلق اغتراباً وليت الناس لم ترني
أتيت للارض روحاً لا تريد سوى ما قد رآته قبيل الخلق في عدن
فصادفت من خداع الناس ما سئمت به البقاء ولم ترضخ لدى الاحن
واليك تعليقاتي عليها لتدرك عقليتنا في ذلك العهد :

«النصير» ليس من مبادئنا نشر القصائد الغزلية لاعتقادنا
خروجها عن الدائرة التي خططناها لنفسنا وهي النفع العام، ولكن
قصيدة كهذه يقف عندها فكر الشيخ، وتحشع لها الصبية ، وتدمع
ها مقلة الشباب، فهي بما يتعلق باهداب الفلسفة ، فكأن هذا الشاعر
قد آلى على نفسه ألا يقول شعراً - حتى في الغزل الخاص - لا
يدوي فيه صوت الانسانية، فكأنه يفكر مع كل دماغ ويشعر مع
كل قلب .

وزاد صاحب النصير عبود بك بو راشد صفحات نصيره أربعاً ، ولم يكن ثمة جريدة بهذا الحجم ، فأعجب ذلك صديقي فيليكس ولم يرقني طبعاً لانه زاد في عملي ، ولم يزد في أجري فكتب فيليكس لعدد ٢٠٣ مقالاً عنوانه « كلمة عن النصير » أنقل لك فقرات منها تدل على فيليكس وعلى زماننا الاسود كما ينبئك التعليق ، قال فيليكس :

« النصير وهو الناظر إلى أحوال البلاد بعيون كتابها ، والمفكرين بها ، لا أراه منتشرراً بيننا بأعمدته الحافلة إلا لغاية واحدة وهي تنوير الاذهان بأذهان البلاد ، وترقية عواطف الوطن بعواطفه ، فهل يبلغ الامنية أم لا يزيد اتساعه غير زيادة الحسارة ، خسارة نفقات الاقلام وضياع الارواح السائلة على ثمة هذه القصة المجاهدة بلا عزاء . »

الى أن قال :

« هنالك في البلاد الناهضة - أي في اوربا - كان أبطال السيف يعملون قبل أبطال القلم . أما هنا حيث العرش الحميدي الابدي القرار ، والعلم العثماني المظفر يرف بكل معنى السلام فلا يطلب منا شهداء لسن نظام وترقية حكم ، قانوننا عدل ، وسلطاننا رب الرحمة ، فلا ابطال عندنا غير رجال الفكر ، ولا قتلى غير قاتل نفسه في سبيل العمل المقدس . »

مدنيتنا أسيرة يجب فكها من قيدين ثقيلين يغلان الأيدي والفكر ، القيد الاول الحاجات العمرانية والقيد الثاني النظام الاجتماعي . الاول يجعلنا عبيداً موثقين الاكتاف ، بخشب ، بحديد ،

بنسج، بآرة، بخيط، بنحاسة صفراء توضع على أحذية الاولاد...
ذلك استعباد هائل يدمي مقلة شيوخنا ويضع ثقة نساءنا بنا، ويحني
ظهور شبانا باليأس ويموه جبين الشبيبة المملوءة نشاطاً باصفرار
القنوط .

القيد الثاني هو ذلك التقليد الذي نأخذه عن الاجانب ونريد
أن نجعله نظاماً لألفتنا، مع أننا لا نلائم لحله ولا يلائم طباعنا ولا
الاستعداد الغريزي الذي يجول بدمائنا يرتضي به . يجب أن نرتقي
يا قوم ، ولكن من يرقينا ؟ تقديم أيتها الصفحات الحاملة آخر جهاد
لأول انتصار، انتشري بين شعب فتح عينيه للنور بفضل من تقدم من
الادباء ، لقد مضى زمان كان صوتهم يضيع مع الدوي... أما الان
فقد أصبح القسم الاعظم من البلاد يفهم لغة البلاد ، وقد لاحظت
بعض شرارات على ذلك الرماد البارد منذ أجيال، فالى الامام ايها
النصير، ناد وانفخ فما انت نافخ في رماد ولا مناد ميتاً .

لج الابواب العالية... لج الاكواخ الصغيرة... لج... ادخل...
قل للكل ان مفتاح السعة مطمور في هذه الارض المحبوبة فليفتشوا
عنه . ادخل . ناد... قل... اصل حرباً عواناً... استنهض همم
الرجال... قو تلك النفوس القانطة ، ادخل إلى خباء العذراء ،
وإذا مروت امام بابي فلا تنس ان تلجه لأن هنا نفساً تلتج مع كل
نفس تحب الوطن، وتحن إلى إعلاء شأنه . هنا قلم مكسور يحرق
نفسه قسراً بيد المحتلها الادواء وبرحتها النواذب ، ولكنها لا تزال
تجد ببقية قوة مضمحلة لتعمل هذا الواجب المقدس ، واجب الانتصار
لنصير الوطن .

أما تعليقي على هذا المقال الذي قرأت فقرات منه فهذا نصه :
«النصير» يشكر لفليكس افندي ثقته به ويسأل الله ان يأخذ
بيده ليعلم الامة والوطن بظل العلم العثماني المظفر .»

في هذه الكلمات التي نقلتها ظواهر شتى، فهي تدلك كيف كنا
نحتال على اخراج الكلام من صدورنا، فلا نستطيع قوله إلا ممزوجاً
بالدعاء لظل الله على الارض، سلطان البرين، وخافان البحرين،
ولي نعمتنا بلا امتنان... فكلمة حرية وعبودية ووطن واضرابها
كانت محرمة علينا كنفاحة آدم . كنا في ذلك العهد كالجزار نذكر
الله ونذبح، وهيهات ان نسلم من المؤاخذه . فقد كتبت مرة مقالة
عنوانها «اين انت» والضمير راجع إلى الحقيقة فقضت المشيئة بوقف
الجريدة، وكنا نعرض كل كلمة على المراقب ولا نطبع حرفاً قبل
السماح لنا . وهي تدلك ايضاً على ان الصدور كانت تجيش والنفوس
تجلم، فنحن الآن في شباط سنة ١٩٠٨ فما اطلّ تموز حتى كان
فليكس امير المنبر ينادي بالويل والثبور ويلعن العهد البائد عهد
الاستبداد والظلم، ويدعو بطول بقاء انور ونيازي... وهي تنبئك
على ان النهضة لا بد ان تتكوّن كالجنين وان تجل بها ادمغة كثيرة
في ازمة وعهود عديدة حتى تولد جينياً كاملاً من ابناء السلامة ،
وهي تدلك اخيراً على ان فيليكس كان اليق آلام وطريد وساوس
وانه يشكو ألين : ألم النفس وألم الجسد . وما يرح كذلك حتى
مات على رجاء ان يحب في العالم العتيد، كقوله :

يا ملجأ الأنفس الأعلى لديك أرى

مبدا هيامي فعشق الارض يطردني

هلا رجعت إلى حضن الحلود فقد
ناقت بي النفس نحو الحب في وطني

*

كنت مستأثراً بالمقالة الافتتاحية لا أتنازل عنها لأفلاطون لو
بعث ، وقلما وضعت كلمة للكاتب أو شاعر في الصفحة الأولى .
و شاء فليكس غيراً منه ان يكثر اعوانى وانصاري على تحرير
صحيفة ضخمة فحمل إليّ « غصن ورد » لأمين الريحاني ، وكان
الريحاني في ضجى شهرته ، وقد نبه ذكره ، وهبت ريجه ، بعد
اصداره كتابه الشهير « المخالفة الثلاثية في المملكة الحيوانية » وقد
ارفق المقال باهدائي نسخة من هذا الكتاب التي استرجعتها من
أحد أصدقائي الكهنة (ي . ع) بعد مرور عشرين عاماً على غيابها
عن مكتبي .

كتب فليكس مقدمة لغصن ورد الريحاني فنشرتها بالحرف مع
المقال واليك ما قدم به فليكس :

« غصن من الورد هو عنوان لمقالة أو شعر منشور كتبها
صديقي أمين الريحاني .

قليل من الادباء من لم يسمع بهذا الاسم الذي تتألق عن جوانبه
اشعة الشهرة ، وتحتاطه هالة من الافكار السامية ، فلا ازيدته تعريفاً
لقراء العربية خصوصاً وانني لا اكتب عن الشاعر بل اكتب عن
قطعة اهداني اياها وفي يقيني انها اجمل ما خطه يراعه .

للريحاني كتابات كثيرة على هذا النسق ، وقد قرأت له ما هو
اجمل تركيباً واعمق تصوراً من غصن الورد ، ولكنني لم أجد الشاعر

بكل شخصيته وعواطفه ، كما وجدته في هذه الاشعار المنشورة ، فانها وان كانت لا تتضمن كل القوى التي اوجدها التأمل بفكره فهي ، بلا ريب ، جامعة كل الحب الذي سكنته الطبيعة الشريفة بقلبه .

حكم الريحاني بان غصن الورد هو اجمل ما كتب ، هو حكم انتصر به الشاعر على الفيلسوف ، انتصر به القلب الخافق بالحب الازلي على الدماغ المتشتت والمفتش عبثاً امام نهج الفلسفة الراكدة . هذه هي الاشعار المنشورة اقدمها لقراء النصير ، وسوف اذيلها بكلمة واتبعها بقصيدة لي ترمي الى ذات المعنى ، افعل ذلك اجابة لطلب صديقي الريحاني ولأهدي الى القراء ما لا يضعون به وقتهم عبثاً .

هذه هي المقدمة ، اما الذيل فعلى نسقها ومما جاء فيه :
« اي حب اجمل من هذا الحب الرفيع بعطفه السامي ، يجاهده وبأسه ؟ كل شيء في هذا الكون يعذب الحب لان هذا الشعاع الباهر المتلألئ على القلوب المرتقبة من شمس الازل يترجرج ضعيفاً في ظلمة الجهل وتنازع البقاء على غير هدى الخ » .

المقدمة والذيل نشرا لانهما في قبضتي ، اما القصيدة التي وعد بها فليكس قراء « النصير » فحزنت في الطريق ولم تصل إلي لان أخي فليكس حرد ايضاً ، وكتب إلي يلومني بشدة وعنف لانني نشرت مقال الريحاني في الصفحة الثانية ، وعتب عليّ لانه هو يؤلب الادباء المشاهير حولي وانا متعجرف انظر اليهم من عل . وكانت جفوة قصيرة جداً ، فضاها ابو فليكس واصلاح ذات البين بين ولديه .

ذهبت يوماً ومعى الأستاذ اميل افندي خوري - لا ادري
 اين هو اليوم؟ - لزيارة الصديق الريحاني فوجدنا عنده زائرة انكليزية
 فكان ظلنا طويلاً ثقيلاً عليهما في ذاك الضحى . وكذلك يكون
 الظل فيه ، فاستطولت زيارتنا تلك السيدة فسألت الريحاني : متى
 يذهب هذان الظريفان ؟ فاجاب امين بما لا يلائمنا ، فغمزني اميل
 خوري فودعنا وانصرفنا ، وخبرني صاحبي اميل فحوى الحديث
 الانكليزي فما عذرت الريحاني في ذلك الوقت ، لان بقاء عشر
 دقائق لا يستحق هذا الوسام الرفيع .. ولكن احوالاً عرضت لي
 تشبه تلك افهمتي بعدئذ ان الوقت يطول ويقصر بحسب الاستعداد
 النفسي ... وان صاحبنا وآنسته معذوران .

وخبرت فليكس بما وقع فهنر كتفيه كعادته ، تلك الهزة
 البلهاء ، وعذر لانه كان اعرف مني ، في ذلك الزمان بقيمة الرزق ..

آخر عهدي بفليكس

وكتب فليكس مقالاً عنوانه «خطرات أفكار» «نصير ٢١٠»
 جاء فيه : «شيء افكرت به ملياً ولم أصل لاقناع نفسي به :
 » الرجل الخائن زوجته يعد خائناً لها فقط ، فلا تعتبره الالفة محتقراً
 للالفة ، أما المرأة فأقل شطط ترتكبه يعرضها للهوان ، بعرف الناس .
 الرجل الخائن يلهو ويلعب ، والمرأة الخائنة ترتكب جريمة هائلة
 ضد البشرية .

لا أقصد أن تبرر المرأة كما يبرر الرجل ، بل أريد أن يشجب
 هذا كما تشجب تلك ، أو يقنعني باحث بامتياز الرجل على المرأة حتى

في الشر ، فهل من كاتب يركب هذا المركب الحشن ؟ »
 فركب الحامي داود بك النقاش هذه السفينة ، سفينة بلاقلاعة
 كالتي أركبتها المجدلية يوم أبعدت عن اورشليم المقدسة بعد موت
 حبيبها ونصيرها . وانقضت اسابيع بين خذوها ، داود وفليكس
 يتساوران ، كلاهما يدافع عن قضية شغلت فراغاً عظيماً من عقله ،
 وقلبه وحياته ، وقد خالط اللحم والدم وعششت وباضت وفرخت
 كما قال الحجاج . وطال صراعهما حول الموضوع : قلبان يمثلان :
 زوج غير مرغوب فيه ، وشاب يرى ان المرأة خلقت للحب كما قال :
 « اما حق المساواة بالعمل فلست منتصراً لها به ، لانني اعتقد
 بان المرأة خلقت لتغزي الرجل وأراحته بالادب والجمال من سقاء
 العمل ، فاذا هي أصبحت عاملة تحولت من الجميل الى المفيد ، وفقدت
 السطوة الملائكية التي تجعل الرجل خاشعاً امامها .
 ان المرأة لا يمكنها ان تقتبس الرجولية دون ان تفقد صفة
 المرأة امام الرجل وفوق سرير الطفل »

أما خصمه داود فيرى أن المرأة اكثر مسؤولية وأشد جرمًا
 لأن رجل الحائنة يتعهد ما لم يزرع ، ويسقي ما لم يغرس . وكاد
 يتسع الخرق فأقفلت الباب على دخول العلامة الاب الحوري جرجس
 منش الحلبي ، فكانت كلمته الحكم المبرم ، ف قضى على صاحبي فليكس .
 (نصير ٢١٨)

وعدت من الحدث في القطار ومررت ، كما دقي ، على مخزن
 العلامة الشيخ مصطفى نجا - المفتي بعدئذ - فاستحسن عملي وأثنى
 على فيلكوس - كذا كان يلفظ اسمه - وأعجبه نفسه وحرارة

إنشائه . اما اخي فليكس فغضب لانه يجب الجدل وطول المجال .
فهو واسع الاطلاع مولع بأبواب النساء يجب ان تظل مفتوحة على
مصراعها ... وحرد اسبوعين فقط ، ثم راضيته فوردتني خطرات
افكار اخرى منها :

« منذ اشهر قلائل لم اعرف بمارون افندي عبود غير مفكر
مجتهد تنبأت له الوصول إلى المحجة ، ولكنني لم احسب قط ان
سيشب وثباً ليقف بغتة بين كبار أدبائنا وأفاضل المفكرين بيننا .
هو كاتب « احتراموا المعابد » و « المأساة الهائلة » . هو منشئ
« بين القبور » تلك المقالة الرائعة التي تدل على قوة الابداع في
موضوع مبتذل يكاد الا يترك مفزاً جديداً . »

ومن الغريب ان يكتب مثلها أيضاً بعد عشرين سنة على كتابه
« اعترافات في العصر » الذي أهدها إلي مع كتابيه « زاراتوسترا »
و « رسالة المنبر » .

وكان لنا صديق كاتب مجيد هو الشيخ شاهين الحازن صاحب
كنوز لبنان المرصودة ، وكان في تلك الايام يحث على مناصرة
الحياكة الوطنية حتى لبس في ذلك الزمان ثوباً لا يلبس الجبناء من
رهبان لبنان اخشن منه ، فقال فيه فليكس ايضاً :

« الشيخ شاهين الحازن حامل تحت ابطه مساطر مصنوعات
وطنية يعرضها لكل ناظر . قطع صغيرة من حرير الزروق ، ونسيج
دير القمر ، وقد لبس هو نفسه من ذلك النسيج . تلك المنسوجات
الصغيرة فيها حياة لبنان ، وطالما حامت حولها اقلام الكتاب
ولكن لم يقم بيننا غير المتكلمين فقط . »

وكان فليكس اذا لم يوفق بمقال موافق لمقتضى الحال ينفجني
بقصيدة . ان نثر فليكس اطيب من شعره ، وهو محلق في المعاني
مسف في المباني واتفاق الامرين في شعره فلة . ولكنه في كل ما
يكتب يتبع فكرة يجبل بها قلبه وتلدتها قريحته ، فهو لا يحول عنها
ولا يزول . وفي قصيدته «الاحياء والاموات» التي نشرتها في
نصير ٢٢٣ يقول في ختامها :

يا الهي انزلت حكمك فارفق بنفوس تشقى لحفظ الوداد
صير القلب كالجسوم جماداً او فخفف وقع السهام الحداد
عفوك الله لست ابدي اعتراضاً حكمة الخلق نقطة في سواد
غير اني ارجو العزا لقلوب البستها الاقدار ثوب الحداد
اطلب الحق لا ارى من عزاء غير سر مضيع للرشاد
لا ارى للعزاء غير صليب غارق في دموع أم الفادي
حقوق الله رجاءك يا حبيبي ... ليت لي ايمانك فلا احزن عليك
كما قال بولس الرسول : ان الذين يموتون بالرب لا ينبغي لكم ان
تحزنوا عليهم كسائر الناس الذين لا رجاء لهم .

واذا فسح لي في مجلس الحياة واستطعت الخروج من عين
كفاح فلازورن قبرك واضع عليه حزمة من اغصان ارز لبنان
وسنديانه وزيتونه ، فقد كنت صلب العقيدة والمبدأ ، جبار
الفكر ، مسالماً تفارق بالتي هي احسن . ان لم تترك للعربية الا
تجديدك في تفكيرك العذب ورسالة منبرك ، وزاراتوسترا نيتشه ،
لكفاحك .

كان فليكس وفيّاً صادقاً ، محباً لاجبابه جداً ، غير مبغض

أحدًا ، وأشهد اني لم اسمعه يذم مخلوقاً او يسب انساناً ، بل كان
يكرم في قلب قامته المنحنية اشجاناً قلما اطلعتُ على واحد منها .
وقد دفع الي قصيدة « ملام » فنشرتها بعد نقاش حولها بيني
وبينه وخصوصاً حول هذه الايات :
رأيتك في روض الحياة فتية

على وجهك الباهي سنا النفس يسطع
وفي خطك الفتان صورة ما ارى بروحي وروحي بالجمال تولع
وسوف اذا شاهدت زهرك ذاويا يهب به نحوي شذاء مضيع
وسوف اذا شاهدت ظهرك ينحني يحن له مني فؤاد واضلع
وحين يخط العمر آخر لثمة على وجهك العاجي كطرس يوقع
اذا شئت في التجعيد القبي قبة فلا يعتريها في المشيب التصنع
فمن كان مثلي لا يودع حبه ولو كان قرب الرمس شيخاً يودع
أما انا فما صدقت ان فليكس يقبلها مجمدة ، أما هو فحلف
مؤكداً ما يزعم . ولم أعد أراه في هذه الايام الاخيرة لأرى رأيه فيما
اختلفنا عليه ، ولكنني واثق انه كلام شعراء . قد يفعل ذلك إذا
انقطع الرزق وضاعت به الدنيا ولم ينفتح له باب فرج ...

وآخر ما نشرته لفليكس في «النصير» قصيدة عنوانها « ضلال »
وختامها يصح أن يكون شعاراً له :

أما الشريف فلا يطأطيء رأسه الا لمن من عنده الانعام
فالمرء تكفيه لعيش كسرة والمجد وهم والحياة منام
وهبت عاصفة الدستور على البلاد فهلت المملكة العثمانية بعدئذ
وكبرت ثم صار كما كتب الأديب الظريف «حداد» صوت الجامعة

للغراء، بعد أن تصافح الكاهن والشيخ على المنبر المنصوب في ساحة
البرج شرقي المنشية، وخطب الناس يحثون على الاخاء والحرية
والمساواة، وصار اسم انور ونيازي حبيباً إلى كل قلب، بعد أن زحف
أحرار البلاد إلى بتدين مركز متصرفية لبنان على عهد يوسف باشا،
فاسقطوا رجال الدور البائد من المير قبلان إلى نصيف الرئيس إلى
إلى ... وعدنا مبتهجين ولكن فرحتنا لم تطل، فعاد هؤلاء إلى
مراكزهم، وبعد أن كان يوسف باشا يؤمن على كل «اسقاط» طائعاً
تتمر واحتمل أنصاره كراسيهم التي انزلناهم عنها.

أما فليكس وصديقي الآخر داود بجاعص فاحتلا المنابر من
تموز إلى تشرين يقفان على كل خشبة تنصب فيهازان القلوب ببياناتها
وشاراتها، وقد ذكرني داود إذ كتب إلي مرة من ألمانيا بيوم عين
المريسة - محلة في بيروت .

وهكذا صار أدب فليكس منبويًا يهلل له العوام ويرضى عنه
الخواص . كان فليكس يخلق كالنسر وتراه العين كبرج فينيسيا
المائل إذ يقف في الناس خطيباً. عاف الكتابة في ذلك الصيف ولم
تظهر له كلمة واحدة في «النصير». ثم صار «اتحادياً» فأنشأ جريدته
لسان الاتحاد، ولكن الاتحاديين لم يقدروه فظل حيث هو، وحل
والده المرحوم حبيب محله فكتب بعض فصول نشرتها في «النصير»،
أولها تقديس نظام لبنان وآخرها حملات على مجلس إدارة لبنان
الذي له صلاحية مجلس النواب اليوم .

وفي نهاية عام ١٩٠٨ تركت النصير لأحرر جريدة الحكمة في
جبيل - فاضت روحها يوم شبت الحرب الكبرى - وفي هذه الفترة

من العمر وفي أيام الحرب لم ار الصديق فليكس ، وقد رأيته بعد الحرب فكدت لا أعرفه لأنه كان قد أخذ قسماً كبيراً من شاربيه اتباعاً للزي . ثم تلاقينا مرات على غير ميعاد وظلنا على ولاء ووفاء حتى الساعة الاخيرة .

قد تموسنا كثيراً عند سقوط السلطان عبد الحميد ، وامتلات البلاد جرائد ومجلات . أما احلامنا فلم يصح واحد منها ، وأذكر كلمة قتلها لفؤاد باشا - الدالي فؤاد - حين استقبلناه على المرفأ استقبالا شعبياً : الاستبداد كالعليق يصعب على الفلاح استئصاله ، فضحك لها لأنه كان ظريفاً يحب النكتة ، وهو الذي قال له السلطان عبد الحميد : ابو الهدى يبلع السيف . فاستضحك وقال : لا عجب ، وزير الحربية بلع الدارعة . فأغضب السلطان هذا الجواب البديهي فضرب فؤاد باشا كفاً على رأسه ثني طربوشه ، ثم صدرت الارادة السنية بنفيه إلى دمشق وبقي فيها إلى اعلان الدستور فجاء بيروت يلبس ذاك الطربوش المبعوج .

كان فليكس محباً ومحبباً ، وما شبهته إلا بشفاليه مانون لاسكو . كانت حياته مأساة مؤلمة لولا ختامها الذي اراحه من عذاب القلب . لقد أكل الحصرم فخرس هو . هذه واحدة من نكات ذلك الزمان .

كنا ثلاثتنا انا وفليكس ودادود بجاعص ، اما الرابع وهو الشيخ شاهين فكان معنا كشاهد زور ، كنا في مسرح التريانو ، كان موقعه شرقي ساحة البرج محل قهوة الربليك او تحتها بقليل ، وكانت هناك غانية مغنية راقصة كوحيد ابن الرومي . البنت

نموسية التبعة سحر جمالها بيروت فأقبل على لياليها كبار الموسرين ،
فاحترنا نحن الادباء في ذلك العهد ، - والظفر يعمي البصر - كيف
ننعم بجمالها ، والجيب فارغ . حضرتني حيلة لا اعدم مثلها في كل
ساعة حتى بعد هذا التقهقر الجسماني او الجسداني كما يقول رجال
الدين ، فأنكرت اني افهم العربية او الافرنسية ، ثم هبط الوحي
وتطورت الفكرة فاذا أنا امير سرياني ، فعرّفوها اليّ كذلك فهزّت
المحروسة كنفها ، واشتدّ بها الفضول إلى سماع اللغة السريانية
وأوهمها فليكنس اني ذو ثروة جبّارة ، وكل مرحوم ابن أبي ربيعة
اتبّع الجمال . صدّقت المسكينة انني ازجي الليرات التي تخرج
على حفافها لا التي تطير في الهواء ... فانجذبت نحو ي وألحّت
الحاحاً عنيفاً استغدت منه قليلاً .. ثم تركتنا على أن تعود بعد
نهاية الحفلة لتتمتع بفصاحتي السريانية ... وفي نيّتها أن تتعمّق
وتغوص في جيبي حيث الكنز الذي لا يفنى ... ذاك الذي
اخترت مثله المجدلية دون اختها المهتمة بامور كثيرة ...

وكان نصف الليل فما أخلفت الآنسة الميعاد ، رأى الناس تلك
الجميلة التي تتدل وتفتّج أمام آل بسترس وثابت وسرقى وبهم
قاعدة حدّ محرر النصير ، فانجذبت الأنظار صوبنا . وكان ترجماني
داود مجاعص . تهجّى داود الأبيجد سريانياً فتظاهرت انني فهمت ،
وأجبت بالأبانا ، ثم تهجّى داود هوّز فأجبتة بالسلام عليك يا مريم ،
ثم ...

وأرادت الست أن تسمع اللحن السرياني فانشدتها (ميمراً)
من مار أفرام بصوتي الذي جاء ذكره في الكتاب الكريم ، ثم

آخر من مار يعقوب ، فقامت ترقص . ولم احرمها نشيد الاموات
فطمرت الدموع من عينها فخلت اتنا في ماتم ، والدفن قد قرب ،
وسيعقبه « شيل البخور » . وأخذت تطرح عليّ أسئلة غريبة كأنها
أحد علماء الاجناس ، فيوهمها ترجاني داود انه يكلمني وهو لم
يزد على تهجئة حطّي وكلمن وسعقص ، وهكذا قضينا سهرة غير
قصيرة لم نسقها في خلالها كأس ماء بارد...

ولا تسل كم كانت خبيثتنا مرة إذ ودعتها بالافرنسية وداعاً
مقروناً بعبارات اكبار للطفها ، واعجاب بجهاها الساحر ، فاصقرت
وتبسّمت قائلة : أنت وحدك غلبتنا ، كنت أحبب وأدهى منا ،
سأنتقم منك في الليالي القادمة .

فأجبتها لا يا سيدتي ، لانك لا ترينني . قليلا ما اجد في كبسي
بدل الدخول ...

فألستها هذه الكلمة ألمها وامتعاضها ، وقالت : تعال على
حسابي ، شرط ان تفعل ما هو ألطف ، فهذه النكمة تزعج ،
ولا سيما ان عرفت بها زميلاتي .

فقلت : انك تزعجين بلاداً بأسرها ، فما عليك لو غلبك واحد
منها وأخذ بثأرهم من دولتك ... انت ما دفعت حق جمالك .
أمسيحية أنت ؟

فأجابت بعبارة التعليم المسيحي بالحرف : نعم بنعمة الله
أنا مسيحية .

قلت والمسيح قال : مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا ، أنا لم آخذ
من رؤسالك شيئاً .

وان كنت وثنية فمهلك تذهب الى الهيكل وانا ابن بلد ادونيس...
ورأيتها بعد ذلك مرات فكانت تقابلني بابتسامة وهز السَّابَاة،
ولكنها لم تعلق على الدبق .

وظل فليكس طول حياته يسألني كلما التقينا : كيف السريانية
في هذه الايام ... فتنبض أسرتي وأسرته ونقبع كلانا في الزاوية
كالرتلاء في بيتها تنتظر ذبابة مارقة لتدعوها اليه ...

ديوان الشيبّي

إن كنت ، ممن تستهويهم الالقباب الداوية ، فالحديث الات
عن وزير خطير صاحب معالٍ ، وعين من اعيان الدولة العراقية
الجليلة . أما الذين لا يذهب بوعيمهم افيون المناصب الخطيرة ،
فسأحدثهم عن محمدرضا الشيبّي الشاعر فقط . هب ان كرسي
الشيبّي وسع السموات والارض فهو ، لا محالة ، زائل ، أما ديوانه
فباق . وهل يعنينا اليوم من الطغرائي غير لامية العجم ؟ ان لقب
ذي الوزارتين وصاحب المعالي زائلان ، أما اللامية والديوان
فميراث الذرية .

الشيبّي واحد ثلاثة من شعراء العراق ، وكان الثالث - ومعه
الشرق - يتجلى عندنا دائماً حتى في الشعر . ففي الجاهلية والأموي
والعصور العباسية حتى أيامنا والتقسيم مثلث ، والشعر مدرسي كله ،
وهذا ما نواجهه في ديوان الشيبّي . إذا قلنا الزهاوي كأبي العتاهية ،
والرصافي كالبحثري ، مثلاً ، فالسيد الشيبّي كالشريف الرضي .

الشيبّي شيخ معمم . لست اعرفه معرفة عين ، ولكن البادي
من رسمه الوقور انه في خلقه وسمته أشبه بشاعرنا الكبير أمين بك

ناصر الدين ، المنزوي في كفرمتى ، وفي الزوايا خبايا . فهذه
الديباجة العباسية المتأسكة كالد مقس ، اللهاة كالارجوان تقرب
ما بين الرجلين ، وهذه الثورة الملتفة على نفسها التفافاً لولياً
كالاعصار هي في ديواني الشاعرين .

رأيت رسم الشيبى فخلت به ينشدني : كليني لهم ، يا أميمة ،
فأصب . وتخطيت الى الديوان فاذا فاتحته :

لم يبق لي إلا الشباب وانه ديباجة ضمن الأسى وإخلاها
وأيقنت ان الليل الذي يقاسيه بطيء الكواكب حقاً ،
إذ قرأت :

كلاني اكبد في العراق بلية وليلاً بارجاء العراق بهما
ولكنه يصرح بعد تهادر فينفّس عن آلامه المقهورة :
الامدرك هذي البلاد واهلها فقد لقيت من جور ساستها جهدا
تفرغ أيدينا لتعلاء جيبها وتنهكنا جوعاً لنشبعها حمدا
وتزول الشبهة متى قلنا انها من نظم سنة ١٩١٤ . ويبدو له
تخاذل قومه فيقول :

وقيل تقاربنا وها نحن جيرة ولما بدا الصبح انثنى قربنا بعدا
و كأنه قد آيس من كل ما رجا فقال :

كيف اتحاد بني الدنيا وهم بشر موزع بين أشكال وأقسام
العلم علم خرافات وشعوذة والدين دين منامات وأحلام
موحدون ولكن عز انكم نغم وقد نهضت عباد أصنام
وان ما بين آرائي وبينكم بعدا كما انفسحت ابعاد اجرام
والشاعر كالنبي تشغله شؤون الجماعة كأنه وصي عليها ، وهذه

احدى طبائع الشعراء الكبار ، فهم وكلاء الامة الجبريوت ،
والمسخرون ايضا . ولولا ذلك ما عناه من امرها ما عناه :

لولا التفكير في مصير بلادكم تالله ما ضاقت عليّ بلاد
والسيد الشيبى على رأي بطاركتنا القدماء الذين رأوا في شق طرق
المركبات انتهاكا لحرية الجبل ، كما رأى شاعرنا في خط بغداد فقال :
مدوا الحديد وما اهتزت لمده سكك الحديد بارضا أصفاد
طرق الحديد إذا التوت وتشابكت شرك به شرف العراق يصاد
وللشاعر في هذه القصيدة المسماة « الباكية » زفرات حرى
ولا سيما حين يرى الزعامة سلمت لزعانف :

انظر الى الاعجاز كيف تصدرت وعمائم السادات كيف تساد
ثم يهيب بقومه النيام :

غفوا وعيوني للعراق طوامح وشابوا ووادي للعراق صراح
ويرى سوء فهم الدين علة ما هنالك فينتف :

ولو انصف الناس الديانة أجمعوا على انها فيهم نتيجة وجدان
ولكنهم حتى ذويها واهلها بعيدون عن عرفانها بعد كيوان
كان لم يكن انجيل عيسى بن مريم ولا أوحيت توراة موسى بن عمران
انا شافعي ان لم يكن لي شافع إلى الله ، ثم الحق حيي وايماني
وفي البيت الاخير معارضة للذي قال : الحب ديني وايماني .
أما هذا الانكماش فلون محلي يخلعه الاستيطان على الشعراء كما
يخلعه على الطيور ، والشعراء طيور خالدة .

ولا يسكت الشاعر السيد - كالامام علي كرم الله وجهه -
وفي الخلق شجى وفي العين قذى ، بل يصرخ :

يا قوم ، ما الدين عادات معطلة وانما الدين تحليل ونحریم
لا تجعلوا آلة التفريق دينكم فالدين عن وصمة التفريق معصوم
وعملًا بالقاعدة الذهبية : ابدأ بنفسك ، يعتف النجف
الاشرف بقوله :

متى اذا حث اقليمي شفاشقه عجت ترد صداهن الاقاليم
أظهرت بعض عناء لست اكتمه لكن جلّ عناء النفس مكتوم
اللهم فرجاً . وكأنه يؤس من تقويم الخطب فعاد إلى الغصون
فقال يخاطب الشباب في صيداء :

انتم جيل جديد خلقوا لعصور مقبلات جدد
كونوا الوحدة لا تفسخها نزعات الرأي والمعتقد
انا بايعت على ان لا ارى فرقة هاكم على هذا يدي
ثم يصفر مخضوضر الرجاء فيقول في ساعة سوداء ، وللشعر
ساعات :

شباب طائش نزق وشيب ما بهم رمق
وشعب طالب ثقة فدلوه بمن يشق
ففي آرائنا شيع وفي أحزابنا فرق
قد استشرى خلافاكم الا يا قوم فاتفقوا
وسمّ عنعناتنا وتفاخرنا بالقديم كأننا البطاطس خير ما عندنا
تحت الارض ، فقال :

زلت حديثاً امة أبداً تفاخر بالقدم
أما المرأة فمأنحها الشبيبي طرف عينه الا ليقول لها : إلزمي البيت :
بتدبير المنازل هن أولى وهم أولى بتدبير النزال

وفي قصيدته « روح الرسول » نفحة من اخوة كرامازوف اذ يقول :

واكبر ظني لو اتانا محمد للاقى الذي لاقاه من اهل مكة
اذن لقضى : لامنهج القوم منهجي ولا ملة القوم الا اخر ملتي
ومن عين شمس اليقين ضياء ينتقل الى ظل شك عابر فيقول :
فيا عالم الليل هل رجعة الى عالم منك اوفى سنى
ويا ايها الازلي القدير اسارك نحن فرفقاً بنا
وتتوالى المحنة فيقول :

يظنون هذا العصر عصر هداية واجدر لو ندعوه عصر ضلالات
فان خرافات مضت قد تبدلت حقائق الا انها كالخرافات
ثم تظلم الفكرة وتضيء في وقت معاً :

خبرونا عن السماء وقالوا فلك دائر وشكل كريّ
وبما صح ما رأوه ، ولكن خير رأيك ما يراه النبي
وينزع نزعة صوفية في قصيدة بين العقل والقلب ، ولا يحجم
عن لزوم ما لا يلزم ، ثم يصرخ من وجد الالهم والدم :
يا واردي ماء الحياة تذكروا أنما عطاشي

ويشتد به الوجد فيخرج من جلد رصانته ، والحب خداع يصفر
العظام فيقول :

لولا انفراد أحبتي بخصالهم ما سار لي في الدهر بيت مفرد
يتجسد الطائي بي وقريضه والبحتري من الفحول واحد
وتترأى له الدنيا كمغطة عنز فيلقي - كالامام - حبلها على
غاربها ويقول قبل ان يختم باب الوجدانيات :

أنا من سيّر الكواكب شعراً تتوالى بكم فيملأن كتي
ربما جاء في القريض نبي همه نسخ آية المتنبي
بيد أن تلك الآية لم تنسخ ، ودليلنا على أنه كان يمزح هو قوله
لسيد الشعراء في ذكره الألفية :

يا شاعراً قاد القلوب لغاية لم يدن منها شاعر أو قائد
أما رأي السيد الشبلي في الشعر فكراي بشار :
متى خيروني في الكلام ونسجه رضيت بسيط القول لم أتأنق
واحزنه تقصير المتأخرين فقال :

أهيم بسر الابتكار لأنني وقد طال عهدي لا أرى غير ناقل
فما حبسه يا ترى في حصون القدماء حتى لم يجد عن درهم قيد
شعرة ؟ لعله رعيه الحقوق كما قال :

ولولا حقوق رعيها لي عادة لكان لمهري أينا جال ميدان
وربماضة النفس على الاخلاق الفاضلة تحل المحل الأول عند السيد
حتى قال فيها :

أصحّ عباد الله ديناً ونحلة مجاهد نفس لا المصلي المسيح
ولا بد من القول أنت براغيث الحب اكلت الشاعر الشبلي
حتى قال :

تفاهمتا بعيني وعينك لحظة وأدر كتنا ان القلوب شواهد
وكان الحبيبة اعجبها منه ذلك فقالت له : ثن ، فلم يجعلها بيضة
الديك فقال :

واسهرنا الشب الحاكيات عيوناً يشار كتنا في السهر
هذا البيت من قصيدة عنوانها « حديث القمر » ويا له حديثاً

طلياً لذيذاً فاقراً في الديوان .

وخير ما نختّم هذه الكلمة عن الشاعر هو قوله :

فتنة الناس ، وقينا الفتنة باطل الحمد ومكذوب الثنا

كلنا يطلب ما ليس له كلنا يطلب ذا حتى أنا !

أيها المصلح من أخلاقنا أيها المصلح ، الداء هنا

صدق الشاعر ، وعجز الناقد عند هذا الطمع الاشعبي فصير

خلانه اعداءه . أما السيد الشبيبي فحسبنا وحسبه ان حمدنا له حق

وثناءنا عليه غير مكذوب فيه .

عرائس العرب

قرأت منذ أشهر ، ان الاستاذ نبيه فارس - الدكتور في الفلسفة - يشكو قلة النقد - النقد الادبي لا المصري - وانه ملّ سماع التكريظ والثناء ! وهذا عجيب ... ومنذ اسابيع اذاع ايضاً الاستاذ سهيل ادريس انه كاشف الاستاذ عبدالله المشنوق برغبته في ان يكتب ، هو نفسه - اي سهيل ادريس - نقداً لكتابته « اشواق » ، بعد ان يئس من النقاد ، وما وقع على من يشفي غليله ، وهذا أعجب وأغرب ... ومنذ أعوام تحدث احد المحترمين في دنيا الادب عن الصلة الدقيقة بين النقاد والمؤلفين فقال : « واي مؤلف لا يكره ان يتناول النقاد جهده ونتيجة جهده بالنقد فيبينوا ما فيها من ضعف ويدلوا على ما فيها من قصور .. كلنا يحب الثناء ويعتقد انه مستحق له ، وكلنا يكره الذم ويعتقد انه خليق الا يتعرض له . ولكن شيئاً ينقصنا مع هذا وهو ان نقدر العلم قدره . ونؤمن انه لا قوام للعلم بغير النقد . ولا أكاد افهم ان رجلاً يستحق ان يوصف بانه عالم او اديب او من طلاب العلم والادب اذا لم يكن يقدر النقد وحاجة العلم والادب اليه .

يقدر النقد لا على انه ثناء خالص ، ولا على انه هجاء خالص ..
انما ينبغي ان يقدر النقد على انه تمحيص للعلم ، ودلالة على ما فيه
من حق يجب ان يبقى ، وباطل يجب ان يزول ، او قل على ما
تعتقد انه حق او باطل . ولست ادري لم يؤذيك ان يدلك ناقد على
أنك اخطأت وانت لم تأخذ على الايام عهداً بالاصابة المطلقة . ولست
ادري لم تجرح على ان يصفك الناس بانك موفق للحق ابداً ، ولم
يقدر هذا التوفيق لانسان ما ... »

ومن حسن الحظ او سوءه ، لست ادري ، نقدت هذا الاديب
الخطير ، نقداً استمر اكثر من سني فرعون العجاف ، فكان امري
معه كقصة « بسينة » الحداد . ان هرة الحداد تنام ملء عينها
بجانب الكير ، ولا يوقظها النفخ ولا تصادم العلاة والقدم - المهدة
والسدان - حتى ولا الشرر المتطاير عند تطريق الحديد وان حرق
صوفها . كل هذا الطرق العنيف لا يزعج الهرة ولا يوقظها . ثم لا
يكاد الحداد ينمذ يده الى الزاد حتى يرى هرته قعدت حده تنحس
به وتمسح تنبيهاً له إلى واجبه نحوها ، وإن تغافل حدثته بلسان
القطط ...

وصاحبنا الاديب العظيم نام على النقد الصارم ، عشرّاً من قرن ،
لا يحس ولا يطمس ، ولما أثبتنا عليه تئاءب ومطى ، وشكرنا شكرأ
حاراً لا نستحقه ، ودعانا إلى مآدبته ، بهشاشة وبشاشة . ولكن
ظهور « الرؤوس » اطاح بتلك المودة الادبية .

والان وقد نزلنا إلى ميدان النقد فسفني اصحابنا جميعاً حقهم
منه . ليس نقدنا أكلة طيبة لنعدهم به ، ولكنه سفرة فيها المر

والحامض ، وفيها الطاو والمز ، وفيها الحريف من البهارات وكل ما
تحتاج اليه السفرة من مقبلات . سمها سفرة مقتضى الحال ، واذا
شئت ، عملاً بقول المثل : ما تضعه في القدر تشيله في المغرفة . هو
مرآة ينعكس عليها صورتا المؤلف والناقد .

اقول هذا وانا واثق من اني سوف لا ارضي احداً . وسوف
ازيد على جدول اصحابي في « الرؤوس » و « على المحاك » ،
و « زوبعة الدهور » وغيرها اسماء جديدة . ولكنني رجل لا أبالي ،
فاما ان اسكت - كما سكت - واما ان انطق ولا اقول إلا ما
اعتقد . وحسي في خطأي اني معتقد الاصابة .

*

والان فلنبداً .

امامي ديوان شعر عنوانه « العرائس » . لو اطلت علينا هذه
العرائس ، في غير هذا العهد من العمر ، لكان لنا معها شأن غير
الشأن الذي ترى . الديوان للشاعر ابراهيم العريض من البحرين ، حيث
تكثر اللالي ، فعسى ان تكون عرائس شاعرنا البحراني حالية
غير عاطلة ، لترتاع في « وادينا » وتلمس جانب العقد النظيم ...
اصدرت هذا الديوان دار العلم للملايين . وهذه الدار ، على حداثة
عهدنا ، كالجرادة خصباً ، تفقص عن الف وميه ، وتقول يا قلة
الذرية ! ان دار العلم للملايين كحرب ابن أبي سلمى تلقح كشافاً ثم
تنتج وتثم ، فلها منا جزيل الشكر وعاطر الثناء . اما شاعرنا
العريض فقد عرفنا به الاستاذ الحوماني فقال انه رأى شاباً وسياً
حدثا حين دخل عليه ، اما نحن فنقول :

وما الحداثة من حلم بمانعة قد يوجد الحلم في الشبان والشيب
قلت هذا لان الشاعر « الحدث الوسيم » جعل فاتحة ديوانه
بيتين اولهما :

انا والله مولع بحميد الذكر حتى كأنه بعض ديبني
ثم نقلب الورقة فيطل علينا موكب الشبان فنقرأ بعد الولع
بحميد الذكر ولعاً عاماً :

افهل تذكرين - حواء - لما قلت لي والهوى يرف علينا
اي حسن رأيت في حتى حال نورا يشع من ناظرينا
حبذا لو جلوت لي في اطار اثر الحب في نفوس كلينا
فخذيها مني احاسيس شتى نبضت بالحياة لونا فلونا
سنأخذ نحن هذه الاحاسيس عن جدتنا حواء - بعد استئذان
صديقنا الحوماني صاحب هذه الماركة المسجلة - فاسمع يا شاعري
ابراهيم :

ابيانك لا تبلغ اصابع اليد عدا ، وهي أم كتابك ، فما عذرك
يا صاحبي ، حتى تقول « لونا فلونا » ، ويأتي « القرار » بغية الى الاذن ؟
ثم لماذا لم تكلف نفسك قليلا من الجهد الفني لتقول « نفسيينا » بدلا من
« نفوس كلينا » . ان اضافة نفوس الى كلينا الشنيعة يحتاج عليها
الفن احتجاجاً صارخاً يا صديقي ، فكلم نفساً لكما ، انت وهذه
الحواء الجديدة ؟ الاتحس مثلي ان « كلينا » أكلة تسمم دم الفن !
لو لم تكن « شابا حدثا وسيا » لما كلفت نفسي نصحك ، فانا
ارجو من الشباب خيراً كثيراً . اما من بلغوا من العمر عتياً
فنقدمهم ضرب من العبث .

وقبل - بدلا من بعد - فأني سأبدأ نقدي حيث انتهيت انت ،
لاني رأيت آخر ديوانك خيراً من اوله .

ان « قصصك » ابلغ واروع من « غنائك » فاسمح لي ان
أبدأ بها لئلا أنفرك ، وانفر القاريء مني . فانا منهم بالتفتيش عن
السيئات .

لقصص العريض نوطئة لا هي طويلة ولا عريضة ، مألها ان
حواء النابغة الجزيلة الاحترام هي منبع الفن الذي عبده ابراهيم
صغيراً . ما شك أبداً ، كسميه ابراهيم الاول ابي الابهاء بل قال :
دنت بالفن صغيراً منذ شبّ الطفل فيه

ثم يمضي في قصصه الشعرية فيواجهنا بنظم قصة من اساطير
اليونان عنوانها : « التمثال الحي » . القصيدة حكاية فتاة فقيرة - حلوة -
مات ابواها واخوها . خرجت الى جار فنان أشيب مثلي ، تطلب
منه خبزاً ، فنشد عندها فناً ، فجردها وأكب مفتشاً عن الطرف
الفنية في ذلك الجسم الجوعان ... وقف المصور يرسم ، والفتاة
تنطوي امامه انطواء الشفري على الجوع ، فتري عينه الفنية ، في
كل انطواء فلتة تمجد الحائثي ، فما تنفس الصبح حتى تمّ التمثال ،
وماتت الفتاة بعدما خلدها ازميل النحات .

ان حكاية « التمثال الحي » هذه من شعر العريض الرائع ،
بل من الشعر الرائع ، فيها من القصص المؤثر ما يبكي ، وللشاعر
فيها وثبات منها قوله :

فاطال الساق حتى شارفت في الكعب ضدا
وبراها قدما يحلو لها ان تستبدا

يذكرني قوله هذا كلمة قالها شاعر لا اذكر اسمه ، في وصف
ساق حسناء : وقامت الحرب على ساقها .

والشاعر موفق ايضاً في « قلب راقصة » التي اهداها إلى روح
الرافعي . كلاهما مأساتان ، وأكاد أقول : ان أغلب عرائس
العريض عرائس بلى ...

وفي هذه العروس - قلب راقصة - معان من الجمال كادت
~~لي~~ تكون رائعة لو تأتى مبدعها . ليت نخيلة العريض لم تطرح
هذا الجنين في الشهر السابع ... فهذه الصورة مثلاً :

فيحنّ شوقاً إذ يرى فيها الانوثة في احتفال
فكرة طيبة ، ليت شاعرنا صبر عليها لتخرج أروع ، وتحتفل
كلمة « احتفال » احتفالاً تاماً بما فيها من معنى ...
وهناك صورة أخرى فازت بقسمة غير ضئلى من التعبير
الرمزي وهي قوله :

وعلى سباط الصدر فا كهتان ملء يد الخليع
والذي لاحظته ان العريض كثير التفني بالرمان ، فكأنه ممن
يجبون هذه القمم البركانية حتى أكثر من وصف هذه الصورة
في ديوانه .

اما « انسانة الحلي » التي عرفنا بانها « من صميم الصحراء » ففيها
قلة خيال وتصور ، وفيها كما في الديوان كله ، عبارات لا تليق
بالنثر الانيق فكيف بالشعر ؟ قد تكون هذه العبارات التي اتعثر
بها في طريقي اثناء جولتي في ديوان ابراهيم مسيبة عن القص ،
ولكن كان في الامكان اكثر مما كان كقوله مثلاً : « أفيلقى لغيرها

بale «... وكقوله: «فارقت في ذراعه»... وقوله: «وكل سلك الدر» .
وقوله : «أوما في فؤادها هي أيضاً» - واعوذ شيطان الشعر من
أيضاً - وهو لا يتجنب غير المأنوس والخطأ كقوله : «وتوالت على
لقائها عشرون يوماً» وكقوله : «فتسقط بين احضان ابنها الثاني» . فكم
لهذا حزن يا ترى ؟.. وكقوله بلسان بنته ليلى :

عشت للشعر ولي يا ابنتي انت للشعر ولي ما اتمنى
هذا حق وقد قالوا قديماً : كل فتاة بابيها معجبة . وانا اشاركها
قسماً من هذا الاعجاب لا كله ، واتمنى على الصديقين البعلبكي
وعثمان حذف الياء من « ابت » في الطبعة القادمة .

ومثل « من صميم الصحراء » قصيدة « بين عشية وضحاها » التي
عدها العريض « من اصداء البحر » . توقعت إذ قرأت عنوانها ما
توقعه صاحب ابن عباد من عقد ابن عبد ربه ، ولكنني لا اقول
مثل صاحب : « هذه بضاعتنا ردت اليانا » . بيد انني لا اكرم العريض
انني توقعت ان ارى فيها لوناً محلياً صحراوياً لا عهد لي به ، فاذا
بي اقرأ شعراً لم يختلف عن الدواوين الاخرى ، الا بغلبة القصص ،
وهذا ما نحمد الشاعر عليه . ليته لم يأخذ مواضيعه من الاساطير ،
ليته ارانا من قصص بلده ما يروي غليلنا . فهو في هذا اشبه
بشعراء لبنان المبدعين الذين جعلوا وكدهم بنت يفتاح وعشروت
وعرائس شعرية اخرى .

اما قصيدة « الشاعر المجهول » وهي معنونة « بين الروح والمادة »
فحكاية طيبة نظماً وفكراً ، تشينها بعض تماييز ساقطة عن مستوى
الديوان ، وهي تدل على قلة صبر ، كما قلت سابقاً ، كقوله :

« شاعر نجبل اسمه بالسوية » .

قد لفتت نظري في هذه القصيدة فكرة هي السائدة في ديوان العريض ، وهي فكرة تمجيد الفن وتقديسه وتعمد الخلق والابداع حتى يقول لنا :

وكان الحياة ديوان شعر لم نكن فيه غير معنى معاد
ان في العين ومضة لبروق تتحدى بالصمت رعد الفؤاد
والذي غادر العقول حيارى سر هذا الجمال في الاضداد
كل شيء اراه أتقن صنعاً كأخيه ... بدافع من وداد
فلأعزاز من ؟ تباركت يارب تعالي يداك في الابداد
ان في هذه الابيات فكرة « الشوق » التي جعلتها الاسطورة
الفينيقية أساس الخلق وسببه ، ولكن تعبير الشاعر عنها بقوله :
« بدافع من وداد » ، قلل من قيمة هذه الفكرة ، كما قلل
قوله من :

فيحن شوقاً اذ يرى فيها الانوثة في احتفال
ففاًفاً من حيث لا يدري ، ثم لم يحسن التعبير عن الانوثة
الصاخبة في جسد احدى عرائس فنه . العريض يحلم بالفن الاسمى
ويسعى لادراكه ، ويخبرنا ان يد الله « تعالي في الابداد » وهو
لا يدري لأعزاز من ... مع انه سبحانه وتعالى ، أمدا برأس
المال ، ونحن اي البشر نغالي في الابداد . فلا نكن معنى معاداً كما
يتخيل الشاعر بل كل الشعراء . علينا نحن ان نغالي في الابداد ،
لأعزاز جنسنا الخلاق العجيب . الرب استراح من جميع اعماله في
اليوم السابع . أما اليوم الثامن ، وهو يوم الانسان الطويل

العريض ، فلا ينفد إلا بنفود المادة الازلية التي يتدبرها العقل
الانساني فيخلق منها في كل يوم جديداً ...

٢

وقد أعجبتني جداً ما قوله بطله «بين عشية وضحاها» تبكيه لا اختها :
فاستمرت تقول ما الشعر ديوا لبتول ... بل جلوة وصداد
لقد ادرك هذا جبران ، وجهله نعيمه ، فاجهد نفسه في كتابه
« جبران خليل جبران » ليكشف عن سوء أخيه ... ان العورة
التي اماط عنها ميخائيل اللثام هي خميرة الادب الجبراني ، فجبران
فينيقي المعتقد ، « الشوق » فالحب عنده قوام الحياة ، لا يرى
ما يراه نعيمه خطيئة بمئة . لا يعشق جبران الحياة عشقاً صوفياً ،
بل يحب الجسد النابض ، ولا يفهم الآية الانجيلية : « سراج جسدك
عينك فان كانت عينك شريرة كان جسدك كله مظلماً » كما يفهمها
غيره ، ولذلك بنى كتابه على « المحبة » ، ولا يعني غير المحبة التي
تربط الذكورة بالانوثة .

ثم يصف لنا العريض البحر وما فيه من نشوة للعدارى فيجيد .
ويصف تراشقهن بالماء خاتماً تلك الصورة بقوله :

فاذا ما ارتشقن بالماء قالت موجة « هاك » ثم تعقب « هات »
الفكرة جميلة لو اخرجت اخراجاً غير منقوص ، ولكنها
كخمرة عملت من غيب قطف ولما ينضج ، فقضت فجاعتها على
نكهتها وطعمها .

وهناك قصة « التوأمان » وهي كأخواتها جودة وحسناً ، فنشكر

للشاعر حبه للفن واخلاصه له ، وننصح له ان يحسن انتقاد شعره
ليسلم من الطفيليات الشائنة . إن الشاعر كالرسام ، فكما يعني
المصور انسجام الوانه كذلك يجب على الشاعر ان يراعي حسن
الجوار بين الفاظه ، واذا اضطر فليجأ الى « تبادل السكان » فتأتي
قصصه مخلوقة في احسن تقويم ...

اما « اسطورة الحيام » فقصيدة جيدة النظم لا غبار عليها .
انها خالية من تلك الزنمات : كلينا ، وكل ، وايضاً ، وريثا الخ .
القصيدة منسجمة متساوقة رخيمة الجرس . هي (موديل ١٣٥٩)
أي آخر ما ارانا الشاعر من اخراجه ، فيصح فيه قول الشاعر :
لا تقل بشري ولكن بشريان .

فالى العريض تقديري ، فلو لم ارج منه خيراً لما نقدت ديوانه
بهذه العناية ، فارجو الا يغضب كسواه ...
يا أخي ابراهيم .

حسبي اني جزت ديوانك من بابيه إلى محرابه ، ولم أدع مغرر
إبرة إلا أوجلت فيه مسبري ، لأغنم رضاك ، فلا تجعلني « مركوباً »
في طريقك إلى المجد كصاحبنا النجفي ، ولا تكن راغباً عن
« نقدي » يا ابراهيم ، فانا لا اقتضيك ابناً ولا كبشاً لأرضى ... لا
اسألك إلا ان تصبر طويلاً لتبلغ ما تروم من الفن ، فقصيدة سمينة
خير من الف هزيلات لا تصلح لا للمسلخ ولا للمرعى .

اما « لؤلؤة الحب » التي اخذها « ولز » الكاتب الانكليزي
عن اساطير الهند ، ثم اخذها العريض عنه بتصرف ، فاني احيلها
على زعيم المدرسة الرمزية الشاعر سعيد عقل فهي كما قدم لها ولز :

« رمزية كثرت في مغزاها الاقاويل وذهب رجال اللاهوت فيها
مذاهب شتى » والرمزية قديماً ، واللاهوت حديثاً ، من اختصاص
شاعرنا السعيد . أما انا فانتني من اصحاب الرأي الاخير الذي
ترجمه لنا العريض عن ولز : « وهناك غيرهم من لا يرى فيها إلا
الحقيقة عارية من كل لبوس » .

وقبل أن نعود القهقري ، إلى « غناء » العريض الذي أرجأنا
التحدث عنه ، نتمنى للعريض توفيقاً طويلاً عربضاً في ملحمته
« قبلتان » التي نشرتها دار العلم للملايين . وإني الفت نظر الشاعر
إلى « الحوار » ، فليقرّبه ما استطاع من لغة الحياة ، اللغة التي تجري
على السفنتنا ، فالتعابير القديمة أصبحت فقيرة الدم لا تنبض لتنبض
لها القلوب . اقرأ كتاب الله يا أخي ، ففيه ، وحده ، الكلام
الحي الباقي .

أما غناء « العريض » فكغناء كل شاعر عربي : اشراق ، وتحيات
ولوعات ، وحسرات ، وفار في الحشا تلتهم الاخضر واليابس ، وغيره
مثل غيره ايلياء حين خاطب ربه قائلاً : غيرة بيتك أكلتني . كما
نقرأ في اولى اغنياته وعنوانها « حواء » ، ففي مطلعها :
تمثل الحب للفنان بين يدي ذكراه ، كالنار تغشى طورسيناء
وحواء عند الفنان العريض غواية الغايات ، ولب الوجود
وزبدته :

هذا الوجود اطار لا كفاء له وغاية الفن فيه رسم « حواء »
ثم يقول لها ولها... حتى يبلغ :
لها الوداد الذي تبقى أشعته تنير خطوك في طوفان اهواء

ان الطوفان في نظري محتاج إلى مثل التي استوت على الجودي
أو الى قارب نجاة على الأقل اكثر من حاجته الى منارة ...
القصيدة موسيقية، ولكن نايها أصبح «نائي» مراعاة للقافية،
وهذا يغيظ لا بل ييج صدر الفن الذي نذر العريض نفسه له . أما
قصيدة «... الى» فمطلماها جميل :

تعالى فان الليل يبسط ظله لكي يتملى ناشيء الزهر حله
وأظن ان الشاعر اراد «طله» ليشرب الزهر الناشيء الطري
مثل صاحبنا «الحدث الوسيم» . وفي القصيدة زنة كان البتر بها
اولى، فاللام المبنية القصيدة عليها مشددة كلها ، إلا قوله «هوى له»
والذوق الفني يقضي باقصاء هذه القافية وان كانت جائزة إذ ليس
كل جائز بقن . اما قصيدة «مي» التي صنعها المعمل في اول نشأته،
عام ١٣٥٣ ، فهي من نوع الحكلي لا الشعر ، واليك نموذجاً :

لقد كان اولى ان تمتع بعضنا بانظار بعض في جنون صبا
لقد اكثر فيها من «كلانا وكليةما وبعض» ، ثم مهرها بـ «عندئذ»
التي هي اشنع من «ايضاً» الملك الذي ختم به الشعر ، واشنع من
«لا سيما» الملك الذي بدى به . ناهيك ان شاعرنا لحن «في كلانا»
اذ قال : ايقنت انا شيقان كلانا . ظننا تأكيد شيقان ، وهي
توكيد الضمير المنصوب فيجب ان تكون كلينا . وكلانا كيفما
دارت بها الحال ، سواء ألحن فيها ام لم يلحن ، بشعة في النظم .
اما ختام هذه القصيدة فختام فيه «زخم» . بمثل هذا الزخم اتنى
ان ينتهي كل فصل من الكلام شعراً كان ام نثراً ، فاسمعه لعلك
تشايعني في هذا الرأي :

وقالت اذن هذا هو الحب ؟ قلت : لا

بل الراح . قالت : فلنبل صدافا

وعندي لو يقول : « هو الراح » بدلا من « بل الراح » لأراح نفسه ولم يعارض سياق الكلام بهذه « البل » التي تكثر في شعر العريض . وفي « نشوة الحب » يرجع بنا الشاعر الى « لونا فلونا » و « كلينا » ، ويختم المقطع الاول منها بـ « زينا » ، وهي بلدية عراقية يشينها قعودها حيث اجلسها الشاعر .

وقلة جلد الشاعر حملته على قوله : « حي اليك » بدلا من « حي لك » . اما قصيدة « بيني وبينها » فتسير الهوينى لاريث ولا عجل ، وقد اعجبني منها بيت لعله قام لي حجة دامغة على ما زعمت للشاعر قال :

يعج بالمعنى فؤادي فان حاولته فمثل خرط القتاد

صدقت يا صاحبي ، ولا ينقذ موقفك الا درهم صبر وبضع قمحات غناية . ولو باليت حقاً بالفن الذي تقول انك تتعشقه لتركت « خرط القتاد » التي قالوها عندما كانوا حفاة . اما اليوم فلا يهمننا « القتاد » وغيره من الاشواك وعندنا هذه البوطات الانكليزية الاميركية ...

اما في « القبلية الاخيرة » ، وقد كان يجب ان تكون غاية في الرقة ، فرأيت فيها تعابير لا ارضاها للنثر فكيف بالشعر ، كقوله : « وكانت هي الاخرى كثيراً وجومها » . وكقوله : « تركيه احدان الدموع وتومها » ، فلما اكره من احدان الا تومها التي تنبعث منها رائحة الثوم والكراث ... ان الفن لا يطلب من تاج العروس ولا من حيط الفيروز ابادي . ان الفن يحص ، ولا يقبل غير الالفاظ الملائمة من الصحيح ، فما كل كلمة صحيحة تصلح حجراً في مدماك

« البنيان الفني » . أجل ان اخراج المعنى يعي شاعرنا ، احياناً ،
فيتضاءل - كقول ابي تمام - كنتضاؤل الحسناء في الاطهار .
فهذا الشاعر العاشق - كما عشقنا وعشق ويعشق غيرنا - يرى الحنين
والشوق في كل شيء من الطبيعة ، يراه حتى في الموج ، ثم يتخيله ،
ولكنه لا يجلو خياله فتتعاضل الفاظه - مراعاة للنظير - كتعاضل
الامواج فيركب بعضها بعضاً . قال :

وللموج تصبو للتعانق بعضه الى بعضه من غير ايد يقيمه
رحم الله الكاتبة مي ، فانها عندما عنست « هستوت » كانت
لا تطبق التفريق بين فردي حذاءها ... ولا فصل قشتي كبريت
جمع بينهما الفسفور الاحمر ... ان الحب الملهوف يرى كل شيء في
عناق حتى فردي الحذاء ...

وفي « صورتان » صورتان جميلتان هما من الشعر الطيب فكرة
وتعبيراً ، ومثلها وصف « القبرة » . قد اعجبني التغزل بهذا الطير
الذي سبب حرب البسوس فأنت تغلب وائل ... يحس الشاعر
حساً قوياً مع هذا الطائر القليل الحظ من رخامة الصوت ،
فيصف لنا الشاعر نفسه فيقول : وهذا هو الشعر الرومنطقي الخالص :
أقبرة ، هل أنت في الجو قطعة من الحسّ مالت باللعون مسيلا
تغالين في الالحان حتى إذا انتشت بها وروحك الولى خفت قليلا
كما تخفت الاوتار بعد رنينها ويبقى صداها في النفوس طويلا
فقد برا الله الطبيعة وهي لا تحسّ به ... حتى بعثت رسولا
اما معنى البيت الاخير فهو غلو شعري متطرف بالنسبة إلى
القبرة ، فما ترك صاحبنا للطيور الراقية المثقفة ؟ فاذا صلحت القبرة

رسولا فما يكون الكناري والحسون؟ ولكنني اقدر هذا الجمال
الفني، وما الصور الفنية إلا تمويه وغلو وإيغال. ولا أدري أين
قرأت في الآداب الاجنبية شعراً في هذا الطائر.

أما اوزان المجموع غير المألوفة مثل « اللحن » و « تومها » وما
شابهها فلا تعجبني موسيقاها، وانصح للشاعر ان يتبع المؤلف منها
فليس كل ما يجوز بصالح للفن الشعري كما قلنا.

اما « عروس الماء » فصورة سبق اليها من ضيع ملكه، كما
يروون. ذاك الشاعر الجاهلي لم يشبهه الواقع بل ألجّ على صاحبه
وما انفكّ عنها حين صاحت به: عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل.
اما العريض فتكفيه لذة النظر. يصف لنا ذلك المشهد الطريف الذي
رآه ولو كان من اصحاب مدينة البحر المتوسط لاشترك في معركة
السباحة وعلى الحياء السلام... ولكن العريض من عشاق الفن
للفن ليس الا. فما قدر لعروس الماء ان ترى شاعرها الهائم حتى
تستفز فيقول فيها:

فاستفزت... كأنها صورة في اطارها

لقد أحسن شاعرنا الختام، أحسن الله ختام حياته الفنية.
وفي عيد الميلاد ينظم صاحبنا « قلادة » هي قلادة حقاً، وخير
ما في هذه القلادة هاتان الجبتان:

فألهب من خدها جمرتين وفتق من ثغرها برعما
على الارض لا يخمد الحسن حتى يقيم على نفسه مأتما
لقد صدق السيد حين قال: ان حبة الحنطة ان لم تمت لا تعش.
وفق الله شاعر البحرين، وبلغه من الفن أقصى امانيه.

الصافي

في دواوينه الثلاثة

يقول العرب : كل يغني على ليله ، أما صديقنا الصافي النجفي فيغني على الف ليلي . فاذا رأيت على الرصيف إما متأملاً وإما شائع النظر فلا يتبادر الى ذهنك انه من السحرة او العرافين الذين يرمجون بالغيب بل ثق وتأكد انه شاعر هائم ، شاعر بومبي حقيقاً ، يعمل بقول المثل القائل : من اهتم من غداه لعشاه كان من القوم الكفار ...

الصافي شاعر ، ولكنه شاعر على طريقته هو . لست أشك في انه لا يستطيع اخراج شعره بغير مظهره هذا ، وان رأيناه في « أشعته » و « أغواره » و « تياره » أصبح وأبهى ديباجة منه في « أمواجه » ، فلامواج زبدها وعفشها ونفشها . أما الأشعة ففيها ضياء ولمعان بمقدار . ان حظ الشاعر من الألوان قليل لانه غير بعيد مرامي الحيال . الصافي شاعر واقع ، وواقع كالماء الزلال ، وان اسمى ديوانه الصغير « أشعة ملونة » انه نظم عفواً ، وهو شعر قاله صاحبه في مواضع شتى ، حتى كاد ان يكون مجموعة خواطر

التقطتها مخيلة الشاعر حين سنحت . يختلف الصافي ويتفق فيها مع
زميله الزهاوي في رباعياته ، وهما عندي طائران تقصت عنهما بيضة
واحدة . يتفقان شكلاً وان اختلفا في بعض المواضع . كلاهما
شاعر غير محكك . وكأني بالصافي قد أدرك هذا فقال :

قالوا قريضك لفظه صدف حيناً ، وحيناً لفظه در
فاجبتهم أصدافه درر لو كان يدرك كنهها الفكر
ألا يذكر ك هذا قول ابن الرومي :

شعري شعر اذا تأمله الانسان ذوالعقل والحجى عبده
لكنه ليس منطقاً بعث الله به آية لمن جحد
ولا انا المقهم البهائم والطيور سليمان قاهر المردة
ما بلغت في الخطوب رتبة من تفهم عنه الكلاب والقرده
فاذا صنفنا الشعراء ، وهذا ممكن ، لان الشعراء كالطيور
اشكال ، على بعد الشقة والاجيال ، رأينا الصافي في ديباجته كابن
الرومي ، وان كان دونه خلقاً وخيالا . وفي صاحبنا النجفي شيء
آخر من ابن الرومي هو قلة ثقته بفهمنا نحن البشر ، فيقول :

حين أنخط بالقريض الى الارض تريد الرفاق من جانبنا
واذا ما ارتفعت بالشعر أبقي مفرداً يضحك الانام علينا
وهو ايضاً كابن الرومي في شبه الاغارة على الذين يطعنون في
شعره فيقول فيهم :

قال خلي وقد تعالى ضجيج حول شعري الراقي ونظمي الرقيق
فيم هذا الضجيج حولك اضحى يتعالى من حاسد وعقوق
قلت هذا الأنين من حشرات عارضات سحقتهما في طريقي

أما النقاد ، ويا ويلتي عليهم ، فهذا حظهم في كل زمان ،
ولكن صاحبنا حملهم ما لا يطيقون . التقى بهم في غور من
« أغواره » - دونه غور بيسان ، فهو أحط من البحر كيلومتراً -
فقال كلاماً معقولاً . اما في التيار فقد تجاوز الحدود والتخوم ،
وهذا ما يفعله التيار الجارف ... فاسمع الان ما قاله شاعرنا في
« الاغوار » :

بنقاد القريض برمت لما رأيتهم وقوفاً في طريقي
فتعثر ففكرت فيهم اذا ما اردت السير في نظم دقيق
وكل قد دعاني نحو نهج فحرت كأننا انا في مضيق
فلم أر حيلة لي غير اني اسير ولا أبالي بالنقيق

اني أقره على هذا الرأي فليسر . ان الناقد لا يستطيع ان يصير
الذهب عيار ٢٤ ولكن هذا عمل الصائغ . فليصوب الصافي انبويه
(شالوبه) على شعره ليولد الذهب الآكلة ، فهو مستطيع - الى
حد ما - اذا أراد . هذا ما أصابنا من احوال « الاغوار » ، اما
ما لقيناه من التيار فهو الداهية العمياء والمصيبة الهوجاء ، مصيبة
في العنوان ومصيبة في ما تحت العنوان ووراءه ، وخلقه ، وقدامه ،
ولولا ينجونا الصافي هجواً غير لئيم لمان علينا الأمر فاسمع سبابه :

سأشكر نقادي اللئام لأنني

ركبت عليهم في طريقي الى المجد

فان قصروا في السير يوماً وخزتهم

فساروا وساروا مسرعين من الحقد

يضجون من حقد واضحك هازئاً

هم وهم يحرون بي دون ما قصد

ولو عقلوا يوماً رموني الى الثرى

ومن اين تأتي للسوائم بالرشد

وهيات يستطيعون رمي الذي علا

عليهم ويعالو الحر دوماً على العبد

ومن يعل شخصاً قاده كمطية

وخير المطايا مازج اللوم بالحقد

ولا يهمل النجفي الفخر بشعره ، وهذا الفخر الطائش داء الشعر
العربي الحثيث ، داء باض وفرخ في صدور كل من قالوا منا شعراً .

والغريب العجيب ان كل واحد منا يظن انه الشاعر المفرد ، وليس
من ينتقد شعره الا حاسد لئيم ... اما صاحبنا هذا ، وليس قولي
هذا بضائره ، فقد فاق كل فوق في هذا المعرض حين قال -

سموت بشعري فوق جبلي ولم يزل

يشكك بشعري معشر البلهاء

فان لم اكن في امة الشعر واحداً

اكن امة أعلى من الشعراء

اقول آمنا وصدقنا بهذا العلو ، ولكن ايمان البلهاء لا يدخلهم
ملكوت رضا صديقنا النجفي . فالملكوت مختص بذوي العقول ..
ان اللاهوتين لم يحدوا بعد الزاوية المعدة للمجاذيب والبهاليل في
دنيانا الثانية ...

اما سخط النجفي فكسخط ابن الرومي ، كلاهما متبرم ضيق

الصدر بالناس غاضب عليهم ، والفرق بين الشاعرين ان ابن الرومي يرمي عن قوس سخطه شخصاً بعينه ، اما النجفي فضرّاب قنابل رشاشة لا رامي سهام مراشة ، فالناس كلهم عنده انجاس . ان هذه فكرة شعرية طاغية على الشعر العربي ، ومولدها الثأر للشعر من الناقدين ، وهي التي طغت على شعر المتنبي . شك المتنبي بصديقه لعلمه انه بعض الأنام ، وقال الصافي يذم المخلوقين على صورة الله ومثاله ، بصورة لم اوفق الى نعت صارم الصقه بها ، فيقول في كلب حكم عليه صاحبه بالاقامة الاجبارية في الشارع مؤبداً ، فانتصر الصافي لذاك الكلب حين رآه حزينا مكسور الخاطر :

يشحن الحبز حول بائع خبز من يد المشتري دون طلاب
يسأل المشتري في نظرات قد حوت للطوى معاني كتاب
رق قلب الصافي لهذا الكلب المسكين فقصد بيت صاحبه ، واذا به يرى عنده جرو كلب جميل ، فونجه « على تركه قديم الصحاب »
أي الكلب العتيق المظلوم فكان من الرجل ان :

قال هذا جرو جميل وذاك الكلب شيخ فاعجب لهذا الجواب
وبعد ان عاد الصافي يتعثر بذيل عباءته ، فقد يقرع البشر ويلوم حتى ختم قصيدته بهذا البيت الطريف :

صرت آبي من نسبتي لأناس فضحونا حتى امام الكلاب
هذا نموذج — ذو قيمة — نقدمه للقراء من سخر صديقنا النجفي .
ان سخره يبكي ولا يضحك ، فلا هو سخر بشاري ولا سخر نواسي
ولا رومي .

اما مواضع الصافي فلا تحلل ، لانها كنعم الله التي لا تحصى ولا

تعد ، الا اذا خصصنا شاعرنا بكتاب اضخم من دواوينه جملة ، وهذا مستحيل ، ولذلك لم نتركه بالمرة ، ولم نقف عند كل قصيدة وقوف قدماء شعرائنا على الاطلاق . ان للصافي فلسفة ولكنها كلاهوتية الشاعر سعيد عقل ، لا تفهم انها فلسفة ما لم تنبه . فسعيد يحسب « المحبة » علم لاهوت ، والصافي يرى البغض فلسفة .. ومن ير الدنيا وناسها بعيني بؤسه وشقائه فلا يمكن ان تكون مواضيعه غير ما كانت . وها هو إذ يقول قصيدته الرائعة ، في ذكرى المتنبي الالقية ، لا يحرم الناس من الطعن والضرب ، فيقول في نقاد المتنبي بيتاً جميلاً . وللصافي مثله كثير في دواوينه :

قد أقاموا ملوحة البحر عيباً حين خافوا من ان يخوضوا خضمه
ثم يرى ما قيل في ذكراه شعراً نازلاً عن الشعر فيقول :

وأتى الشعر مهرجانك يشكو بعد الف الى قوافيك يتمه
قلت : فما عساه يقول لنا الصافي في ما قيل اخيراً في مهرجان شاعرنا مطران ؟ ان شعر ذاك المهرجان المطراني لا يليق بشاس شيخ في خدمة مذبج الرب ، فكيف يليق بمطران يؤهله شعر شبابه وكهولته ان يكون بطر كاً لولا المحاباة ... كأني بهم قد راعوا النظر فقالوا في ابن الثاين شعراً كأنه ابن تسعين ... ويختتم الصافي رائعته في المتنبي بقوله :

مدح هذا النبي يبغي وصياً آخذ من ابائه الجمل شمه
اذا اولى بمدحه وعلاه ان يفقني شعراً فلي منه همه
وبعد ، فان اسلوب الصافي هو هو ، وتفكيره في « الاغوار » و « اشعة ملونة » و « التيار » لا يختلف عن تفكيره في الامواج .

أما تعبيره فهو في هذه الدواوين الثلاثة خير منه في الامواج ، وان كان ما رأيت بعد قراءة هذه الدواوين يحملني على القول مع شوقي :
وتروني في اللهامة ما للمخني من يد في صفائه أو ليانه

أما في الابتكار والخلق والابداع فالصافي شاعر يخوض وسط المعمة ليس أكثر . قد يبعث بصورة أو حكاية ولكنه لا يوفق كل التوفيق إلى « الزخم » الذي يتروك دويماً في أودية الآذان . ينسبك ختامه ، غالباً ، روعة تلك الفكرة التي حبل بها دماغه ، ثم تمخض ولم يلد الا جنيناً لا يوعوع حين يبصر النور .

فألى الصافي ثنائي الخالص ، وحسبه انه يقول لنا شعراً ، ان يكن غير براق ، فهو فيه غير متعمل ولا سراق . وأحسن ما في الأحسن من هذا الرجل هو انه يعرف نفسه كما عرفه النقاد ، وان ركب علينا جميعاً في طريقه إلى المجد ، كما قال . يعترف الصافي بذلك ، ولكنه كما يتضح مما ستسمع ، يدرك من امره ما ندرك ، ولهذا ختم « التبار » ، وهو آخر ما صدر من دواوينه ، بقوله :

نظر الناس لي فجاروا بأمرني وأنا مثلهم بأمرني حائر
أنا ما ان لا اكون كغيري شاعراً او اكون وحدي شاعر
وأخر مؤاخذه لصديقي النجفي هي تضرعي اليه ان لا يرفع الكلفة بينه وبين اللغة — وان كان قد قلل ذلك — فقله : « نظر الناس لي » لا يليق بشاعر كبير كأحمد الصافي ، وخصوصاً لانه نجفي ، والنجف الاشرف كهف اللغة ومقلها المنيع .

فألى الامام يا صديقي ، انك ستجد مرعاك ، كل ساعة ، ما دمت تعب من ينبوع الحياة والواقع . اصفع الناس جميعاً ، وخصوصاً

النقاد المناحييس ، انهم يستحقون .. اما ركوبك عليهم في طريقك
إلى المجد ، كما تقول ، فأرى ان تستغني عنه بجمارة ... ان هموم مجدك
المتواضع لا تقتضيك اكثر من جحشة ، فلا تطلب غيرها مركوباً ..
ثم من يدرينا انها لا تنطق كجمارة بلعام ... وتخلق لك موضوعاً
جديداً تضمه الى روائعك ...

ان بشاره الخوري كان أرحب منك صدرأ ، وأنعم هجاء
للطاعنين في شعره . وعلى كل فموعدنا واياكم الأبد .

عمر أبو ريشة

ديوانه: «شعر»



كان ذلك في حلب ، ومنذ بضعة عشر عاماً ، يوم سمعت بشاعر اسمه عمر أبو ريشة . دلني عليه تلميذي ، يومئذ ، وصديقي فيما بعد ، الأستاذ اورخان ميسر ، اثنى على صاحبه وسماه في ذلك الوقت شاعر الشباب ، وقدم لي تمثيلية نظمها الشاعر الشاب عنوانها « وقعة ذي قار » ، فاستبشرت بما فيها من وثبات تدل على الشاعرية العتيدة ، وصرت كلما وقعت على قصيدة له أقرأها وأرجو . فاشتيت الشاعر في تطوره إلى ان ظهر منذ اعوام ديوان له عنوانه « شعر » فما مددت اليه يدي لانه لم يقدم الى المشرحة طبقاً للمراسيم ، اما ديوانه الجديد ، الناسخ ما قبله ، وهو يحمل شيئاً من هذاك .. فما هو الآن بين يدي .

عنوان هذا الديوان « من عمر أبو ريشة . شعر » وقد سميته «الناسخ ما قبله لأن جريدة « كل شيء » أذاعت ان الأستاذ ابو ريشة « لا يعترف بالكتب او الدواوين التي ظهرت قبل الآن ، والتي تحمل اسمه ... وانه يتبرأ منها » .

لا يا أخي عمر ، انها محسوبة عليك ، فما يدخل المطبعة من
عبيدنا ينعتق ويخرج منها مولى لنا . لماذا تتبرأ من بنيك ، فما هم
بالسفهاء اخوان الشياطين . ما رأيك استعجلت الأمر قبل اوانه
لتعاقب بحرمانه ... والبرهان هذا الديوان البديع الذي اخرجته
للناس ، جامعاً فيه خير زاد للبلاد مذكراً للاحفاد باجداد الاجداد .
جلت « دار الاديب » عرائس ابو ريشة على عشاق الادب
الرفيع ، محلاة مزينة برسوم رائعة تستميل العين والقلب ... فيينا
يكون الفكر سارحاً مارحاً على موسيقى بحرية حقاً ، اذا برأئته
العين تطل على واحات تلك الرسوم الرمزية فتصبح بالفكر المجتهد :
وقف ... خفف السير واتد يا حادي .

الحق اقول ان في ديوان ابو ريشة شعراً طالما تمينا ان نقرأه
ونسمعه ، فشاعرنا يحدو الكلام ويذججه على هواه . قلت موسيقى
بحرية وهاك التفصيل : في شعر عمر ما في شعر الوليد من سياق
مطرده ، ورنه ايقاع وتقسيم عبارات ، قمشي القصيدة متزنة الخطى
كانها قطعة من عسكر . ألفاظ مختارة منتقاة لا تنافر بينها وبين
جاراتها ، ولعل هذا من عمل الاقليم اذا صدقنا زعمتين وبرينتين .
والشاعر على طوله المفرط ، وامتداد نفسه ، يؤثر الاوزان
القصيرة المرقصة حتى لكأن ابانواس شاعره المختار ، فقلما تمخر في
ديوانه بحور الشعر العابة الصاخبة كبحر الاطلنطيك ، بل تجدها
كلها على طراز بحرنا المتوسط ، ضاحكة ، مطمئنة ، صاخبة ،
بمقدار ما في هذا البحر من عتو و صخب .

يخرج عمر من حصن القصيدة القديم لبيني « دارة » ذات

« خرجات » وشرفات ، فتخترقها الاشعة والنسيم المطهر ولكن هذه الاشعة لا تؤذي الوانها ، ولا تذهب بروعة ظلالها . لا تسم رائحة العفونة ، ولا ترى وجوه صور تعودت ان تراها كلما قرأت وسمعت شعراً . ان الفرار من قافية الى اخرى في القصيدة الواحدة يطرد الملل . وقديماً قالوا : العز في النقل . فاذا رأيت اسفاف شاعرنا نادراً جداً فاعلم ، حفظك الله ، ان هذا الانطلاق قد نجى الشاعر فظل محلقة في جوه الفنى تشد قوائمه خوافيه فلا تصدق انه ابو ريشة ... واحدة فقط .

في ديوان عمر أنين حب جريح ، وفيه اهازيج حب مظفر ربح معارك شتى ، وخرج من غبارها غير معوه ولا مهشم ، بجيش كجنح ليل بشار . ان صاحبنا محظوظ غير منكود ، يتأمر كثيراً ويدل ولكن ليس بمخلب وبجد ناب كأسد ابن عوانة .. بل بشباب له القدح المعلى والأسهم المرتفعة في بورصة الحب ... ولعل له في اسم عمر بعض العون ورأس المال في البندر ، وان كان لم يقتصر في شعره على الحب كسميه ابن ابي ربيعة . فهذا « العمر » الجديد يقسم ذاته المتمردة بين قلبه ووطنه . يضحي بقلبه اذا كان الحب يستأهل هذا الكبش ، ويصبح بالشباب صيحة القائد المغوار في المعركة الفائرة التنور :

أشباب يا زهو الحياة ويا تشيد العنصفوان
لا كنت ان ارخيت معطفك النضير على جبان
أجل يا اخي عمر ، الشجاعة أس الفضائل . هكذا علمنا السلف وهي لا تنقص شبابتنا العربي ان شاء الله .

في ديوان عمر قصائد قيلت في مناسبات . ولكن عمر يبالغ
موضوعه من غير ابواب شعراء الفرح والترح . فبدلنا هذا على ان
هناك ارادة عاملة لا عادة تسوق الشاعر بعضها . فهو لا يكشف
الشمس ولا يشق القمر ، ولا يطفئ النجوم ولا يدك الجبال ، ولا
يسألها ان تمالك لئلا يزغزعها الدهر ... ان قلب الفن ليطمئن حين
يسمع مثل هذه الاناشيد . فالفن يصبح برجاله دائماً وابدأ : هاتوا
الجديد ، الجديد ، الجديد .

وفي ديوان عمر نخوة ولكنها غير مبتذلة ، نخوة على آثارها بيض
حسان فهي مضخة بطيوب عذارى الفن ، وفيه ثورة جياشة
ولكنها تلبس مآزر البيان الوضاعة وغلالات فنية فتانة تختفي تحتها
صدأ الدروع ، وزنجار السنان ، وأشر السيوف . الشاعر تأثر
ولكنه غير هوائى وغير سباب ، مخلص لأتمه يريد بها بريئة من كل
عيب ، وان رأى قعوداً عن الجلى استفزه ريعان الشباب وأرت
كما يارت المهر ... يشن الغارة الكلامية ، واول الحرب الكلام .
اسمع ما يعاهد عليه خالد ابن الوليد في قصيدة تكاد تكون ملحمة :

يا مسجى في قبة الخلد يا خالد هل من تلفت لبياني
لا رعاني الصبا اذا عصف البغي وألفى في ضريح لساني
ان عمر يعلم ان للسان معارك ليست اقل خطراً من معارك
السيوف ، وان قال ابو تمام : « السيف اصدق انباء من
الكتب . » فمن يوقظ السيف النائم في قرايه نوم الهناء؟ القلم كما قلت
يا عمر ، يا حسان المقام ، فليهنأ لسوريا شاعرها الفخيم ، فهي مستعيدة
به اليوم مجدداً أولنا اياه صاحب يثيمة الدهر . اما استعارة الضريح

للفهم فما اعجبني .

في عمر ابوريشة شاعران : شاعر غنائي يرح برصانة ، ويتألم
بجد ووقار ، يتجمل في حديث حبه ما قدر خوف الشمنة ...
وشاعر قصصي ظهرت لي ملامح عبقرية الشعرية في وثبات وطواعية
قصّ رأيتها في مسرحيته « وقعة ذي قار » كما قلت سابقاً . وهب
اننا وجدنا لعمر ندّاً في الغناء فاننا لا نجد له ضرباً في القص على
حقه . وفي « عذاب » ، وهي مسرحية منشورة في آخر الديوان ،
ما يؤيد زعمي ، فافقراها يا قارئ العزيز ، واكشف لي عن رأيك فيها ،
ولعلي أعود اليها والى عمر القصصي ، اما الآن فعليّ ان انصرف
إلى غيرها من الديوان .

لقد عثر عمر في فنه على الحل الوسط لمشكلة التجديد العويصة .
فهو لا يسيو وراء القدماء كما تسيرو جياذ العربات على الطريق المعبدة :
الدرب الدرب . ولا يكثر من الصور المائعة المبنية على المجاز
العقلي ، وهي التي تعرف اليوم بالطريقة الرمزية . لقد أمست هذه
العبارات عند بعض أصحابنا كل الشعر ، حتى أشبه بعضهم بعضاً
في فترة قصيرة جداً . ان عمر يأخذ من هذه البضاعة ، ولكن بقصد
وحذر . يقول مثل أصحابنا : لحن شقي ، رماد المنى ، غفوة خرساء ،
تلفت عريان ، مجروح التمني ، أطيفاف يتامى ، صيححات حمر ،
وخطاي الحمر . وكلها جميلة في مواضعها ما عدا « الصيححات الحمر »
حين يخاطب عمر ابا العلاء (ص ٨١) :

فتعالت صيححاتك الحمر تهدي لو اصابك اصدائها آذاها
ان هذه الصيححات الحمر لا تلائم شاعر الفلاسفة ، من كان اكلمه

العدس ، وحلاوته التين ... فما الذي ذكرك هذا النعت يا اخي ،
أتراها الحافظة قد عادت بك الى قول ابي العلاء : ما عرفت من
الالوان إلا الاحمر ... اما في قولك انت :
حشئت خطاي الحمر عن هيكل القدس

وفي حماة الارجاس كفرت عن رجسي

فهذا النعت يليق بخطاك ، ولكل مقام مقال .

وعمر ينادي كأصحابنا الرمزيين وزن افتعال فيقول :

يا اعتداد الايتام باليتيم كفكف بعده كل دمعنة خرساء

ولكنه لا يغرب مثل اولئك فيزعج ... تأمل كيف يعبر بلغة

الذي أراد ان يشمر فغنى ، فيقول في قصيدة عنوانها « حنين » :

عرفت شذاك فالتفتت تسائل عنك أشواق

فلحمت على خطى مني فغابت فيك أحداق

تشخيص بديع ، ولعمر في هذا جولات موفقة ، فإذا شئت

ان تتفكه بها فعليك بديوانه .

ولكن شاعرنا المبدع ، على كبر جظه من الحب والفن ، يفتتح

ديوانه باليأس ، باليأس منا نحن البشر العاديين ، فيسائل نفسه في

فاتحة ديوانه لمن ينظم هذا الشعر :

لمن تعصر الروح يا شاعر اما الضلال المنى آخر

ثم يعدد : ألحج ؟ ألهو ؟ ألهجد ؟ ألتخلد ؟ الى أت

يهيب بنفسه :

رويدك لا تسفهن الخيال ببيداء ليس بها سامر

هذا كثير يا صاحبي ، واني لأخشى ان تصاب بداء الشعراء .

قد رأيت هذا الميكروب عالماً بأذيال قصيدتك « عرس المجد » .
أما اليأس ، وستشفى منه في الغد القريب ، فهو يقتل الشباب ،
وإن حلا التغني به في الشعر . إلا تذكر قول عبس الشعر : ولا
ترى طارداً للحر كالْيأس . انشد ، انشد ، فكلنا آذان . اننا نسمع
ونطرب ونهتز ، فما نحن بالحجارة ولا الحديد . اننا نجد من يستحق
التمجيد ، ولا اجرؤ على القول : ونخلد من يستحق التخليد .
ته دلالةً فانت اهل لذاك ، ولكن لا تتمدح فسوف تسمع مني
ومن غيري مدحاً يكفيك ويغنيك .

وإذا اثبتنا عليك بما انت اهل له ، فلا يعني هذا اننا كمنا
افواهنا أو سدنا طاقات النقد عنك مخافة ان تطير مع النسيم ...
لا يا عزيزي عمر ، فأعظم اثر ادبي ليس في حرز حرز ، فارجو
ان توسع صدرك . ان في ديوانك الرائع هبات هبات كانت في
الاستطاعة تهذيبها او ابدالها لو لم تتعجل ، وهب انك كبيت
كنانتك ولم تجد عوداً اصلب فالاستغناء عنها كان اولى . فهذا
« المسمار والتسمير » الذي يرافقتي في ديوانك قد يستحلي في النثر ،
أما في شعر كشعرك فهو بشع ، ألم تحس مثلي بسماجة هذا
المسمار في قولك :

ولكل كف غضة سكيئة ولكل عرق نابض مسمار
لقد طعنت هذا البيت بسكيئة واجهز عليه مسمارك فلا حول
ولا ... ان « منجوراً » يصنع من الحشب الثمين كطرف ديوانك
لا تدق فيه المسامير ...

والسناد وهو من عيوب القافية كما تعلم ، أراك لم تكلف نفسك

الابتعاد عنه. فعلت ذلك أكثر من مرة ومرتين (راجع صفحة ٢٣، ٥٠، ٥٢، ١٠٥٠).

٢ ثم ماذا نعمل لنصلح ما بينك وبين «ان»، فهذه العداوة بينكما ارجو ان تغفّي عليها معاهدة صلح - ولا تكتمنّ الفن - ما في صدوركم - لقد قال القدماء كما قلت انت اليوم، ولكن شعراً كشعرك مارحاً سارحاً يجب ان ينزه عن مثل قولك: اخشى تموت رؤاي (ص ١٩) وقولك: فما اسطيع اجلو سراً (ص ٥٠) وقولك هيهات تروى (ص ٩٩) واخيراً قولك مرتين في (ص ٢٨٣): «واخشى انوء بعبء الألم» و«اريد اقبل». وفي «مصرع الفنان» لم يعجبني قولك: تشرب الدمع من مقر انفجاره.

٥ وقولك في الصفحة عينها «بعيد العهد عن قيثاره». ان هذه «العهد» تدل على قلة صبر، ومثلها قولك «تمتبه إلي». وكذلك قولك «النسيم الرخو». ومن ينعت النسيم بالرخو؟ أندع القدماء أدق منا بانتقاء النعوت.

٧ واكتشارك من استعمال ما الزائدة لا يعجبني. نحن في زمن يقصون الزائدة فيه فور شعورهم بها، فكيف نضعها في الهيكل الفني لتعوهه وتشوهه؟ أفلا تراها شنيعة كما رأيتها انا؟ مضت الليالي... مثلاً الاحلام في اجفان فائم كما النحلة الغضبي لدى وخز خصمها

تموت ولكن وهي مرتاحة النفس
ان «كما النحلة» هذه ذكرتني ما حفظته، منذ نصف قرن،

من شواهد ابن عقيل :

وان الحمر من شر المطايا كما الحبطات شر بني تميم
والذي ساءني ان تقع عليه عيني في شعر ابو ريشه هو مثل هذا (٨)
العبت الذي نراه عند البحري :

أمن المودّة ان تعبت باضلعي أمن المودّة
جاوزت حد الشوق يا واهي القوى جاوزت حده
اما الذي حرت فيه فهو هذا البيت من قصيدة في رثاء الملك غازي : (٩)
اتمدون في بلادكم لأبي الكاس وتروون بالنجيع بلادي
فالزيادة فيه فاضلة عن المعتاد في تخطي موازين الشعر .
ولي ملاحظة ، وهي الاخيرة ، على قولك : (١٠)

ان من سامك المنون لقوم لم يحبوا على الحجي والفلاح
فاذا وسعنا لك لتشق فعلاً مضارعاً من « حي » وهي اسم فعل
فلا نسكت عن خروجك عن سياق الكلام فلا يصح القول : ان
من سامك المنون لقوم ، وانما الوجه ساموك ، ناهيك انه لا يقال
سامه الموت ، فليس موت الشهيد خسفاً يسامه . وفي الصفحة المقابلة
عديت صمّ فقلت : (١١)

خفروا ذمة العـود وصموا الأذن عن صرخة الهضم اللاحي
وهي فعل لازم . فأين أنت من سدوا ؟ وكيف لم تخطر على
بالك ... هذه هي الهنات . أما الجمال فلهذا الديوان الضخم . وفيه
فوق الجمال الفني تحليل نفسي رائع في قصائد عديدة وأخص منها
تلك التي يسوقها عمر مساق القصص ، وهذه خاصة بحالفة التوفيق
فيها . خذ مثلاً قصيدة « جان دارك » فالشعر جرى فيها على خطط

علماء النفس . حلل عمر نفسية هذه البطلة كما شاء فقال شعراً يبقى .
واذا رجعت القهقري الى حكاية ديك الجن المحصي ، وعنوانها
« كأس » ، رأيت ان شاعرنا خلاق لا يعدم اسباباً يرتقي بها الى
الذرى ، اسمع بعض ما قوله ديك الجن وقد « شخّص » في هذا
أروع التشخيص :

نادى هواها ، فالتفت وما رددت له جواباً
وشبابها الظمان بين يدي يستجدي السرابا
فوجمت مجروح الرجولة اخفض الطرف اكتبنا
وشاعرنا الملمه يتلاقى وشوقي حول المسيح وصلبيه ، وكلاهما
يلوم الدول التي خرجت بتعاليم السيد عن التخوم التي رسمتها . وقد
رأيته يقول مثل شوقي في وحدة الافطار العربية :

قال شوقي :

كلما أنّ بالعراق جريح لمس الشرق جنبه في عمانه
وقال عمر :

أيّ جرح ضجّ العراق عليه ما تلقى الأساءة من لبنانه
لقد نفر شوقي إلى عمان ومعان لان لبنان لم يكن في الحساب
في زمن شوقي . . . وربما قصر ابو ريشه اذا عارض شوقي ، اما حين
ينفلت من قيود المعارضة فيخوض مع شوقي وسط المعصية . إقرأ
قصيدته في رثاء سعيد العاص ، ذلك البطل الذي عرفناه بأئسأ
طريداً ، وترحمنا عليه شهيداً مات قبل ساعته :

نام في غيب الزمان الماحي جبل المجد والندى والسماح
اما نفسية شاعرنا وديباجته معاً فتدلك عليها قصيدته « نسر » :

أصبح السفح ملعباً للنسور
إن للجرح صيحة فابعثها
واطرحي الكبرياء شلواً مدمى
لملي يا ذرى الجبال بقايا
انه لم يعد يكحل جفن النجم
هجر الوكر ذاهلاً وعلى عينيه
هبط السفح... طاوياً من جناحيه
فتبارت عصائب الطير ما بين
لا تطيري جـوابـة السفح
نسل الوهن مخليته وأدمت
والوقار الذي يشيع عليه
ثم يصف الشاعر جوعة النسور ووقوعه على شلوه دفعته عنه
عجاف البغات فاهتز، وارتعش وطار، حتى اذا اجتاز مدى الظن :
جلجلت منه زعقة نشت الآفاق حرى من وهجها المستطير
وهوى جثة على الذروة السماء في جفن وكره المهجور
ايها النسور هل أعود كما عدت ام السفح قد أمت شعوري
لا تياس يا عمر، فأنت من الفن في ذراه، اما « السفح » الذي
تعنيه فهو لا يمت الشعور ولكنه يوقظ العواطف فيحمي الوطيس...
ارجو ان تظل في « سفحك » هذا لتغني النسور والنمور، وتدفع
الجيل بالمناكب والصدور.. فحيها... عشت يا ابا الريش...
فأنت يا ابن اخي، اشعر جيلك في هذا الديوان الذي جمعت فيه
بين طريف الادب وتليده.

نازك الملائكة

عاشقة الليل



هذه خنساء جديدة - ولكنها مثقفة - تطلع علينا في القرن العشرين بديوان شعر يدور حول موضوع واحد ، كديوان خنساء الزمن الغابر . تلك ذوبت شعرها دموعاً على أخوها ، وهذه استعالت عواطفها شعراً حزيناً كثيباً يصح فيه ما قاله الفرد دي موسه - اذا لم تخني الذاكرة - : اضرب القلب فهناك الشعر الذي لا يموت .

ولو يصح لي ان اتمثل بالنابغة لقلت لنازك الملائكة : اذهبي فانك اشعر من كل ذات ثديين ، ولولا ذاك البصير عمر ابو ريشة - لفضلتك على شعراء الموسم ، وليغضب عليّ الف حسان ، فلا يخلق النقد غير الاعداء ...

نازك الملائكة من بيت يذكروننا بقول الاخطل : اشعر الناس بيتاً بيت زهير ، فأما نازك - أم نزار الملائكة - شاعرة ، وقد قرأت لها قصيدة في مجلة المعهد حققت لي الكلمة الماثورة : البنت لامها . وابوها شاعر ايضاً ، ولعل اخاها نزار ، واختها احسان

التي قدمت لديوانها شاعران .

لقد ضربت نازك الرقم القياسي في الشعر الباكي فبذت ببكائها
وآلامها جميع شعرائنا الباكين حتى شيخهم الأكبر ... وما اشبهها
الابدام دي نواي الشاعرة الفرنسية الشهيرة ، فكلتا الشاعرتين
العربية والفرنسية تخافان الموت وضغطة القبر ، وان تمنا كلتاهما
التقلت من قيود المادة . قالت نازك :

نعم مات قلبي ، اين احزان حبه ؟ اين امانيه ؟ اين اغانيه ؟
أرأيت كيف تفهم الحب هذه الشاعرة ؟ الحب عندها احزان
وآلام ، وتذكر الموت في ريعان الشباب فتقول ، والضمير عائد الى
عنوان القصيدة ، « قلب ميت » :

ويرعبه ذكر الممات وليس له فيدفن نيران الاسى في قوافيه
فكيفما اتجهنا في ديوان عاشقة الليل فلا نقع الا على ماتم ، ولا
نسمع الا أنيناً وبكاء ، وحياناً تفجعاً وعويلًا .

تبكي نازك الملائكة جزءاً ضاع منها ولكننا عوضناه شعراً لا
يملّ على وفرتة وتشابهه .

ان نقد النساء صعب كراثين ، وخصوصاً اذا كن مسلمات ،
وقد كبر في عيني المتنبي حين جربت فأدركت ما قاساه من عناء
حين كان يرثيهن ، ولكن ابا الطيب ، اجزل الله ثوابه ، كان يفر
الى الحكمة ، اما انا فالى اين افر ؟

ان في ديوان « عاشقة الليل » ما يحيرني ، فعند « شجرة
الذكرى » اقف وقفة متأمل مستلهم لعلّ الله يفتح عليّ ، فاقول
ما ارضى عنه فاندكر قصيدة « الاناء المشعوث » لسليبي بريدوم .

فهذه شاعرتنا تقول :

مررت بها في المساء الدجي فالتقيت رحلي في ظلمها
وان كان هذا التعبير « القيت رحلي » لا يلبق بعاشقة الليل ،
خفسانا المثقفة ... وهناك في ظل « شجرة الذكري » تشرئب
ذكريات الشاعرة وتطوف شجونها من حولها فتقول :

اقص على ظلمها قصتي وقصة شاعري ... الغادر
وكان في يد الشاعرة شوكة قاطعة تمر بها على ساق صدرتها
فجرحته بلا شعور . ثم عادت اليها بعد سنين فقصت علينا ما يلي :
فقلت لقلبي هيا نطف بها وليثر حزنك الهامد
منسأها اليوم عن جرحها ألم يشفه الزمن الآبد

*

ودرت اسائل عن جرحها اما دملته اكف القدر
فلم ار الا اخضرار الحياة فليس عليها لرح اثر
واما جراح فؤادي الحزين فما زلت يشكون طول الصدر
فيا عجباً للزمان المسيء متى عن اساءته يعتذر
الله اعلم يا آنسة ، الزمان عنيد رأسه كبير يصعب عليه
الاعتذار ، ثم من يدري فلعله يعتذر الى النساء . وكما حيرتني « شجرة
الذكري » احتوت ايضاً في رموز اخرى كثيرة اهمها « التمثال »
الذي لم تنكشف لي حقيقته بجلاء ، فهي تقول في « قلب ميت » :
وها انا ذي عمري اجتقار وادمع وفي نفسي الوهسى لظى وتمرد
أحن الى جبي الجميل وان يكن أشاح عن التمثال جفني المسهد
وماذا تبقى الان؟ شأو حجارة تضيق بها نفسي وصخر ممدد

تعلق قلبي بالنجوم وقلبه تمرغ في الاحوال..والطين يشهد

*

هنالك في الامس البعيد ولبه مآدفن تمثالي وحي وادمعي
اشيد قبراً من تمرد غافقي واسقيه من بغضي له وترفعي
اغنيه الحان احتقاري وثوري وتهزأ اضواء النجوم به معي
وازرع فيه الشوك والسمل والظى واتركه شلاً قلبي المروع
لقد قسوت جدا ، ولكنه يستحق ...

وفي قصيدة « بعد عام » تصور لنا حالة نفسانية لم يتوفق شاعر
ذكر الى قول احسن منها تحليلاً عاطفياً عميقاً فنقول :

مرّ عام .. يا شاعري .. منذ ابصر
اليالي تمر .. تتبعها الايام
وانا لهفة .. وشوقي يزداد
ظماً للحياة بلا احساس
وشظايا كتابة رسمت فوق
ثم تتعجب الشاعرة كيف نهضت باعباء همومها وكيف لم تمت
حتى تقول لشاعرها :

الشهيق الحزين في هداة الليل
والشروذ الذي امات احساسني
الم يلقه اليك النسيم ؟
أما حدثت لك عنه النجوم ؟
ثم تصف ببراعة فائقة كيف واين التقت بشاعرها :

منذ عام .. في الشارع الصاحب الممتد .. والشمس في صفاء الاثير
جمعتنا هنالك الصدفة الحلوة .. في غفلة من المقدور ..
والتقينا .. لم نبسم .. لم احداثك بما في فؤادي المعصور ،

لحظة ثم اجنوز الزمن القاسي على قلب حلمي المسحور
سرت يني .. وسرت يسرى .. ولم يبق سوى ثورتي ونار شعوري.

*

كل يوم اقول يا قلبي الظمان للصحو .. لا تضق بالغمام
لن يضر الاقدار في ليلها ان تتلقاك .. مرة .. بابتسام

*

مر عام .. لم يبق منه سوى لحن حزين .. مغرورق الالحان
ليس الا ابتسامتي المرة الظمأى ودقات قلبي الحيران
ليس الا ظل من الصمت واللهفة يبدو في جفني الظمان
وهذه القصيدة ، في نظري ، هي خير قصائد الديوان بل هي
من الشعر الغنائي الرفيع . كانت العبارة والصور فيها طيبة سهلة
الانقياد للشاعرة لانها صادرة من الاعماق .. ولعل الزمان أخذ بثأر
قيس من نازك الملائكة ...

وفي القصيدة التي نلها تدعو قلبها الى اليأس المريح وهي
تخاطبه بهذه الوداعة الهادئة :

ثم ماذا أي حلم ترحي يا ابن السماء
انت في الأرض فلا تحلم بلقيا الاوفياء
رحم الله المتنبئ القائل : لعلمي انه بعض الانام . ان كلمة
الآنسة الشاعرة لا تقل روعة عن كلمة شاعر العرب . وقبل هذه
القصائد التي مر ذكرها تصف لنا الشاعرة موقفاً لا يحتمله الجنس
الحسن فكيف بالجنس اللطيف ، عنوان القصيدة « نغمات مرتعشة »
وأولها : عد .. لم يزل قلبي نشيداً حالماً . وقد ختمتها بهذه الصورة

الرأفة :

ما زلت .. منذ ذهبت .. حيرى في الدجى ..
شهد الاسى اني لزمت مكانيا ،
وهي يصور لي خطاك .. ووقعها ..
فاذا اصخت .. صحت من اوها ميا
لا شيء .. غير الريح .. تعصف في الدجى
لا شيء .. غير تنهدي .. وبكائيا ..
فالذي عندي ان ديوان عاشقة الليل حديث قلب منكوب
أثارت نكباته سخط الشاعرة على الناس اجمعين ، وما شكر السوق
إلا من ربح . انها تقول كالمتنبى وبصورة بسيطة جميلة :
لم يعد في جسمي الداوي وروحي
موضع .. يحتمل الجرح الجديد ...

*

لم يعد في نفسي الوهى .. مكان .. لأسى .. او فرحة او ذكريات
أشهد وضميري مرتاح ، أنني لم أر الفرح عندها إلا في ختام
قصيدها « جزيرة الوحي » حين تحتما بقولها :
وانقلب اليأس بشریات وأمنیات فأني عید
ولكنها لم تعید . بل عادت الى غيبوبات يأسها ، وقالت في
« الخطوة الاخيرة » وهي خاتمة ديوانها :
آه يا اشجار .. لا تذكريني فانما تمثال يأس بشري
ليس عندي غير .. آثار حنيني .. وبقايا من شقائي الأبدي ...
قد قلنا انها غاضبة على بني آدم ، واليك ما تقول لنا :

لا أريد العيش في وادي العبيد بين أموات .. وإن لم يُدفنوا
آدميون ولكن كالقروء وضباع .. شرسة .. لا تؤمن
فهي في هذا جبرانية نعيمية تذكرنا « حفار القبور » لجبران
التي استمد منها محائيل نعيمة الشاعر « أخي ان ضج ». وتذكرنا ايضاً
ذاك الذي ارسله « أبسن » في روايته وجعل في زنده سلة يجمع
فيها الناس ليعاد خلقهم من جديد .. ومشكلة السخط على البشرية
تحلها نازك الشاعرة الجبرانية بقولها :

نحن الخياليين في أرواحنا سر الالوهة والخلود الضائع
صدق الفن العظيم .

أظننا أشبعنا افكار الشاعرة اليائسة تحليلاً . عفواً ، ما هذا
يأساً ، ان هذه إلا ثورة جامحة ، ومن حق نابغة كنازك الملائكة
ان تثور ، واذا لم تثور هي فمن يثور ؟ الملائكة علموا الناس
الثورات ...

ولقد قلقت واضطربت وشكت ككل مفكر وحيد فسألت
الامطار كما سألت نعيمه نفسه وحلها حلا يرضي خياله ورجاءه . اما
الآنسة نازك فجاء حلها منبثقاً من شعورها ، فقالت تخاطب الامطار:
ما أنا ؟ ما أنت ؟ يا أمطار ما ذاك الحضم ؟
واخيراً أجابت :

— لست إلا ذرّة في لجة الدهر المغير
وغدا يجرفني التيار والصمت مصيري
— ما أنا إلا بقايا مطر ملّ السماء
ترجع الريح الى الارض به ذات مساء

وهي في هذا الحل القاتم جبرانية ايضاً ، ولكننا من نوع آخر .
وتنتهي الى دفن شكائتها ولكن بتفجع يفتت القلب في ختام
قصيدة « على الجسر » فنقول :

يا نهر فلندفن شكائاتي ومرشجونها
الآدمية ان بكمت فلضعفها وجنونها

فآه والف آه ، كم تحت كلمة « الآدمية » من لوعة وشرف وابهاء .
ولا استغرب أيتها الشاعرة المحترمة حبك الليل ووقفك شعرك
عليه ففي كل الامم شعراء مختصون . قالوا في اوروبا : فلان شاعر
القمر ، وفلان شاعر البحر ، كما نقول نحن مثلاً الاستاذ المقدسي
شاعر النهر ، وشاعر البحر ، وان كان ميتاً .. لقد قلت لك شيئاً
ايتها الشاعرة المحترمة ، وما زال عندي اشياء . أما الان فلنعد الى
فك لنرى عناصره الاولى .

ان هذه النقط الكثيرة في ديوانك المطبوع قد لا تدل غيري
على شيء ، أما أنا فقد رأيت فيها تفسيراً لقول الضفدع : في في
ماء ... ولكنني أشهد انك ما قصرت . كنت جريئة فقلت ما يقال
أما ما لا يقال فنفهمه نحن ، ولأجله نقدر عبقريتك .

في ديوان عاشقة الليل شعر وحكي ، وهذا ناشيء عن شدة
حساسيتها فهي تريد ان تقول كل شيء ، تريد ان لا تخفي شيئاً ،
ولهذا تجدد العبارة الرفيعة الى جانب اخت لها غير نجبية . ربما قلت
لي : وكذلك تكون المواليد وهذه سنة الطبيعة ، وقد نبه إلى
هذا ابوتام ، وكذلك زعم ابن الرومي . أما أنا فأخالفهما وأرى
أن شرائع الفن تسوغ وأد البنات ، بل خنق كل مولود غير نبيه ..

يا بلجم جاء النهر عن حريانة حتى أنه انصب في داما
 واليك نموذجاً واحداً من نوع الحكيم
 لم استطع يا نهر كتمان العواطف والشعور
 من يمنع السيل القوي من التوقف والمسير
 أما حين يشور بركانها وتنظر في قرارة نفسها وتقع عينها على
 الجرح ، فينهض الشعر من مجثمه فتقول :

في عمق اعماق اعا صير يحن جنونها
 وعلى جفوني رسم احلا م يضح حنينها
 فلولا انها وضعت « يضح » موضع « يحن » ، و« يحن » موضع « يضح »
 لتغيرت الصورة . ولكن شاعرة الليل قلما تحمل عباراتها اكثر مما
 تطيق ، ككل من يستمد الشعر من نفسه لا من مظاهر الوجود .
 ان اكثر الشعراء يستمدون غذاءهم مما حولهم ثم تمتلئ ذواتهم
 فيستحيل دماً نراه في البشرية ، بينما نرى الانسة نازك تستمد غذاءها
 الشعري كله من قلبها وروحها ، حتى حين تصف لنا مشهد الحصان
 الساقط « على ارض الشارع المبللة والسياط ترتفع ثم تهوي فلا
 تسقط الا على جرح » . فهي لم تصور من هذا المشهد الا ناحية
 تلامس عاطفتها وتتصل بها هي . ما رأت في هذا المشهد غير
 الصورة المنعكسة عن ذاتها . كان في امكانها ان تخلق رائعة بل
 لوحة فنية ، ثم لا تنسى نفسها ، ولكنها نسيت كل شيء من الصورة
 الا نفسها وآلامها هي .

أما في « العروض » فقد أحسنت الشاعرة في التفات من قيود
 القافية فكانت قصائدها ثنائيات ورباعيات الخ . حتى لا تجدد في
 ديوانها كله غير قصيدتين على قافية واحدة . وكذلك فعلت في

الاوزان فكان أكثرها من العبار الخفيف الملائم للتفجع ، إلا انك لا تحس ذلك التشابه حين تقرأ ، لأن الشاعرة المرفهة الاحساس تشغلك بما تصوره لك من محن تقاسي برحاءها ، فتتألم لألمها .

الصور قليلة في شعرها ولكنها عوضت عنها بما سلحت به من شعور أضرم نار ثورتها العاطفية التي لا نظير لها عند الشاعرات العربيات . وهذه الثورة الفكرية القلبية شغلتها عن العالم الخارجي ، فهي من ذاتها كشخص مائل في قاعة كسيت جدرانها مرايا ، فعينه تقع على ذاته كيفما التفت . وعندني أن كرهها الحياة ناشئ عن حبها لها . وإذا قرأت ديوانها من أوله إلى آخره ، حتى المترجم منه . رأيته يدور حول عاطفة واحدة بل تخال انك أمام « فكرة ثابتة » مكنت صاحبيتها من اشباع موضوعها .

لا تبالي الشاعرة باللون المحلي لأنها تدبج ألواناً عاطفية كما قلنا ، فلا النهر ولا النخيل ، ولا الزورق تستوعي انتباهها ، فهي لا تذكر النخيل الا لتكون في ظلها كما تقرأ :

ما الذي ساقك طيفاً حالمًا تحت النخيل
مسند الرأس الى الكفين في الظل الظليل
مغرقاً في الفكر والاحزان والصمت الطويل
ذاهلاً عن فتنة الظلمة في الحقل الجميل

ان الرسام الماهر يستطيع ان يخرج لوحة رائعة من هذه الابيات ، وهي اصدق صورة لشاعرتنا ، صورة فتاة ذاهلة مطرقة في ظل النخيل ، مشغولة بذاتها عن روعة ما حولها . لقد تخيلت هذه الصورة الرائعة وان لم ترسمها لي الشاعرة كما كنت أتمنى .

والآن قد حان أن نرى ما في هذا الوجه الفني الطريف من
نمش . تهمل نازك عبارتها أحياناً ، لأنها كلها بشعورها الجامع .
ولكن هناك وثبات رائعة أكاد أراها في كل قصيدة فتدلني على
موهبة وفن الشاعرة .

أما صحة التركيب فجيده ، وإن كان لي في ذلك ما يقال فهو
أن نازك قد أكثرت من استخدام «السنين» قافية . واتبعت فيها
أضعف الأقوال - أي اعرابها اعراب «حين» - وهذا ، وإن ورد ،
فهو مقصور على السماع ، كما علمنا ابن عقيل . فهذه اللفظة تجري
مجري جمع المذكر السالم ، وعلى هذا جرى القلم في العصور الأدبية .
لقد شعلتني «سنين» نازك حتى حرت أخيراً في تعليلها وهي
قافية هذا البيت :

عله سائل غداً ، عن أغانيك وما قد جرت عليك السنين
فاذا شاءت أن تجريها مجرى «حين» كان الأقواء . والا فهي
مضطرة أن تقول السنون ، فما هذه العداوة بينها وبين الواو والنون
حتى تؤثر اللحن على استعمالها ؟ ثم تجيز لنفسها ما لا يجوز في
هذا البيت :

أترى تذكرين مثلي أيام صبا ، وحلمنا المفقود
فالعطف على صبا هنا لا يجوز ، وإذا افترضنا «تكرار العامل»
ثار العقل وأبى علينا ذلك .

ثم هذا الاستعمال الضعيف في قولها :

طالما من أمواجك الباردات اتعت في الأماسي كاسي
فالكلمات المكفوفة - مثل طالما - لا يفصل بينها وبين اللفظة

التي كانت معمولاً لها لو لم تكفها (ما) عن العمل . وكذا لك تظل
الحال معها لو جعلنا ما مصدرية كما أرى ، وان خالفت اراء
شيوخنا النحاة .

وفي هذا البيت لم ادر لأي حكمة قالت :
تتشكى الذين مروا بدنيا ها فلم تدر ما عسى سيكون
كان يسهل القول : ما عساه يكون . فاستعمال حرف التنفيس
- السين - مع عسى مثل استعمال الهمزة مع هل حين يقول بعضهم
أهل ؟؟ وقد استعملت كثيراً كلمة « لوحده » و « لوحدي »
و « وحد » هذه لا تدخلها اللام . وقالت : حدثت في . وحدثت تعدى
بالى وليس بقي . اما قولها في هذا البيت :

وليسدل الستر المقدس حسبنا غما وياسا
فالرفع على الابتداء واجب هنا . ثم قولها :
واما جراح فؤادي الحزين فما زلن (يشكون) طول الصدر
اما هذا البيت فقد رأيت غير مستقيم الوزن :
آه وليمع لفظ الامس من سفر الوجود
اظنها : وليمع ، وقد قستها على اخت لها وردت في ديوان
الشاعرة .

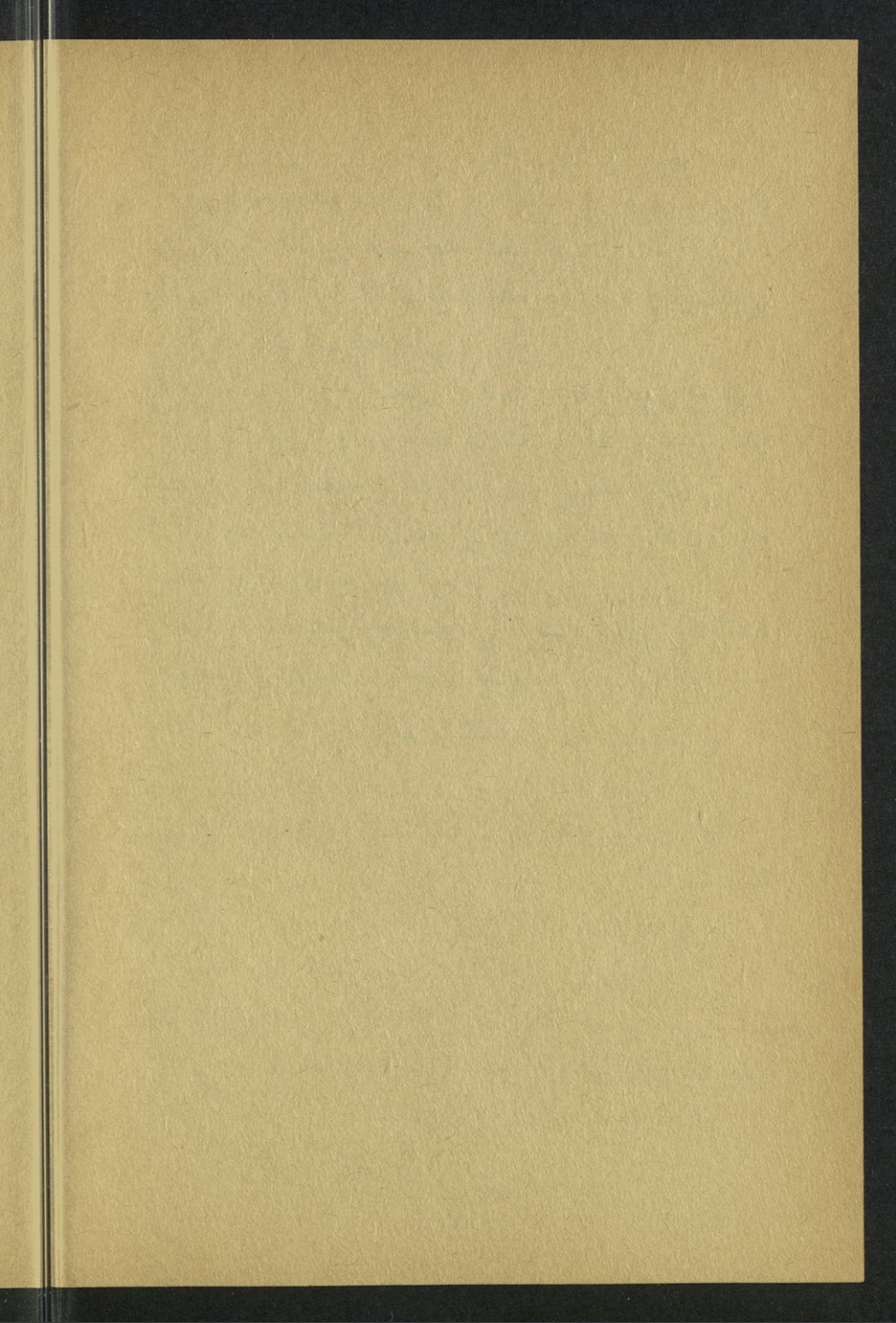
اما في هذا البيت :
ها انا بين فكي الموت قلبا لم يزل راعشاً بحب الحياة
فأشهد اني اتعبت فكي حتى استقام الوزن .. فليتها تدار كته
ولم تتعب قارئها بمداورته ، فالقراء اليوم مستعجلون .
ثم لا ادري ماذا ينقص هذا البيت :

«ولعل يا حارون»
ناقصاً من،

في دمي لحن من الشوق جديد والمجالي (من) حواري نشيد
فهو في حاجة الى «شدة» على ياء «المجالي» او الى «من».. والله
اعلم . وبعد ، فانا ممن يعجبهم هذا اللحن الجديد من الشوق ،
ولست اكلف الشعراء المنطق الذي اعدده حبر عثرة في درب الفن .
ثم هذا بيت آخر ينقصه شيء :

وغداً تنضب الدموع وتفتى ضجة الموت في عميق السكون
اظنها : عميق ، وقد رجعت الى تصحيح الخطأ فوجدت لفظة
مصححة في هذه الصفحة في حين انه لم يشر الى هذه الكلمة ..
اما لون الشاعرة الادبي فجبراني قلّ فيه التلوين الذي تتعمده
السلالة الجبرانية في مدرستنا الرمزية .

اما خلاصة الفقرة الحكيمة فهي ان الشاعرة نازك الملائكة ،
عاشقة الليل ، في طبيعة بنات جنسها الشاعرات - ذوات الدواوين -
في هذا الوقت ، ان لم تكن اولاهن .



مَاوراءَ النّهار

مدرسة رومنطيقية

ان للهجرة يداً بيضاء على لسان العرب دينياً وأديباً ، ولا
يعنينا الآن إلا الهجرة الأدبية . كانت الهجرة الأندلسية الأولى
فأبدعت الموشحات ، فمرت في جو الشعر العربي مجاري هواء
جديدة أنعشت من كانوا قد ملّوا الشعر المقال على غط واحد ،
فأقبلوا على ذلك الشعر الطريف يروونه وينشدونه ، ويخرجونه
انغاماً والحناناً ، ثم انطوى بساط الحياة الأندلسية فسكنت قيثاره
الشعر السارح ، وقبعت القرائح في كسريتها المربع الزوايا بعد
تلك الدارات ذات الحُرُجَات والشرفات ، المتنوعة الهندسة ،
المختلفة التصاميم .

اما ادب المهجر الحديث فليس ابن الهجرة الحاضرة وحدها ،
فقد كان قبل هذه الهجرة هجرات . هاجر الكثيرون قبل هؤلاء
وعملوا المستطاع . وان ننس الذين هاجروا في القرون الوسطى
وما بعدها فلا ننس مهاجري القرن التاسع عشر ، الذين انشأوا
المطابع العربية في العواصم العالمية ، ونشروا الكثير من آثارنا
القديمة التي كنا نسمع بها ولا نراها ، ثم احدثوا الصحف والمجلات

العربية في تلك الغربة فكانت مدارس متنتقة في جميع الاقطار .
ليس هنا مجال التدليل على جـذور تلك المدارس الاولى المتأصلة
في ادب المهجر ، ولكن كلمة جاءت في دستور « الرابطة القلمية »
وهي ان غاية هذه الرابطة : « بث روح جديدة نشيطة في جسم
الادب وانتشاله من وهدة الجمول والتقليد . »

اننا نقف عند هذه الكلمة لنعطي الحق صاحبه ، فاذا قال ذلك
مؤسسو الرابطة - جبران ونعيمه وغيرهما - فلا يعني هذا ان
« رابطتهم » هي خمرة ابن الفارض التي سكر بها من قبل ان يخلق
الكرم : فلا قبلها قبل ولا بعد بعدها ... فمنذ مئة سنة تقريباً
سمعنا احمد فارس يقول في فاريقه : « السجع' اللؤلؤف كالرجل من
خشب لماشي ، فينبغي لي ان لا أتوكل عليه في جميع طرق التعبير
لئلا تضيق بي مذاهبه . ومن احب ان يسمع الكلام مرشحاً
بالاستعارات ، محسناً بالكنايات فعلية بمقامات الحريري او بالنوابغ
للزخشي . » ثم شق طريق الجديد ومشى خلفه الناس . ومن قرأ
نقده في « الفاريق » ، و« كشف الخبايا » ادرك شأن هذا المفكر العظيم ،
فهو ابو « المقالة » وعلى آثاره مشى اديب اصحق ونجيب الحداد الى
آخر السلسلة . وقد سمعنا الامام محمد عبده ، في فجر القرن
العشرين ، يرد على بديع الزمان الهمداني في شرحه مقامته الجاحظية .
قال الهمداني : وهل للجاحظ غير عريان الكلام ؟ فصاح به الامام
محمد عبده : حنانيك يا أبا الفضل ، اننا نؤثر هذا الكلام ونفضله .
ويجيء بعد هؤلاء كتاب وشعراء اخص منهم بالذكر فرح انطون
وخليل مطران فكتبوا بأسلوب حي ، وتعبير لا خمول فيه

ولا تقليد .

لم يكن الشدياق واسحق والحداد وانطون والمطران والريحاني جماعة منظمة ، ولكنهم كانوا افراداً عملوا ما استطاعوا لانعاش ادبنا العربي . وفي عهد الشدياق انفتحت جبهتان ادبيتان يأتيك خبرهما المفصل في كتابي « صقر لبنان » . ولم نتطرق الى هذا الان إلا لنصف من سبقونا الى ما نسعى اليه ، فبدون الاشارة الى هذه الحلقة المحترمة من العاملين لا تستقيم سلسلتنا الادبية ، ولذلك نوهنا بهم اعترافاً بفضلهم وتنشيطاً للقافلة السائرة في الطريق بعدهم .

اما ان « الرابطة القلمية » هي اول مدرسة أدبية منظمة تنزع الى تكوين جماعة ذات طابع خاص في التفكير والتعبير فهذا حق لا جدال فيه . كان قطب هذه الدائرة جبران ، وهو الطائر المحكي فيها . وقد مثل فيها ميخائيل نعيمة دور الناقد ، اولا ، فكان لها كما كان سنت بيف ، Sainte — Beuve من المدرسة الرومنطيقية . الا ان بين الاثنين فرقاً كبيراً فسنت بيف ، على تعصبه للرومنطيقين ، أراد الحاق نسبهم بقدماء شعراء وكتاب الفرنسيين . اما الاستاذ نعيمة فحاول قطع الصرة ...

وكان في المدرسة الرومنطيقية الفرنسية عدة مصورين ، اما الرابطة القلمية فلم يكن فيها غير مصور واحد هو جبران ، زعيم تلك المدرسة . واذا عدنا الى التاريخ رأينا ان الاسباب التي خلقت الرومنطيقية الفرنسية هي التي خلقت الرابطة القلمية . فهناك الثورة الفرنسية ، وهنا الحرب العظمى الاولى ، اما قبل هذا فما

كنا نسمع غير صوت رومنتيقيين اثنين : الريحاني وجبران .
 واتجه الادب الاوربي ، بعد الحرب الكبرى الاولى ، اتجهاً
 جديداً . اما أدب المهجر الممثل في الرابطة فظل ينحو نحو ذلك
 الادب الاوربي الذي هجره اصحابه . وكما ظهر جفاف الكلاسيكيين
 تجاه الرومنتيقيين كذلك حصل عندنا ، فصادقت طريقة الريحاني
 وجبران مريدين ومشايعين ، ولا يزال لهما في كل قطر عربي من
 يقلدهما وينحو نحوهما ... وكما فرقت الثورة الفرنسية وحروب
 نابليون الشعب الفرنسي في أقطار الدنيا فتأثر بآدابها ، كذلك
 عملت الهجرة عندنا فاختلط أبناء الضاد بجميع شعوب الارض ، وتأثر
 ادبنا بآداب الامم كلها . وقد ترجمنا واخذنا من هنا وهناك كما ترجم
 الفرنسيون واخذوا من آداب الامم الاخرى . وكان التطور عندنا
 في المعاني اكثر منه في التعبير والطريقة لأن شعراء الاندلس سبقوا
 الجيل الحاضر الى فك قيود الشعر ، وعلموا اوربا ذلك منذ نصف
 والف سنة ، ولهذا كان أثر الرابطة القلمية بيناً في الاغراض
 والمعاني ، اكثر منه في الحطة والاسلوب اذا استثنينا الريحاني
 وجبران . اما الذين حاولوا نظم الشعر كل بيت على قافية ،
 فأخفقوا كما أخفق احمد فارس من قبلهم ، ولم ينظم الا اربعة
 ابيات على ذاك الطراز - اقرأ الفارياب - بيد انهم افلحوا فلاحاً
 كبيراً في الشعر المنشور الذي بدأ به الريحاني ثم بلغ به جبران
 اعلى ذراه .

بعد الفرنسيون بيرون الشاعر الانكليزي مؤثراً في شعرهم
 الرومنتيقي بحياته وآثاره ، اما العربية ففيها كثيرون من هذا

الطراز . وان وجد الغربيون في روسو مبغضاً للهيئة الاجتماعية
فعدنا المعري الحاقده عليها ...

لقد انسى ييرون أدباء الفرنسيين كل شيء ، حتى قال ميشليه
Michelet : لقد التهمت ييرون فكنت كمن شرب شراباً قوياً ،
وقال لامرتين : انه سكر بهذا الشعر . وقال الفرد دي موسه :
كأنه بعد مطالعة Manfred قد أنكر كل شيء في السماء والارض .
اما شاعرنا العربي الجديد فيرى هذه البضاعة مكدسة في مستودعات
القدماء ، وان لم تكن كبضاعة ييرون تماماً فهي تشبهها . ويعد
الرومنطقيون الغربيون شاعر الطليان دانتي مؤثراً بمدرستهم ،
أما نحن فنعد دانتي متأثراً بالمعري .

والفرنسيون يعدون الاسبان مؤثرين بادبهم بينما نرى المحققين
الغريين يعدون أدبنا مؤثراً بالادب الاسباني . والفرنسيون انفسهم
يقرون بان ادبنا الشرقي أثر في أدبهم الرومنطقي ، ليس من حيث
بنيانه فقط ، بل انه قدم له أزهى صور الوصف . وضربوا مثلاً على
هذا كاتبهم الأشهر شاتوبريان في رحلته من باريس الى القدس ،
وشاعرهم العظيم هينغو في مشرقياته ، وكاتبهم وشاعرهم لامرتين
برحلته الى الشرق .

وكما كان هدف الرومنطقيين في الغرب ان يعارضوا الكلاسيكيين
وخصوصاً فولتير ، كذلك كانت الثورة عندنا على اغراض الجاهليين
وغيرهم من القدماء . وعلى تعابيرهم واساليبهم البيانية وصورهم .
وكما جعل الرومنطقيون الخيال والشعور دعامة نثرهم وشعرهم ،
كذلك عمل ادباء المهجر فأحبوا الطبيعة كما أحبها اولئك ، وحنوا

مثلهم الى الاوطان ذاك الحنين الذي سماه الناقد « تين » مرض العصر ، الا ان اصحابنا - ادباء المهجر - مالوا ككل شرقي الى الاستنتاج أو استخراج الحكمة - كلاستاذ نعيمه في قصيدة « النهر المتجمد » ، وأبو ماضي في « طلائمه » وكثير من قصائده ، والريحاني في وصفه وادي الفريكة ، وشعره المنشور ، وجبران في معظم مقالاته . ان طلائع نهضتنا وخصوصاً جبران والريحاني ميالون الى التصوف والتأله . وقد سار خلفهم نعيمه وأبو ماضي ونسيب عريضة . فبدلاً من ان يحببوا الناس بالحياة فانهم يزدرونها ، يصفونها بتعابير تحتفي تحت حلاوتها وطلاوتها مرارة وخيبة . وكلما أحب لامرتين وشاتوبريان الانشاء الزاهي الأنيق كذلك فعلت مدرسة المهجر ، واكثرهم يعتمد على قول موسى : اضرب القلب فهنا النبوغ ، وأشد الاغاني بأساً هي الاجمل . وكان أول من أسمعننا هذه الاناشيد الصوفية شعراً منشوراً ، الريحاني فجبران .

أما الاغراض الرئيسية عند مدرسة المهجر فاكثرها يتصل بالمشاكل الدينية ، ويمنح إلى احياء مذاهب هرمة شائخة ، قوامها وحدة الوجود ، فقعدوا يجتزون ما عند القائلين بها من آراء ، وينظفون الاكفان الصوفية ويكوونها . فالدودة أخت لنا ، والغراب ابن عمنا ، والطيور والحيوانات شريكة لنا في الرزق . أما عملياً فنصلي الوروار ناراً حامية اذا حام على خلية نحلنا ... ونقتل البقرة والعنزة والحمار اذا اغتالت ورقة من اغصان جنينتنا ! ان الفلسفة التي لا يعمل بها صاحبها ، قبل غيره ، لا تعيش . وهكذا شدوا اواصر القربى بينهم وبين مخلوقات كثيرة . وقد كان للحياة

والموت ، وما وراء القبر والزواج الحظ الوافر من اقلامهم . اما
الحصة الكبرى فكانت لرجال الدين . كانت الثورة عليهم في كل
مكان ، وعلى اسلوب واحد ، يكيلون لهم القدح بالمد حتى جعلوهم
مصدر شقاء البشر . ثم ثاروا على كل سلطة تقريباً كما فعل قبلهم
الرومنطيقون الفرنسيون . وتكونت عندهم كأولئك آراء غريبة
في الكاتب والشاعر فعدوا الكتابة وحياً يوحى ، وخال بعضهم
انه لا يقنى . ثم قامت في مخيلاتهم اوهام الصوفية العتيقة حتى سمعنا
احدهم - نسيب عريضة - يقول : قد بدأنا نشاهد ... ماذا بدأ
يشاهد ؟ لست ادري !. اذا قال ابو ماضي : « لست ادري » فهذا
كلام مقبول . اما ان نسيب عريضة قد بدأ يشاهد فهذا لا يخرط
عقلي .. كان أمر الشؤون الدينية مفروغاً منه في اوربا فتحول
الاصلاح الذي ينشده كتابهم الى بعض الأنظمة المدنية التي لم تكن
مستقرة ، اما عندنا فكان الشأن غير ذلك ، ولهذا اتجه كتابنا الى
الاصلاح الديني ومحاربة التقاليد الشائخة ، كما ترى عند فرح انطون
والريحاني وجبران ونعيمه وابو ماضي ومطران في قصيدة الزواج .
وقد شارك في هذا الكتّاب المسلمون بعض المشاركة لان
الحال عندهم غيرها في المسيحية ، فكل ما ناهضه هؤلاء كان لا شأن
له كطلب المنفلوطي أن يتأني الناس في الطلاق . اما ولي الدين
فثار ثورة الكتّاب المسيحيين الشاملة حتى على الصلاة والصوم .

إن في اقايص و قصص جبران ثورة على كل شيء حتى على
الحياة نفسها ، ولولا القليل بنى العالم من جديد ... واعتقد جبران
كما اعتقد هيفو شاعر الرومنطيقية الفرنسية : ان الكتّاب قادة

الانسانية فالكاتب اكبر من المرزبان ، وعليه ان يحمل مشعله في يده حتى الموت ، واخيراً تضخمت هذه الفكرة في رأس جبران فخال انه فرخ نبي... اما افاصيص نعيمه - في المهجر - وخيرها «العاقور» فليس فيها ما في قصص جبران من ثورة اجتماعية جاحجة . وكانت نهضة الرواية والقصة مسرح نهضة الثورة الاجتماعية الاوربية ، اما عندنا فظلنا نعتمد على المقالة والقصيدة حتى كتب فرح انطون وجبران القصة ، وتناول نعيمه على المسرح فاقتبس رواية «الاباء والبنون» عن احد كتاب الروسية . وفي هذه الافاصيص الجبرانية وما نسج فيما بعد على منوالها لا تمثل اللفظة القصد كله ، فادباؤنا اليوم فريقان: فريق قليل الحظ من الآداب الاجنبية ، متمكن من الآداب العربية ولغة الضاد ، والعكس بالعكس .

وكما انفرط عقد الرومنطيقين في فرنسا فراحوا في سبل مختلفة ، كذلك اصاب مدرسة جبران - الرابطة القلمية - فانها أعطت فرصة ... فنعيمه استغل للمومسات - أي الدولارات - كما سماها هو . والريحاني ، وهو لم يخطر في سلك الرهبانية ، تحول إلى كاتب نضال ، يدعو العرب إلى الاتحاد ، ويمتدح الشرق على النهوض والاقبال على الوسائل الحديثة في ميدان الفلاح والكفاح . كما انصرف جبران إلى اللسان الانكليزي يكتب به دون غيره . ولم يعد يتصاعد في ذلك الافق الجميل غير بعض اغان لأفراد تلك المدرسة . أما الرف الذي كان يغتني مجتمعاً قتيلاً ، ولكن سرباً آخر تجتمع في اميركا الاخرى ...

جبران

جبران خليل جبران زعيم ادب المهجر بلا منازع ، وقد نما
نحوه مخائيل نعيمة ولكنه لم يبلغ الامد الذي استولى عليه جبران .
تخيل نعيمة ولكنه لم يشتط ولم يغرب وظل قريباً من الواقع .
مر جبران في أطوار ثلاثة . كان في طوره الاول ، في « دمعة
وابتسامة » ، اديب مقالات ، ومن ^{يفهم} النظر ^{يرى} في اسلوبها عناصر
خفية مكتسبة من الشدياق واسحق وحداد ، ولكنها انيقة فاعمة
غير مشددة كاساليب اولئك . فيها نسمة بليلة ، وروح شرقية
صوفية كأنها من شعراء التوراة ، بيد انها تختلف عن اولئك جميعاً
بخيال صاحبها العجيب . فجبران مصور في تعبيره اكثر منه كاتباً ،
فكأنما يكتب بريشة المصور لا بقلم الكاتب .

زر كشة ، وتدبيج وتنسيق تذكريك قوس قزح . يبدع تعبيره
صورة لا ينقصها الا الالوان ، وصوره كلها مستمدة من الفجر والظلام
والنور . فيها الاشعة والظلال كمحيط شمالي لبنان الذي ربي جبران
بين اوديته وجباله وتلاله . اما التعبير الجبراني ففيه شيء كثير من
ثرثرة ينابيع تلك المنطقة المثلثة جمالا ورهبة . فلا تروح الى صورة

من صورہ الانشائية وتكاد تہيم بها ، حتى تقشعر اذ تتمثل لك صورة
تليها . تلك هي طبيعة المكان التي عملت عملها في جبران صيداً وفقى ،
انه عمل المحيط والمربى . اقرأ جبران في كل ما كتب ، من دمعة
وابتسامة الى الاجنحة المتكسرة ، الى النبي فيسوع ابن الانسان ،
والآلهة الارض تر ان الشاعر او الكاتب جبران - سمه ما شئت -
لا يستعير صورة ولا موضوعاً من مہجره ، فكأنه يكتب في محيط
شرقي ، وكأن أذنيه مسدودتان لا تسمعان ضجيج الدواليب وزئير
صواريخ المعامل والبواخر . وهو في أروع ما كتب باللغة
الانكليزية لا يتعدى هذه الحدود ، فالليل والنائي ، والوادي
والنهر ، والبحر والثلج والضباب مواد منتوجاته الاولى . يذكر
البيدر والكروم ونواح المعصرة فكأن جرن المعصرة كان سريره ،
والضباب اقمطته والبيدر ملعب صوته . وهنا يعمل فيه شيئان :
لبنان والتوراة .

انشاء لدن مرن ناعم ، تعابير مملوءة الواناً وموسيقى ، تنعشها
نفس صوفية كانت المثال الاعلى لآخوان الرابطة القلمية . فعملوا
جميعاً على هذا الاسلوب الناعم الطري الممزوج بالروح الصوفية
وتفلسفوا كلهم في شعرهم ونثرهم .

ان جبران كاتب مقل مجود متعمل ، ولكن صقله الدائم لعبارة
اخفى تعمله فكاد ان يكون انشاؤه طبيعياً لا تحس أثر الصنعة فيه .
اما الطور الجبراني الثاني ، وهو طور الاقصوة والقصة ، فلا
ينحرف فيه جبران عن اسلوب « دمعة وابتسامة » الا قليلا . يتجه
اتجهاً ملموساً صوب الواقع لان القص والحوار يحولان دون

التحليق الكلي في سماء الخيال . وقصص جبران جميعها بل أدب جبران كله قوامه الحب . فحب اللحم والعظم هو القطب الجبراني وعليه تدور رحاه الطاحنة ... وما اغراقه في الصوفية الارجاء الخلود في حضان المادة ، والتنقل من حال الى حال ليظل يتمتع بمباهج الحياة وملذاتها . الحب الانساني المادي هو أنشودة جبران وهو غرضه في جميع اقاصيصه . ففي قصته الاجنحة المنكسرة غنى الحب المقهور أعذب ألحان سمعها الادب العربي .

كان حب جبران حباً خاصاً ضيقاً في «سلمى كرامه»، و«وردة الهاني»، و«مرتا البانية»، و«صراخ القبور»، ثم صار حباً عاماً مطلقاً في «النبي»، و«يسوع ابن الانسان»، ولكنه ظل حباً لهما عظيماً، فالشوق عند جبران غذاء روحي تحيا به الحياة نفسها، ولولاه لم يكن شيء مما كان . فكأنه قد استمد هذا الشوق من اساطير الفينيقيين الاولين . فهو يتصور الضباب كما تصوره ، ويعتقد بتكته العتيد وصورته في الغد القريب كياناً سوياً .. كما يعتقد الفلكيون بتطور النجوم السديمية . وهذا المعتقد الفينيقي الاصل جرّ جبران إلى الاعتقاد بالتقمص فبدأه في فجر حياته الادبية حين ظهرت اولى مجموعات اقاصيصه «عرائس المروج» . ففي إحدى قصص هذه المجموعة وعنوانها - رماد الاجيال - يختار لها بعلمك محيطاً يظهر بطلها «علي» قرب القلعة المشهورة ويلتقي بحبيبته التي عرفها وعشقها منذ آلاف السنين . ان هذه الفكرة التي هام بها جبران طول حياته لم تفارقه قط، وبها ختم كتابه «النبي» إذ قال: «وقرباً تروني لأن امرأة اخرى ستليني».

أما الطور الجبراني الثالث فهو طور الفلسفة ، عبّر فيه عن افكاره باللسان الانكليزي ، واراد ان ينقل إلى اميركا العملية صوفية الشرق ، فكتب لهم بلسانهم « المجنون » و « السابق » و « النبي » و « يسوع ابن الانسان » ، و « آلهة الارض » ، وفي هذا الكتاب الاخير غرق جبران في الرمزية إلى ما فوق اذنيه . و كأنني به ، إذ عنوان كتابه « السابق » ، ذو غرض بعيد ، اظنه يعني به أحد الأنبياء وهو الذي يسمونه في النصرانية يوحنا السابق ، لانه سبق السيد المسيح مبشراً به ، وهكذا يجعل جبران كتابه هذا « سابقاً » لكتابه « النبي » . أما كتابه « النبي » الذي زعموا انه يشبه كتاب نيتشه فهو بخلاف ذلك . ففيلسوف المانيا أنشأ النازية ، اما جبران فلم ينشئ شيئاً ، بنى كتابه على المحبة ، والمحبة اساس ادياننا . ان لولب كتاب فيلسوف الانسان يدور حول البغض فكان من نتائجه ما كان ...

أما نزعة جبران إلى « التأميم » فغلبت عليه في طوره الاخير ، فهو مثل نيتشه يريد ان يتشع في برد النبي مهما كلفه الامر . ولكن فكرته هذه لم تؤد به الى مستشفى المجاذيب كما ادت بنيتشه . كان جبران يتحدث عن الروح وتعاليمها وهو غارق في جسده ، يتحدث عن الحب الأسمى ، ولا يعني إلا الحب الانساني ، وهذا ما يحلمني على التأكيد ان الرجل وثني المعتقد ، وان كتب عن يسوع ما كتب ، فيفيقي عتيق يرى في مسيحه شخصية ادونيس ، بعد اجيال ، كما نقرأ في « يسوع ابن الانسان » . ومع هذا اخالني متأكداً ان « الحب » لم يسمع صوتاً ألدّ واعمق من صوت جبران ، ليس في

الادب العربي فقط بل في الادب العالمي ، والغريب العجيب هو ان ما يكتبه جبران في هذا الموضوع آية في النعومة على ما فيه من ثورة هدامة .

اما اثر جبران في الرابطة القلمية وما بعدها فلا يزال ملموساً ، فكل اعضائها اقتربوا من طريقته في التفكير والتعبير . فمقالة جبران « حفار القبور » ، وقصيدة الاستاذ نعيمه « اخي إن ضج ... » كأنهما من مقلع واحد ، وان اختلفتا شكلاً . أما معتقد الخلود فواحد عندهم جميعاً . هذا ابو ماضي الذي أعده صلة بين القديم والجديد يفلسف كاصحابنا جميعاً . يتحدثنا عن جهله كيف جاء الى هذا الكون ، فذكرني بقول الريحاني ، حين شبه وجوده في هذه الدنيا وجهله له بجرذ وجد في قبر عتيق ... فهو يعيش فيه ولا يعرف من بناه ، ولا متى شيد ، ولا يوم تهدمه !!

تحيل جبران في كتابه « النبي » مدينة أبحر اليها وقد جعل اسمها « اورفليس » على وزن اورشليم ، فالتقاء ناسها واخذوا يطرحون عليه امثلتهم طالبين منه حل مشاكلكم الاجتماعية . فحلها لهم حلاً شريعياً ، مفتاحه المحبة والسلام . ومثل جبران فعل الاستاذ نعيمه ، حين عاد الينا ، فركز هنا وعلم هناك متصلاً بالناس مباشرة يراهم ويرويه ، يكلمهم ويسمعونه ... ثم جمعت تلك الخطب في كتاب « زاد المعاد » . الخبز والادام واحد في « النبي » و « زاد المعاد » . أما اختلافهما ، في بعد مدى التأثير والسيورة ، فذلك ناشيء عن ان الاستاذ ميخائيل يحدث افاًساً غير غرباء عن اورشليم فما نفقت بضاعته عندهم كما نفقت بضاعة جبران عند

الامير كيين ، الذين ينفق عندهم كل شيء .

أما الاسلوب الذي اعتمدته هذه المدرسة فيلخصه جبران بقوله :

« يكتب بعضنا لمن ماتوا ولا يدري ان قراءه في المقابر . ويكتب

بعضنا لارضاء معاصريه حاسباً ان في ذلك العظمة والخلود فيخطيء .

المرمى . ويكتب بعضنا لانه ان لم يكتب يموت وهذا من الخالدين »

أما رأيه في شعراء المهجر فقد قال : « لو تنبأ المتنبي وافترض

الفارض ، ان ما كتباه سيمصح مورداً لأفكار عقيمة ، ومقوداً

لرؤوس مشاعير يومنا لأهراقاً المحابر في محاجر النسيان وحطماً

الافلام بأيدي الإهمال .

ان عصرنا هذا قد كثرت فيه قلقلة الحديد وضجيج المعامل

فجاء شعرنأ ثقيلاً ضخماً كالقطارات ، ومزعجاً كصفير البخار . »

وهنا يحظر ببالنا جبران الشاعر « نظماً » فهل وفق يا ترى

إلى الشعر الذي يريد ؟

لا . ان جبران شاعر في مشوره لا في منظومه . أراد ان

يفلسف نظماً فقال أشياء هي أفكار أكثر منها موسيقى .

كانوا في الاندلس يتخطون من الطب إلى الفلسفة ، وفي

« اندلسنا الجديدة » ، كما سماها بعضهم ، يتخطون من الادب إلى

الفلسفة ، وهذا ما وقع لجبران ونعيمه .

وبعد ، فقد يسمي أسلوب جبران كأسلوب ابن العميد ، ولكنه

كيفما دارت به الحال يظل أسلوباً مبعثاً ، ويظل صاحبه زعيم

مدرسة يبقى الكثير من عناصرها في الذرية ، تتمشى فيها تمشي

الوراثة في الناس . وما هذه الالوان والمجازات والاسنادات

والاغراق في تعبئة الجملة إلا مظهر من مظاهر الادب الجبراني
تحوّل وتطور كما تراه في شعر الشباب الحديث ونثرهم .
واذا ماتت «دمعة وابتسامة» واخواتها فلا تموت كلمات جبران .
وانني لأراها تنبعث يوماً بعد يوم من مراقدها لاننا نجد في تأليفه
ما يعزينا في محنتنا ، وما يدفعنا الى العمل بنصائح له نصيب الاهداف
التي تنصبها الاحوال الراهنة أمام أعيننا .
فزعم أدب المهجر شخصية لها مميزاتها القوية ، وعناصرها
المتمردة . فهو شرقي عربي ، لم يكتب لمغرب الشرق بل كتب
ليمشرق الغرب ويكون له رسولا ... والشخص الفذ هو الذي
يحفظ بلونه لانه في غنى عن الالوان التي يكتسبها من محيط غريب .
ان النوابع يفرضون أنفسهم على الناس . والمجنون هو من
يحاول طمسهم ... انه كمن يبصق في وجه الهواء القالع .

المدرسة الجنوبية

أقفلت مدرسة اميركا الشمالية ابوابها ، وتفرق السرب ، فهذا
الريحاني يغني على ليلي جديدة ، ينفخ في بوق القومية العربية داعياً
أحفاد يعرب الى الاتحاد ، بعد أن اضطجع على صفة ربة الوادي في
الفريكة صارخاً مستطبا : داويني ربة الوادي ، داويني . وهذا
جبران قد امسى يكتب بلسان الدولار والشلين . وهذا ميخائيل
نعيمه يعود الى لبنان ، بعد موت جبران ، ويحتلي في بسكنتا
والشخروب ليكتب « المراحل » ثم كتاب « جبران خليل جبران »
النقيس ، كتبه ليبدد غيوماً تكاثفت حول جبران ... خاف ان
يحتنق صديقه الحميم وراء غيوم النبوة الكثيفة فشق ثوبه عن صدره
ليمكنه من تنشق الهواء النقي ... ثم خال ان ذلك غير واف
بالمرام فبدأ منذ حمل به في البطن ، وأخيراً ، كشف عن عورته ..
فتم الكتاب ... وفي كتابه هذا « جبران » يؤرخ لنا ميخائيل
انشاء « الرابطة القلمية » واضعاً النقاط على الحروف . اما ايليا
ابو ماضي شاعر المهجر الكبير فاحترف الصحافة واول من قول
الشعر . اما الآخرون وهم « العمال » كما يسميهم قانون الرابطة

فكادوا ان يصمتوا .

عاد الينا الاستاذ نعيمه خارجاً من معترك عملية نيويرك مثل
الشجرة من العجين ، فاسمع كيف يخاطب ابناء بلده :

يا ابناء بسكنتا ، يا لمي ودمي . ما انا بالنبي يضع العجائب ،
غير اني مذعدت اليكم والعجائب تكتنفي ، فكأني في عالم مسحور .
انظر الى الجبال التي كنت اتسلقها فاذا بها تتسلفني .!! أكاد لا
اسمع زقزقة عصفور الا سمعت فيها اجواقاً من الملائكة ، ترم
بصوت واحد : قدوس ، قدوس ، قدوس . ما ابعد السلام الخيم
في جبالكم عن الجلبة المعسكرة في مدينة كمدينة نيويرك ، وتلك
الجلبة هي تطاحن المطاعم والاهواء البشرية في سبيل الريال . وليس
اضل ممن يعتقد ان بإمكانه التوفيق بين ريال نيويرك وسلام صنين .
فريال نيويرك نقاب كثيف يحجب وجه الله ، وصنين عرش من
طهارة يبدو عليه وجه الله سافراً . من اختار منكم ريال المهجر وكل
ما في قلبه من جلبة لا تسكتن ، فليطلق سلام صنين !

تقولون لي : وهل نأكل سلام صنين اذا عضنا الجوع ، او
نلتحف به اذا قرصنا البرد ؟

وانا اقول لكم : بلى والى بلى . فالجمال الذي تنتره يد الله
حواليكم بسخاء هو الطعام والكساء والمأوى لكل ما هو ازلي
وأبدي فيكم . « ولكن أأكل نعيمه من التفاح والدراقن والحوخ ،
أم أكل من سلام صنين ؟

ثم يعلن في مقام آخر : انه حطم جميع ابواق الناس التي تعلم
النفخ ليستعيض عنها ببوق واحد ، هو البوق الذي يجد به الحياة

الكاملة ، والحياة الكاملة التي يعينها نجد عناصرها في خطبه « زاد المعاد » ، وهي تصلح دستوراً للحياة المثلى ، ولكن هل استطاع صاحبها ان يجب ويجود ويضحى كما قال ؟ هل يعمل بما عّلم ويعلم ؟ قال فيه صاحبه امين الريحاني ، في كتابه « قلب لبنان » :

« وفي هذه الصرود كوخ في صخر اسمه الشخروب ، بقي طوال الدهر نكرة مثل المزارعين والرعاة الذين كانوا يأوون اليه . بقي نكرة الى ان شع فيه نور الفكر والأدب ، اتخذه محائيل نعيمة « مقاماً » يطبخ فيه طبخات صوفية ، ويعمل التوابل والحوامض الادبية ، ويوزعها في الكتب والمقالات على الناس لوجه الله تعالى ... »

هنيئاً للنساک الاقدمين اجدادنا المتعبدين ، المتصوفين ، هنيئاً لميخائيل ، فقد عاد اليهم في القرن العشرين عن طريق اميركا الى صنين ، واندمج في سلكهم الطاهر .

وهكذا تقلص ظل « الرابطة القلمية » تلك المدرسة الادبية التي ارتقى على يدها النثر العربي الى ذروة فنية مرموقة . كانت كما تدلنا اقوال زعمائها وعمالها ، مدرسة عامة لا نزعة خاصة لها ، تكاد تكون أممية ، بل قل شرقية شاملة . كان فيها شعراء ولكنهم ليسوا من الشعراء الكبار — اذا استثنينا أبا ماضي — كلهم قالوا شعراً منظوماً : من جبران الى نعيمة ، الى كل عضو من اعضاء الرابطة ولكن منشورهم فوق منظومهم .

أما المدرسة التي فتحت ابوابها في البرازيل — العصبة الاندلسية — فقد لا تكون كالرابطة القلمية تنظيماً وجهاً ، وقد لا يكون لها

دستور كتلك ، وان كان لها مجلتان راقيتان لم يكن للرابطة القلمية مثلها . وهاتان المجلتان ما زالتا تصدران الى الان ، وهما «العصبة الاندلسية» و«الاندلس الجديدة» . من عنوان هاتين المجلتين تعلم ان الشعر غالب على هذه المدرسة . فالمهجر البرازيلي لم يتحفنا بغير دواوين شعر مختلفة الالوان والنوعات ، ينحو اكثر شعرائها نحو شعراء «الرابطة القلمية» في الاغراض الوجدانية ، وينفردون دونهم بالشعر الوطني القومي . وهذا الضرب لم يعالجه شعراء اميركا الشمالية .

كان المهاجرون البرازيليون قليلي العناية بالادب . لا يعني صحفهم الاولى الا السياسة والاخبار ، وظلوا على ذلك حتى وصلت هذه القافلة المتأدبة الى البرازيل ، فوجدت فيها مرتعاً خصباً لعبقريتها ، وجدت جالية متعصبة لجنسها وقوميتها ، وشعباً برازيليّاً يحترم العروبة ويحلمها ، ويذكر ما لها على أمته في سالف الزمن من يد . فانتقدت جذوة الادب في صدورهم ، والادب كالتيجارة ينمو بالاخذ والعطاء .

ان شعراء اميركا الجنوبية او اللاتينية كثيرون ، من مشاهيرهم رشيد سليم الخوري - الشاعر القروي - والياس فرحات ، وشكر الله الجر واخوه عقل ، ونعمه قازان ، وفوزي المعلوف ، واخوه شفيق .

قال فوزي في بساط الريح شعراً أندلسياً حقاً لولا ما فيه من غلو واغراق ، تتجاوب الاصداء النفسية في منعرجاته ومنحنياته ، ولكنها تلهث تعباً . وهذه النشيدة الانيقة - بساط الريح -

أحلت شاعرها فوزي المعلوف منزلة عالية . أما قصائده التي قالها في
مواضيع متشعبة فليست من وزنها وبابتها . جرب فوزي أولاً في
قصيدة عنوانها « الفردوس المستعاد » فلم يقل غير الدون من الشعر ،
واليك منه هذا النموذج الصغير :

فانحنى آدم لرب الانام	ثم خيراً
ساجداً قائلاً بكل احتوام	رب شكراً
قال ايضاً لزوج حواء	بابتسام
كفكفي الدمع ابشري بالصفاء	والسلام
لم يعد موجب لماضي البكاء	والميلام
استعدنا الفردوس بالابناء	بالهيام

أرأيت « خراً » و « بكل احتوام » و « قال ايضاً » و « لم
يعد موجب » ما أبعدھا عن الشعر ؟ فهذا شعر لا شعر فيه ، ولا
يحسن صاحبه غير التفعيل ، ويخفى عليك حتى تظن انه ليس لصاحب
« بساط الريح » . حقاً ان الشاعرية قريبة وطبع ، اما اجادة السبك
فمراثة .

واذا قابلنا بين فردوس المستعاد وبين « أوتار » اخيه رياض
المتقطعة نكاد نجزم ان رياضاً سيكون بديلاً كاملاً ، لان
الفرق بين « الفردوس المستعاد » و « الاوتار المتقطعة » بعيد جداً .
اما شقيق ، وهو من شعراء هذه العصابة ، فقد ركب متن
طائرة ، مثل شقيقه فوزي فحملته الى عبقر ، فضاف وخوف ،
وعاد من ذلك الوادي المسحور لا يحمل شيئاً لان الحال في عبقر كما
هي في ممالك ودول اليوم : ممنوع التصدير الا عن طريق المفاوضة .

وشقيق لم يكن معه شيء ليقايض ويعود غانماً ...

وهؤلاء الاخوة ثلاثتهم فوزي وشقيق ورياض محشو شعرهم
تشاؤماً، ونصيحتي لرياض ان يعدّي عن تشاؤمه اوفليكن صاحب
الكوخ الاسود لا الأخضر، فالأخضرار والتشاؤم كالصيف والشتاء
على سطح واحد .

اما شعراء اميركا اللاتينية الباقون ففي شعرهم طلاوة الشعر
الاندلسي ، بل يفوقه جرساً وشدة اسر . فاذا قرأت روائع شكر
الله الجر وفرحات والشاعر القروي رأيت ان هؤلاء أخذوا من
شعر الاندلس طلاوته دون ميوعته فقالوا شعراً طيباً .

اما نعمة قازان صاحب معلقة الارز فقد جمع فيها خواص
الشعر الاندلسي ، بل قل أطواره كلها ، من الموشحات الرصينة
حتى القوما والدوبيت ، يبتدئها بالميجانا والعتابا ، ويختمها بالزجل ،
وهذا البدء واختم من الشعر الرائع . اما شعر المعلقة فغامرة
جريئة لا أدري ما يكون شأنها في الادب . ولست أدرسها الآن
فموعدها ، مع شعراء المهجر جميعاً ، في الكتاب الذي يلي هذا .
ان في هذه القصيدة مرامي بعيدة تستدعي التفكير ، والآن لا نقول
فيها الا كلمة عارضة جرننا اليها موضوعنا . فالظاهرة الغريبة ، في
هذه القصيدة ، منبثقة بما قلنا سابقاً ، أي ان اندلسينا الجدد
يتخطون من الشعر الى الفلسفة : فتعمة قازان خلق لنا ثالوثاً جديداً ،
وكاد ان يوجب علينا تقديسه ، وهذا الثالوث يتألف من ثلاثة :
جبران وهو فجر ، وميخائيل نعيمة فجر في فجر ، والشعاع نعمة
قازان ، رحم الله عظام مار توما فكم تعب حتى يحل عقدة المسيحية

التي لم تفك ، وها هو الشاعر نعمة قازان يفكها على الهيئة ! فجبران
الآب ، ونعمة الابن ، ونعمة الروح القدس ، ومن لا يؤمن يُدان ،
وطوبى للنقية قلوبهم فانهم يعاينون الله ... اما من هم مثلنا فما
ابعدهم عن مشاهدة « صندوق الفرجة » ...

ففي نظر قازان أن جبران لم يقل كلمته ، ونعمة الذي سماه
قازان « فجر في فجر » — على طراز ما جاء في « قانون الايمان » :
نور من نور ، اله حق من اله حق — قد قال بعضها . عثر نعمة
قازان على هذا الفجر في فجر ، او النور من نور ، في الهيكل
العجيب حين دخله هو . ويؤكد لنا انه لم يجد فيه أحداً غيره ...
ولذلك يخاطب نعمة قازان الناس جميعاً في بدء كل مقطع من معلقة
الارض بهذا البيت :

وقفتم ببابي ولم تدخلوا فماذا تريدون يا اخوتي
سلامتك يا أخي ... الا انه ، على نبه وكرمه ، اشاح بنظره
عنا ، وطار كألياء ، وبوفّة عين بلغ السدرة ...
لم يقاس شيئاً بما قاساه شقيق معلوف في رحلته تلك ، بل قفز
قفزة عريضة فاذا به حد الله جلّ جلاله :

وحلقت حتى دنوت اليه فقلت « السلام على العزّة »
وقطع الكلام خاتماً معلقته بهذا البيت ، ثم لم يقل لنا شيئاً عن
الرد على هذه التحية ، أمثلها كان أم أحسن منها . وهذا الشاعر
الذي بلغ ما لم يبلغه أحد من بني آدم حتى الرسل والانبياء ،
يتواضع ويقول :

وليس كبير سوى نعمة وليس صغير سوى نعمة

فيكم الخير والبركة ، كلاكما كبير يا أخي نعمة ... نجانا الله
وإياكم من هذه الوسواس !

*

وها نحن نبحر أو نظير من الامير كيتين عائدين الى لبنان ،
ونستريح قليلاً للاستجمام ، مرجئين نقد وتحليل المدرسة الشعرية
الحديثة مبتدئين بزعيمها سعيد عقل والجائلين معه في المعمة ،
وسوف لا نهمل احداً حتى المقلدين الحاسرين .

ثم غرّ عجالى على المدرسة النثرية الجديدة لانها مشتقة من تلك .
ان هذه الطريقة في النثر قد شغلت عقول الناشئين واذهانهم حتى
كادوا ان يفسدوا صورها وتعابيرها . والاغرب من هذا ان ينزع
اليها بعض المشايخ ويوغلوا في غاباتها غير خائفين على عماهم
واردانهم واذيانهم .

ان هذا كله ستراه ايها القارئ ، في كتابنا الجديد :

دمقس وارجوان

فهرست الاعلام

ابراهيم (النبي)	١٥٥	ابو شبكة ، الياس	٩٦ — ١١٥ ،
ابراهيم ، حافظ	٦٨		١٢٦ ، ١٢٥
ابن	١٩١	ابو العتاهية	٣٥ ، ١٤٤
ابن الاثير ٨ ، ٩ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٩		ابو ماضي ، ايليا ٤٥ ، ٤٦ ، ٢٠٥ ،	
ابن بطوطة	٧٢ ، ٥٩		٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ،
ابن الخطيب ، لسان الدين	٢٤	ابو نواس ٢٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٥٤ ،	
ابن الرومي ٨ ، ٢٤ ، ٣٥ ، ٤٢ ،			٩٠ ، ٩٩ ، ١٠٧ ، ١١٢ ،
	٤٣ ، ٦٥ ، ١١٠ ، ١٦٧ ،		١٧٥
	١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٩٢ ،	الاختل	٢٨ ، ٣٠ ، ٤٢ ، ٨٤ ،
ابن سينا	١٠	الاخفش	٢٤
ابن سيرين	٨٥	ادريس ، سهيل	١٥١
ابن عقيل	١٨٢ ، ١٩٥ ،	ادونيس	١٤٣ ، ٢١١
ابن العميد	٢١٣	اديسون	٩
ابن الفارض	٢٩ ، ٤٠ ، ٨٠ ،	ارميا (النبي)	٧٣
	٢٠١ ، ٢١٣ ،	اسرائيل	١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ،
ابن المعتز	٦٥	اسحق ، اديب	٢٠٢ ، ٢٠٨ ،
ابو تمام ٨ ، ٦٤ ، ١٤٨ ، ١٦٤ ،		اشعيا (النبي)	٧٣
	١٧٧ ، ١٩٢ ،	الاصمعي	٩
ابو راشد ، عبود	١٢٩	الاعشى	٤٢ ، ٦١ ،
ابو ريشة	١٧٤ — ١٨٤ ، ١٨٥ ،	اغوستينوس (القديس)	١١٤

١٠١ ، ٨٢ ، ٨٠ ، ٢٧	بودلير	١٤١ ، ١٦٦	افرام السرياني (مار)
١٠٤ ، ١٠٣		١٣٢	افلاطون
٩٤	بوفون	٢٩ ، ٢٨ ، ٩ ، ٧	امرؤ القيس
٩٢	بولا (القديس)	١٠٨ ، ١٠٦ ، ٨٦ ، ٤٥	
٥٤	بولس (مار)	٧٩	امية بن ابي الصلت
١٣٧	بولس (الرسول)	٢٠٢ ، ١٢٢ ، ٤٦	انطون ، فرح
٢٠٤ ، ٢٧	بيرون	٢٠٧ ، ٢٠٦	
٢٠٢	بيف ، سنت	٩٢ ، ٨١ ، ٤٥	انطونيوس (القديس)
٨٦ ، ٣٨	تأبط شراً	٥٦	الياس
١٢٠ ، ١١٦	تقي الدين ، امين	١٣٩ ، ١٣١	انور (التركي)
٧١	تقي الدين ، رشيد	٣٣	ايوب (النبي)
٧٣	تولستوي	٦٨ ، ٣٩	البارودي ، محمود سامي
٢٠٥ ، ١٧٥ ، ٩٣	تين	٣٧	باغي
٢٠٢ ، ١١٠ ، ٤٩ ، ٤١	الجاحظ	٤٣	البيغاء ، ابو الفرج
٧٢ ، ٧١ ، ٤٨	جبران ، جبران خليل	١٤٤ ، ٩٧ ، ٩١ ، ٨	البحتري
١٩١ ، ١٥٩ ، ٨٨ ، ٧٢		١٨٢ ، ١٧٥ ، ١٤٨	
٢٢١ ، ٢١٦ - ٢٠١		٧٨	برغسون
٢٢٠ ، ٢١٨	الجر ، شكرالله	١٧٥	برونيتير
٢١٨	الجر ، عقل	١٨٦ ، ٩٠ ، ٨٩	بريدوم ، سيلبي
٩٨	جرير	٩	بريغون (الاب)
٤٥ ، ٤٤	جودت ، صالح	٧	البستاني ، المعلم بطرس
١٣٥	الحجاج	٢٩	بسمرك
٢٠٨ ، ٢٠٢ ، ٣٢	الحداد ، نجيب	٤٠ ، ٢٩ ، ٢٤ ، ٩	بشار بن برد
٢٠١ ، ١٠٥	الحريري	٤٨ ، ٤٧ ، ٤٢ ، ٤١	
٤٨ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٣	حسين (طه)	١٧٦ ، ١٤٩	
٨٠	الخطيئة	١٢٣ ، ٩٠	بطرس (الرسول)
١٥٥ ، ١٥٤	الحوماني	١٥٧	البلبيكي ، منير
١٤٠ ، ١٣٦	الحازن ، شاهين	٢٧	البهاء زهير

٢٠١، ١٣٤، ١٣٣، ١٣٢، ١٢٦	١٧٧	خالد بن الوليد
٢١٧، ٢١٥، ٢٠٧ —	١٨٥	الحنساء
١٣٩	١٣٤	خوري ، أميل
١٢٢، ٨١، ٧٩	٤٧، ٤٤	الخوري ، بشاره
١٣٧، ١٣٦	٥٠ — ٧٠، ٧٤، ٩١، ٩٥، ١٧٣	
٣٩	١٧ — ١٠	الخوري ، الشيخ بشاره
٤٧، ٤٦، ٣٥	٢٢٠، ٢١٨	لخوري ، رشيد سليم
١٦٧، ١٤٤	٦٠	دارم (جد الفرزدق)
١٥٣، ١٢١، ١١٧	٢٠٤	دانتى
٧٧	٧٣	دانيال (النبي)
٤٣	١١١	داود (النبي)
٧٧	١٨٢، ٧٣	درك ، جان
٣٧	١٠١، ٨١	دليلة (صاحبة شمشون)
٢٨	١٠٦، ١٠٢	
٧٩، ٢٤	٦٨	دموس ، حلیم
٢٠٥، ٢٠٤	١٨٣، ٤٤، ٤١	ديك الجن الحمصي
١٥٠، ١٤٤	١١٣	ديوجين
٤٩، ٢٩، ٦	٣٥	رافائيل (الرسام)
٢٠١، ٧١، ٥٧، ٥٦	١٥٦، ٤٩	الرافعي (مصطفى صادق)
٢٠٨، ٢٠٢	٤٨	ربابة (جارية بشار)
١٨، ٦	١٤٤	الرصافي
١٤٠	١٤٤	الرضي ، الشريف
٣٢	٧٥	رنان ، ارنست
١٠٦، ١٠٥، ١٠٢، ١٠١	٣٣	رودين
١٥٥، ٣٨	٣٧	روستان
٤٩، ٤٤، ٣٤، ٨	٢٢	روكفلر
٧٢، ٧١، ٧٠ — ٥٠	٦٢	الرياشي ، لبيب
١٨٣، ١٢٤، ١٢٠	٧٣، ٧٢، ٣٢	الريحاني ، امين

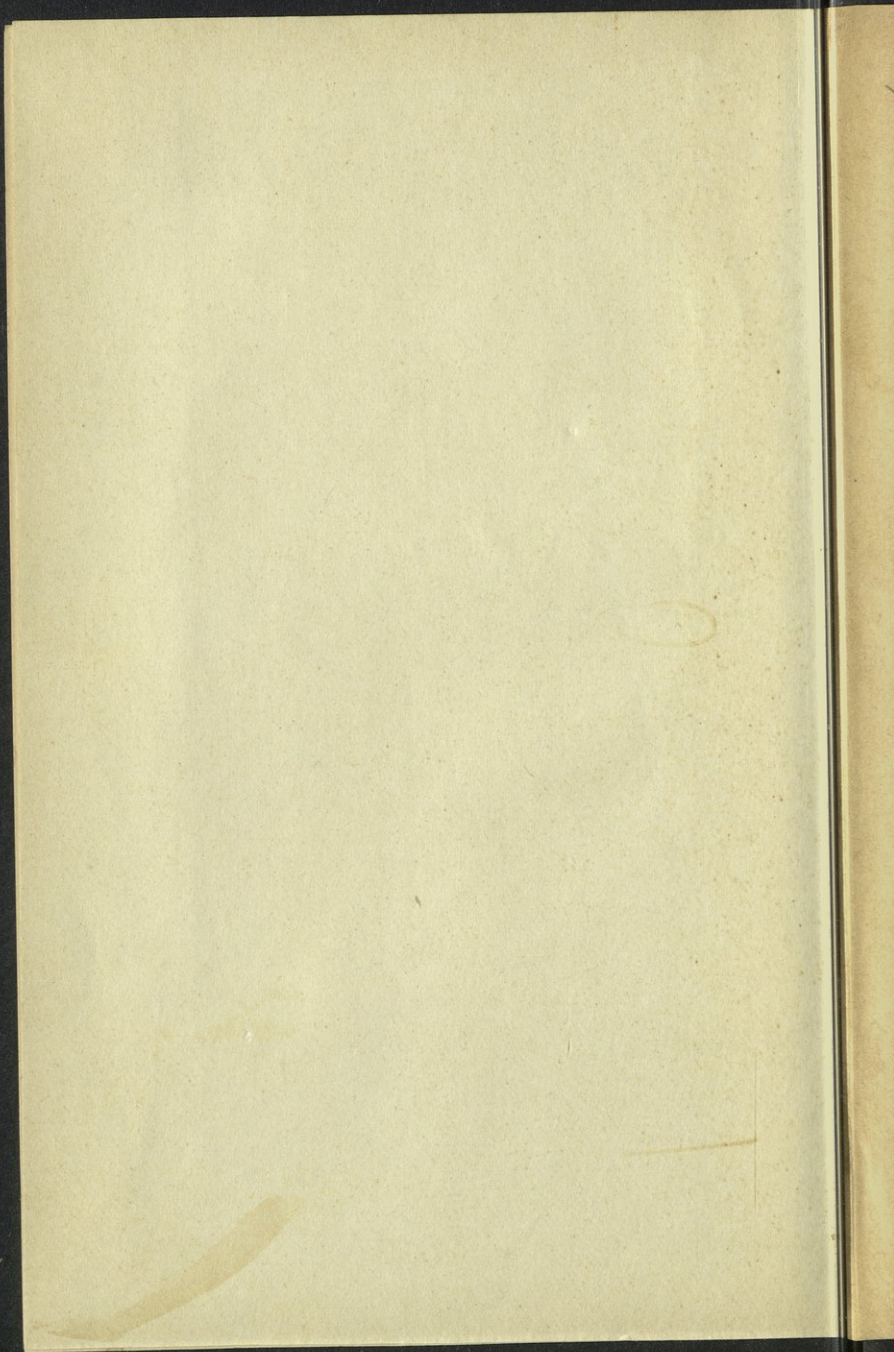
٢٧	غوث	١٦٦ ، ١٦٠	الصابي النجفي ، احمد
٦٩ ، ٣٥	غوثيه ، تيوفيل	١٧٣ —	
٩٨	الغاراي	٦٨	صبري ، اتماعيل
١٢٣	فارس ، انطون	٤٤	صدي ، عبد الرحمن
١٤٠ ، ١٢٧ ، ١٢٣	فارس ، حبيب	٤١ ، ٢٧	طرفة بن العبد
١٤٣ — ١٢١	فارس ، فليكس	١٤٤	الطغرائي
١٥١	فارس ، نبيه	١٨٣	العاص ، سعيد
٤٤ ، ٣٣	فاليري	١٤٠	عبد الحميد (السلطان)
٢٢٠ ، ٢١٨	فرحات ، الياس	٢٠٢	عبد ، الامام محمد
٩١	فرحات ، جرمانوس	١٥٣ ، ٥٣ ، ٧	عبود ، مارون
٣٥	الفردوسي	٣٣	العتابي
٦٠ ، ٤٠ ، ٢٧	الفرزدق	١٥٧	عثمان ، بهيج
١١٤ ، ٨٥	فرويد	١٦٥ — ١٥١	العريض ، ابراهيم
٤٥	فلوبير	٢٠٦ ، ٢٠٥	عريضة ، نسيب
٢٠٤ ، ١١١	فولتير	٤٥ ، ٤٤ ، ٤٣	العقاد ، عباس محمود
٧٢ ، ٧١	فياض ، تقولا	٦٤ ، ٤٧ ، ٤٦	
١٦٣	الفيروزابادي	١٧١ ، ١٦٠ ، ٤٨	عقل ، سعيد
١٠٦ ، ١٠٢ ، ٩٢	فيتي ، الفرد دي	٢٢٢	
٢٢٠ ، ٢١٨	قازان ، نعمة	٣٥	عقل ، وديع
٢٢٢ ، ٢٢١		١٤٦	علي بن ابي طالب
١١٣	قايين	٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧	عمر بن ابي ربيعة
١٨	القلشندي	٤٣ ، ٩٣ ، ٩٨	
٦٠	كامل ، مصطفى باشا	١٧٦ ، ١٤١ ، ١٠٨	
٤٠ ، ٣١	كلوديل ، بول	٣٢ ، ٦	عنتره
١٢٠	كنعان ، رشيد	١٢٤	عوض ، فريد
٢٠٥ ، ٢٠٤	لامرتين	١٨٢	غازي (الملك)
١٠٤	لامنيه	٣٨ ، ٣٦	غرمانيوس (المستشرق)
٩٥	ليمتز ، جول	٩٨ ، ٩٥ — ٧١	غصوب ، يوسف

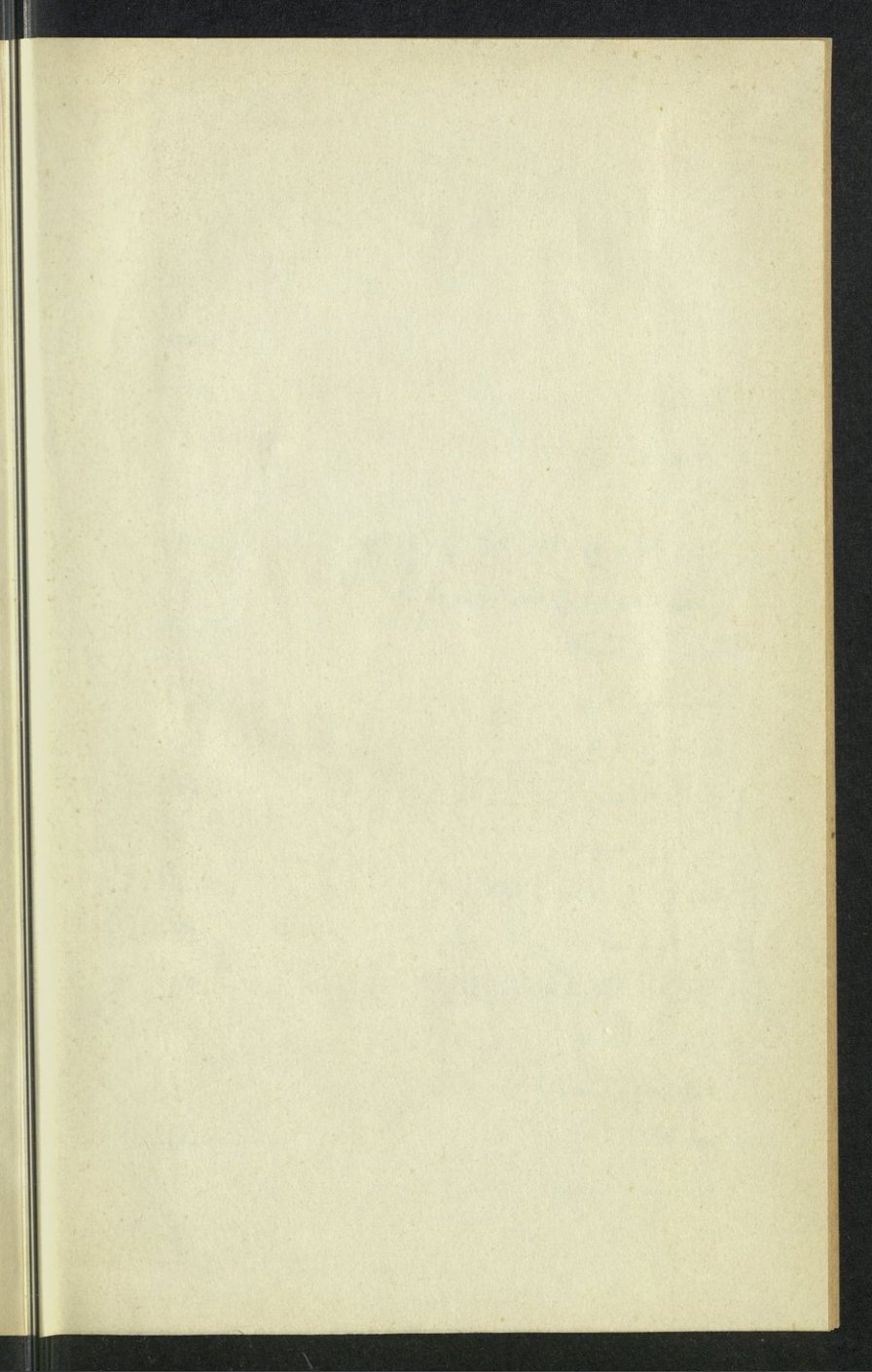
٢٠٤ ، ١٨٥ ، ٩٠ ، ٢٧	موسيه	٤٣	المازني ، ابراهيم
١٤٦ ، ١٠٨ ، ١٠١	موسى (النبي)	٢٧	مالرمة
١٦٤	مي (الآنسة)	٩٩ ، ٤٩	مبارك ، زكي
١٧٤	ميسر ، أوزخان	٣٧ ، ٣٥ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٠	المتنبى
٢٠٤	ميشليه	٦٤ ، ٥٧ ، ٤٧ ، ٤٣ ، ٤٢	
٣٥	ميكالنج	١٧٠ ، ١٤٩ ، ١٤٨ ، ٨٩	
١٠٨ ، ٤٢	الناطقة الذياني	٢١٣ ، ١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٨٦ ، ١٧١	
١٤٤	ناصر الدين ، أمين	١٤٢ — ١٤٠ ، ١٣٩	مجامع ، داود
١٣٥	نجا ، الشيخ مصطفى	١٤٨	محمد (الرسول)
٧٠ — ٥٠	نخله ، امين	٧١	مراش ، فرنسيس
١٩١ ، ١٥٩ ، ٩٣	نعيمة ، ميخائيل	٩	مروان بن ابي حفصة
٢٠١ — ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ،		٧٠	مريم (العذراء)
٢٢١ ، ٢٢٠ ، ٢١٦ ، ٢١٥ ، ٢١٣		١٤٢ ، ٩٠ ، ٥٨ ، ٥٤ ، ٤٨	المسيح
١٣٥ ، ١٢٦	النقاش ، داود	٢١١ ، ١٨٣ ، ١٤٦	
١٨٦ ، ٨٤	نواي ، مدام دي	١٥١	الشنوق ، عبد الله
١٣٩ ، ١٣١	نيزاي (التركي)	٦٧ ، ٤٨ ، ٤٧	مطران ، خليل
٢١١ ، ١٣٧ ، ١٢٢	نيتشه	٢٠٦ ، ٢٠٢ ، ١٧١ ، ٧٢ ، ٧١	
٣٣ ، ٣٠ ، ١٨	الهمداني ، بديع الزمان	٢٠٤ ، ١٧٨ ، ٨٠ ، ٧٥ ، ٤٢	المعري
٢٠٢		٢٢٠ ، ٢١٩	المعلوف ، رياض
٨١ ، ٥٥ ، ٤٥	هوميروس	١١٩ ، ٢١٨	المعلوف ، شفيق
٣٣	هيار ، كليمان	٢٢١ ، ٢٢٠	
٩٠ ، ٧٦ ، ٦٩ ، ٣٥ ، ٣١	هيفو	٢٢٠ ، ٢١٩ ، ٢١٨	المعلوف ، فوزي
٢٠٦ ، ٢٠٤		١٨٥	الملائكة ، إحسان
٨٦	الواساني	١٩٧ — ١٨٥	الملائكة ، نازك
١٦١ ، ١٦٠ ، ٣٣	ولز	١٨٥	الملائكة ، نزار
١٨	اليازجي	١١٨ ، ٧٢ ، ٧١	ملاط ، شبلي
٢٠٦ ، ٣٩	يكن ، ولي الدين	١٣٥	منش الحلي ، الخوري جرجس
٢١١ ، ١١١ ، ٥٥ ، ٤٢ ، ٢٨	يوحنا	٢٠٦ ، ٤٦	المنفلوطي ، مصطفى

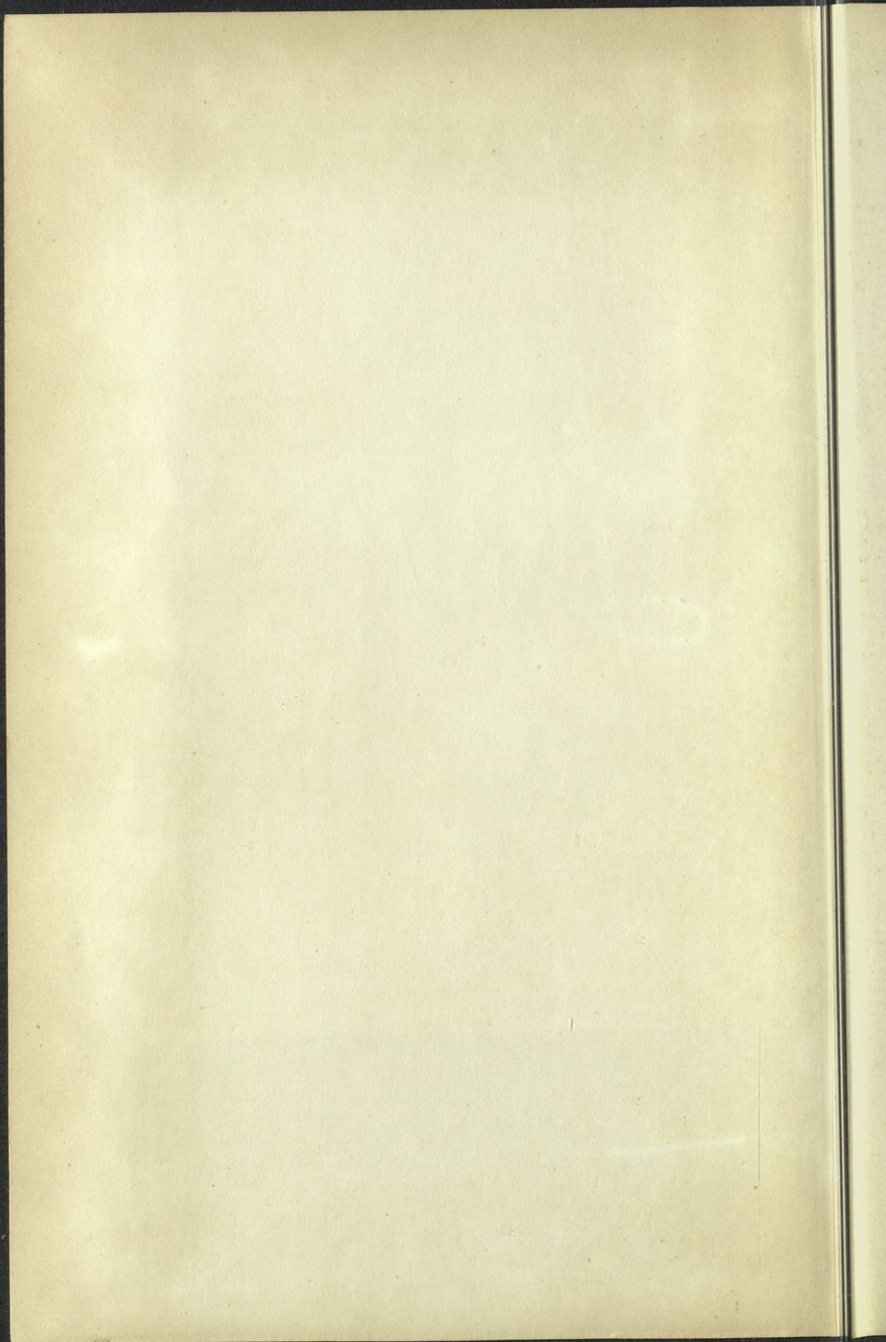
فهرست

صفحة

٥	كمقدمة
١٠	خطب الرئيس
١٨	المجترون
٥٠	بشارة الحوري وامين نخلة في رثاء احمد شوقي
٧١	يوسف غصوب في قفصه وعوسجته
٩٦	الياس ابو شبكة
١١٦	امين تقي الدين
١٢١	فليكس فارس
١٤٤	ديوان الشبيبي
١٥١	عرائس العريض
١٦٦	الصافي في دواوينه الثلاثة
١٧٤	عمر ابو ريشة - ديوانه « شعر »
١٨٥	نازك الملائكة ، عاشقة الليل
١٩٩	ما مورا البحار
٢٠٠	مدرسة رومنيقية
٢٠٨	جبران
٢١٥	المدرسة الجنوبية







DATE DUE

J. Lib.

~~1 FEB 1983~~

JAFET LIB.

8 DEC 1988

J. Lib.

~~1 FEB 1983~~



JAFET LIB.

16 AUG 1993



892.709:A13mA:c.1

عبود، مارون

مجددون ومجترون

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01033175

892.709:A13mA

عبود

مجددون ومجترون .

892.709

A13mA

